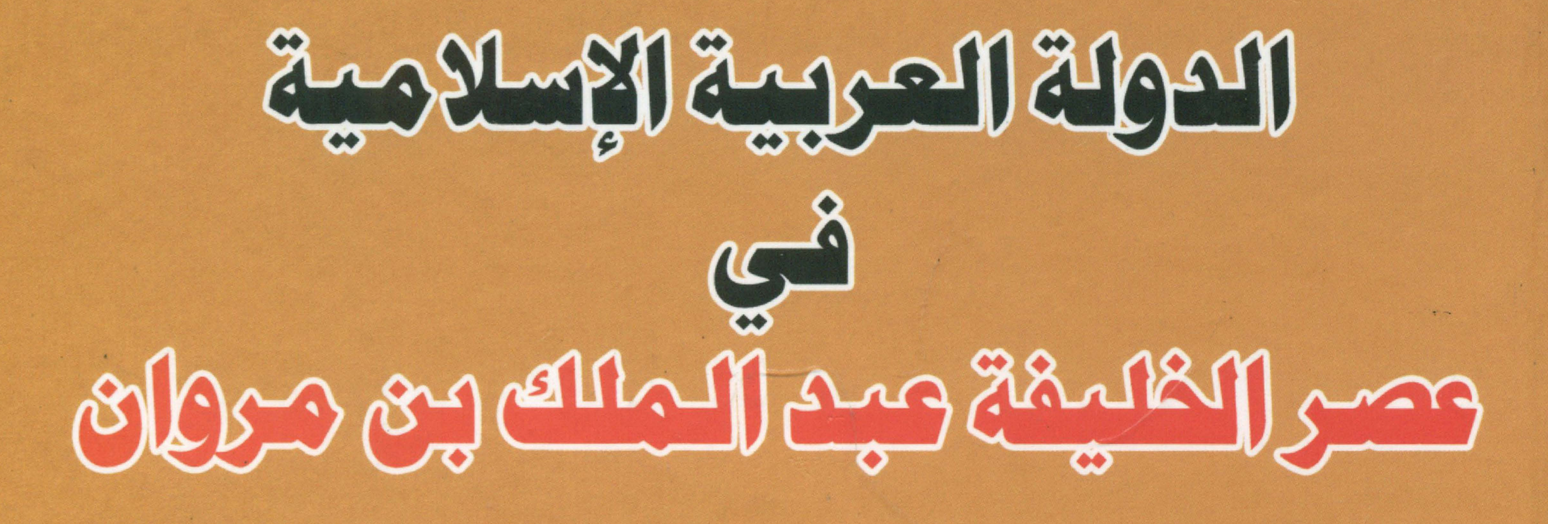


الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

65-86هـ / 684-705 م

دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الأستاذ الدكتور
عبد الجبّار محسن السامرائي
جامعة سامراء
كلية التربية /قسم التاريخ





www.dardjlah.com

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة

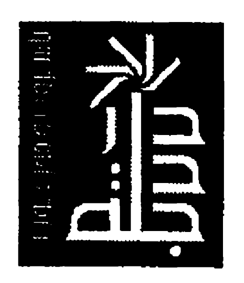
عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ/ 684 – 705 م)

دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة
عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ/ 684 – 705 م)
دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية

الاستاذ الدكتور
عبد الجبار محسن عباس السامرائي

الطبعة الأولى
2016 م – 1437 هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/7/3245)

956.043

السامرائي، عبد الجبار محسن

الدولة العربية الإسلامية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان(65- 86هـ/684- 705م): دراسة في إصلاحاتها المالية وتنظيماتها الإدارية/ عبد الجبار محسن السامرائي.- عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع، 2015

( ) ص.

ر.أ: (2015/7/3245)

الواصفات: التاريخ الإسلامي// الإصلاحات/خلافة عبد الملك بن مروان

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – شارع الملك حسين – مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171 – الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

978-9957-71-509-0: *ISBN*

الإهـــداء

إلى روح والديَّ جزءٌ من وفاء .

إلى أخي الشهيد بإذن الله (عبد الرزاق محسن عباس)
الذي راح ضحية الإرهاب والغدر والإهمال ليلة
29 رمضان 1432 هـ الموافق ليلة 29 آب 2011 م في
جامع أم القرى ببغداد .

قائمة المحتويات

الفصل الرابع

تعريب الدواوين

الفصل الخامس

إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

المقدمة

1) مضامين البحث.

2) تحليل المصادر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة: مضامين البحث وتحليل المصادر

1- مضامين البحث:

مما لا شك فيه ان التاريخ الأموي حلقة مهمة من سلسلة حلقات التاريخ العربي الاسلامي المتصلة، وهو أساس اعتمد عليه العباسيون فيما بعد وبخاصة في الجوانب الادارية والمالية، إلاّ أنَّ هذا التاريخ لم يُنصف، إذ أنَّ جُلّ المصادر الأولية التي وصلت إلينا دونت في ظل أوضاع معادية للأمويين لأسباب مختلفة، فجاء أغلب هذه المصادر غير منصف لهم بدرجات متفاوتة، حاول رواتها لأسباب شتى تشويه صورة الأمويين،... فأخذ المستشرقون هذه الكتابات واستغلوها فجعلوا الاستثناءات قواعد ثابتة وسياسة متبعة. واتهموا الامويين بان سياستهم عربية غير إسلامية، وانهم اضطهدوا الموالي وأهل الذمة.

لكل ذلك فان مهمة المؤرخ المنصف تبدو غير سهلة، لذلك فإن أفضل السبل إذاً أن يُدرس التاريخ الأموي من الواقع المادي الملموس، من الجوانب الحضارية المشرقة والانجازات الكبيرة التي حققوها: من دراسة، حركة الاصلاحات والتنظيمات المختلفة، كاصلاح النقود، والضرائب والموازين والمكاييل، والاصلاحات الزراعية الكبيرة، وكذلك من حركة التعريب الكبرى والشاملة، للدواوين (الخراج)، والطراز، والترجمة ومن تنظيم وتطوير المؤسسات الادارية، كالدواوين المختلفة، والحجابة، والقضاء والنظر في المظالم، وتنظيم

الجيوش، وكذلك تنظيم وادارة هذه الدولة المترامية الأطراف والعقلية التي قادتها..

إنَّ جُلّ هذه الانجازات الكبيرة كانت قد تحققت في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان وبقيادته وتحت اشرافه، الذي لم يلق الاهتمام المطلوب قديماً وحديثاً، والتي حاولت الروايات ذات النفس الشعوبي أن تقلل من أهميتها وتنسبها إلى اسباب عرضية مرتجلة.

هذه هي الاسباب التي دفعتني لاختيار ودراسة هذا الموضوع، وقد بذلت ما في وسعي أن أصل إلى الحقيقة.

فجاءت هذه الدراسة، بمقدمة وخمسة فصول وخاتمة...

درست في الفصل الأول: اصلاح وتعريب النقود، بدأته بمقدمة عن النقود المتداولة وأوضاعها، والمحاولات الاولى لاصلاحها وتعريبها، ثم تناولت بالتفصيل اصلاح وتعريب النقود على يد الخليفة عبدالملك بن مروان، مبيناً أسباب ذلك، ومناقشة المبررات التي أوردها مؤرخونا القدماء والمعاصرون، ثم فصلت في مراحل هذا الانجاز الكبير، معززاً ذلك بالصور التوضيحية.

أما الفصل الثاني: فتناولت فيه اصلاح وتنظيم الضرائب (الجزية والخراج) في أقاليم الدولة المختلفة، قدمت له باسس التنظيمات المالية منذ عهد الرسول محمد ﷺ حتى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان بشيء من التوسع لتبيان التطور والتغير في هذه الاسس، وتوضيح جوانب الاصلاح والتنظيم في ظل الظروف والمستجدات التي دعت إلى هذا التنظيم، ثم بينّت دور الحجاج بن يوسف الثقفي في هذا التنظيم وبخاصة في الاصلاح الزراعي، ثم فصّلت في اصلاح وتنظيم عبدالملك للضرائب في مختلف الاقاليم.

أما الفصل الثالث: فتناولت فيه، التنظيمات الادارية في عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان فبحثت فيها تأسيس الديوان (الجند) وتطوره، وديوان الخراج، وديوان الرسائل والكتابة، وديوان الخاتم، وديوان البريد، وديوان النظر في المظالم، وديوان الطراز، وتنظيم الحجابة ومجلس الخليفة، مبيناً بالتفصيل التطورات المهمة التي طرأت على هذه المؤسسات الادارية وأهميتها في إدارة شؤون الدولة ودور الخليفة عبدالملك بن مروان الرائد في إيجاد بعض هذه المؤسسات وتطويرها وتنظيمها.

أما في الفصل الرابع: فتناولت حركة تعريب الدواوين (الخراح)، في بلاد الشام والعراق ومصر، وبينت الاسباب الحقيقية لذلك، ثم ناقشت الاسباب غير المقنعة التي أوردها بعض مؤرخينا القدماء مبيناً النتائج العظيمة التي تمخضت عن هذا الانجاز العربي الكبير.

أما الفصل الأخير، فتناولت فيه ادارة الاقاليم، قدمت له باختصار الخطوط العامة لادارة الدولة وتطور ذلك حتى عصر الخليفة عبدالملك، ثم تناولت مفصلا ادارة كل اقليم من اقاليم الدولة الواسعة، مبيناً أهم موظفي ووظائف كل اقليم وكيفية ادارته، وعلاقته بالخليفة، مؤشراً التطورات الادارية لكل اقليم والاحداث المهمة فيه، ثم ركزت على توضيح دور الخليفة عبدالملك في اعادة ترتيب بعض اقاليم الدولة وتنظيمها مثل الجزيرة الفراتية والحجاز واليمن وغيرها، والاتجاه نحو اللامركزية الادارية خصوصاً بعد سنة (78هـ/ 697م) موضحاً سياسته الناجحة مع عماله وموظفيه، ومع كل الاطراف المهمة في الدولة العربية الاسلامية.

2ـ تحليل المصادر:

لقد استفدت في بحثي هذا من العديد من المصادر الاولية، والمراجع والدوريات. وسأقتصر على ذكر المهمة والرئيسة منها وحسب قدمها التاريخي.

أ – الكتب التاريخية:

ويأتي في مقدمتها "تاريخ خليفة بن خياط" (شباب العصفري)، (ت240هـ/ 854م). وهو محدث ومؤرخ بصري يُعد كتابه أقدم ما وصل إلينا من حوليات التاريخ العربي الاسلامي، متبعاً طريقة المحدثين في عرض مادته التاريخية. وهذا الكتاب مهم جداً لا يستغني عنه باحث في الامور الادارية خاصة فهو يزودنا بقوائم تتضمن أسماء ولاة الاقاليم وقضاتها وأصحاب الشرط، فضلاً عن المعلومات الادارية الفريدة والتغيرات المهمة التي يوردها لنا، مثل ضم اقليم فارس والبحرين إلى ولاية العراق على عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مثلاً[1].

ومن أشهر من يروي عنهم في فترة بحثنا: أبو اليقظان، وابن عياش، وعوانة ابن الحكم والمدائني والوليد بن هشام وأمية بن خالد.

كما استفدت من كتابي (البلاذري، ابي العباس أحمد بن يحيى بن جابر)، (ت279هـ/ 892م)، فهو من المؤرخين الموضوعيين القلائل الذين كتبوا تاريخ الامويين على الرغم من أنه كان من رجال الخليفة العباسي المتوكل[2]. وقد استفدت كثيراً من كتابه (فتوح البلدان) إذ أمدني بمعلومات ثمينة جداً عن فتوح الاقاليم وأوضاعها الادارية والمالية والاقتصادية، ومعلومات مهمة عن تعريب

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص136، 159.

(2) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط1، (بيروت- 1978م)، ص243.

الدواوين، فضلاً عن الفصل الرائع عن النقود، على الرغم من قصره، كما أورد لنا قائمة خراج بلاد الشام على عهد الخليفة عبدالملك بن مروان.

أما كتابه الآخر "أنساب الأشراف" فهو موسوعة تاريخية مهمة جداً لدارسي التاريخ الاموي، رُتب على أساس أنساب الأسرات المهمة. ونحصل من هذا الكتاب على معلومات قيمة عن ولاة الخليفة عبدالملك وخصوصاً الحجاج وطبيعة العلاقة معهم، وعن موظفيه الآخرين، ومعلومات ادارية ومالية كثيرة متناثرة.

وأهم الرواة الذين يأخذ منهم البلاذري هنا، هم: عوانة بن الحكم والمدائني والواقدي.

كما أفدت من اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد 284ه/ 897م) في كتابه "تاريخ اليعقوبي"، الذي يتبع في عرض مادته تسلسل العهود على أساس الخلفاء ويتبع في ذلك توالي السنين، ويزودنا اليعقوبي بقائمة يذكر فيها أسماء ولاة الأقاليم، وأمراء الحج، وقواد الحملات العسكرية، ومشاهير القضاة، فضلاً عن بعض المعلومات الادارية التي ترد في رواياته القصيرة. وأورد لنا رواية مهمة عن سبب بناء الخليفة عبدالملك لقبة الصخرة.

كما أفدت كثيراً من كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310ه/ 922م)، وهو مؤرخ ومفسر. يتناول في القسم الثاني منه تاريخ الاسلام منذ عهد الرسول محمد ﷺ إلى سنة (302ه/ 915م)، وأهم مصادره في موضوع بحثنا، أبو مخنف، وعوانة بن الحكم، والمدائني، والواقدي، وعمر بن شبة، وهشام الكلبي. يورد الطبري روايات متعددة عن الحدث الواحد،

ويهتم بسلسلة الرواة، وينقل رواياته كما سمعها، فهو القائل: ((وإنّما ادينا ذلك على نحو ما أدي إلينا))[3].

والطابع المميز لهذا الكتاب أنه "مشرقي"، ولذلك فهو مهم بالنسبة لموضوعنا، إذ يزودنا بمعلومات مهمة عن جوانب متعددة للنواحي الادارية والمالية، فهو يزودنا باسماء ولاة الخليفة عبدالملك وموظفيه كالكُتاب والحجّاب، وأصحاب الرسائل والبريد، وعمال الخراج والقضاة، وعمال الشُرط. وذكر لنا أيضاً ضرب عبدالملك للنقود. وكذلك أورد لنا روايات ذات أهمية كبيرة، مثل فرض الضرائب على المسلمين الجدد في خراسان والعراق قبل ولاية الحجاج وأثناءها، فضلاً عن ضم خراسان والمشرق الاسلامي كله إلى أعمال الحجاج منذ سنة (78ه/ 697م)، والاتجاه نحو اللامركزية الادارية.

ويُعد كتاب "الوزراء والكُتاب" للجهشياري، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت331ه/ 942م)، مهماً جداً لمن يتصدى لدراسة الجوانب الإدارية للدولة العربية الاسلامية، فهو يبدأ من عهد الرسول محمد ﷺ إلى نهاية أيام الخليفة العباسي المأمون.

وفي موضوع بحثنا، يزودنا بمعلومات قيّمة عن كُتاب الخليفة عبدالملك وموظفيه المهمين وصوراً عن طبيعة العلاقة بين الخليفة وهؤلاء الموظفين، وكذلك يزودنا بمعلومات مهمة عن الدواوين في الشام والعراق وتعريبها، إلا أن الأسباب التي يوردها لتعريب الدواوين تبدو غير مقنعة، كما يزودنا بمعلومات وافية عن سياسة الحجاج الإدارية وكُتابه، بروايات مختصرة – لا ذكر للرواة فيها – يعكس من خلالها موقفه السلبي من الحجاج.

(3) تاريخ، ج1، ص5.

وفي كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 957م) معلومات إدارية جيدة عن موظفي الخليفة وموظفي الحجاج، لاسيما تلك المعلومات التي توضح لنا طبيعة العلاقة بين الخليفة عبدالملك والحجاج.

أما كتاب المسعودي الثاني "التنبيه والأشراف" الذي هو بمثابة اختصار لكتابه "مروج الذهب"، فقد افدت من قائمة الكُتاب والقضاة والحجاب التي ذكرها في نهاية عهد الخليفة عبدالملك بن مروان.

كما وأعانني كثيراً كتاب "المقدمة" لابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/ 1405م). فيما يتعلق بالنقود، والحجابة، والخاتم، والطراز وغيرها.

كما كانت فائدتي كبيرة من كتاب "شذور العقود في ذكر النقود" للمقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت745هـ/ 1441م)، في فصل النقود خاصة.

ب - الكتب الأدبية:

وأهم الكتب الأدبية التي استفدت منها، وحسب قدمها التاريخي هي:

1- مؤلفات الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/ 869م)، وأهمها "البيان والتبيين" الذي ضم كثيراً من الخُطب والرسائل المتبادلة بين الخليفة عبدالملك وعماله، ولاسيما الحجاج بن يوسف الثقفي، التي تُبين جوانب متعددة من النواحي الادارية والمالية، تُلقي ضوءاً مهماً على طبيعة العلاقة بين الخليفة وولاته.

وكذلك رجعت إلى كتاب "التاج" المنسوب للجاحظ، الذي أمدني بمعلومات عن جوانب متعددة من سياسة الخليفة عبدالملك، وبعض ولاته.

2- مؤلفات ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ/ 889م)، وأهمها: "عيون الأخبار" الذي حفل بمعلومات إدارية مهمة، خصوصاً عن إدارة الحجاج للعراق وعن ولاته الآخرين، وموظفيه كأصحاب الشُرط مثلاً.

أما كتابه الآخر "الامامة والسياسة" فقد أمدني بمعلومات مهمة عن إدارة أقاليم الدولة، لاسيما ولاية أفريقية وتحريرها على يد موسى بن نصير وسياسته الادارية هناك، وتكريم الخليفة عبدالملك له.

3- كتاب "الكامل في اللغة والأدب..." للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/ 898م)، وقد أمدني بمعلومات مهمة عن إدارة الدولة وبخاصة عن إدارة الحجاج للعراق، ومن هذه المعلومات المهمة روايته عن اخراج الحجاج للمهاجرين إلى الأمصار، حيث علل سبب عمل الحجاج هذا تعليلاً أدبياً. وكذلك زودني بمعلومات قيمة عن طبيعة العلاقة بين الدولة والحجاج من جهة وبين الخوارج من جهة أخرى، حيث يُعد هذا المصدر من أفضل المصادر التي بحثت عن الخوارج.

4- "العِقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ/ 939م) يُعد من المصادر الأدبية المهمة، إذ يمتاز بأنه من المصادر القليلة التي أنصفت الأمويين، لكونه عاش في ظل الدولة الأموية في الأندلس. ويورد لنا أخباراً متناثرة ومهمة عن سياسة عبدالملك الإدارية، وعن ولاته وموظفيه، كالحُجاب وأصحاب الشُرط، وجوانب من النواحي المالية.

5- "الأغاني" لابي الفرج الأصبهاني (ت356هـ/ 966م)، يمدنا هذا المؤلف بمعلومات واسعة عن النواحي الإدارية والمالية والاجتماعية على الرغم من أن طابع الكتاب هو "غنائي شعري" حيث يستطرد في الكلام عن الصراع القبلي في عصر عبدالملك وموقفه منه، كما يورد لنا أخباراً مهمة عن ولاة عبدالملك في الحجاز وخراسان وغيرهما. والملاحظ عنه أنه يقف مواقف سلبية تجاه الأمويين، لذا يجب التعامل مع رواياته بحذر.

جـ الكُتب الفقهية:

إن المعلومات التي أوردتها هذه الكتب لا يمكن الاستغناء عنها لاسيما فيما يتعلق بالنواحي المالية والاقتصادية والإدارية، كالجزية والخراج والضرائب الأخرى، والنقود والمكاييل والموازين، فضلاً عن بعض المؤسسات الادارية، كالقضاء والمظالم وغيرها، حيث عقدت لذلك فصولاً وتحدثت عنها باسهاب، إلاّ أن الملاحظ أنها تشتمل على جانب كبير من الآراء النظرية والتي تتصل بأزمنة متأخرة.

ومن أهم هذه الكتب "الخراج" لأبي يوسف، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/ 798م). وقد انفرد أبو يوسف في ذكر اصلاح الخليفة عبدالملك للضرائب في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، وهذا لا يقلل من قيمة الرواية، فأبو يوسف فقيه ثقة.

أما كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم (ت203هـ/ 818م) فيذكر لنا اصلاح الحجاج للمكاييل، فضلاً عن معلومات مالية كثيرة لاسيما في السواد.

وكذلك أفدت من كتاب "الأموال" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/ 838م) وكتاب "اختلاف الفقهاء" للطبري، وكتاب "الخراج" لقدامة

بن جعفر (ت337هـ/ 948م) وكتاب " الاحكام السلطانية " للماوردي (ت450هـ/ 1058).

د – كتب الجغرافية والبلدان:

وفي كتب الجغرافية والبلدان معلومات قيّمة، فقد اعتمدت عليها في تحديد الاقاليم وتعيين مواقع المدن والقصبات فضلاً عن استفادتي من المعلومات الإدارية والاقتصادية المتفرقة في هذه الكتب، ولاسيما عن جهود الحجاج في الاصلاح الزراعي في العراق. ويأتي في مقدمة هذه الكتب، كتاب "الاعلاق النفيسة" لابن رسته (كان حياً سنة290هـ/ 902م)، ثم كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبه (ت حوالي 300هـ/ 912م)، وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي البشاري (ت387هـ/ 977م)، وكتاب " المسالك والممالك " للاصطخري (ت346هـ/ 957م)، ثم كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1229م)، الذي يمتاز بسعة علمه وشموليته لكل أقاليم الدولة، إذ أفدت منه كثيراً في التعريف بأغلب المدن والقرى والقصبات.

هـ – كتب الطبقات والتراجم:

وأهم هذه الكتب التي أفدت منها كتاب " الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت230هـ/ 845م)، فقد ترجم للعديد من الشخصيات المهمة خلال فترة بحثنا ومنهم الخليفة عبدالملك بن مروان، والحجاج بن يوسف وغيرهما من الشخصيات العلمية والادارية من الصحابة والتابعين، أما كتاب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت681هـ/ 1282م) الذي احتوى على مجموعة كبيرة من تراجم الأعيان، فقد كان عوناً لي في تعريف العديد من الشخصيات الواردة في البحث.

أما المراجع الحديثة، فقد رجعت إلى عـدد كـبير مـن الكتـب والـدوريات، وأفدت بشكل خاص من كتابات الدكتور عبـدالعزيز الـدوري، وأهمهـا كتابـه "النظم الاسلامية"، ومقالتاه عن الـضرائب في صـدر الاسـلام، وكـذلك كتابـات الدكتور صالح أحمد العلي، وعلى رأسها مقالتـاه: (موظفـو بـلاد الـشام)...، و (إدارة الحجاز)... كما افـدت مـن كتـاب الخلافـة الأمويـة للـدكتور عبـدالامير دكسن.

ومن المصادر الأجنبية التي كانت عوناً كبيراً لـي في الفـصل الأول خاصـة كتابا الدكتور(Walker) في النقود، فقـد اعتمـدت علـى لوحـات صـور النقـود القيمة فيهما وخاصة تلك التي تمثل مراحـل اصـلاح وتعريـب النقـود علـى يـد الخليفة عبدالملك بن مروان.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفيت البحث حقه وأن يكون قد أسهم في إبراز جانب مهم من جوانب التاريخ العربي الإسلامي، وأسدى خدمـة للعلـم، كمـا أرجو أن يحظى من قارئيه بالقبول غافرين له عما قد يلحظونه من زلات غاضين الطرف عما قد ينسبونه إلى النقص والهفوات، إذ لا كمال إلاّ لله وحـده، واسـأله تعالى أن يأخذ بأيدينا لخدمة تاريخنـا وأمتنـا المجيـدة وأن لا يؤاخـذنا إن نـسينا أو أخطأنا، إنه بالاجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

إصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الاسلامية

المبحث الأول: النقود المتداولة والمحاولات الأولى للإصلاح والتعريب:

1) طبيعة النقود المتداولة.

2) المحاولات الاولى للاصلاح والتعريب.

المبحث الثاني: إصلاح وتعريب النقود الحاسم على يد الخليفة عبدالملك بن مروان:

1) اسباب الاصلاح والتعريب.

2) بدء عملية الاصلاح والتعريب.

3) مراحل الاصلاح والتعريب.

4) دور الحجاج بن يوسف الثقفي في اصلاح وتعريب النقود.

5) النقود في أفريقية والمغرب.

((فكانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة ... وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، وبعض النقود الفضية الحميرية))

البلاذري، فتوح البلدان، ص 452

((...وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم ...الى ان تفاحش الغش في الدنانير والدراهم وامر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم في العراق فضربها سنة 74هـ))

الماوردي، الاحكام السلطانية، ص 154

ابن خلدون، المقدمة، ص 261

الفصل الأول
إصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الاسلامية

المبحث الأول
النقود المتداولة والمحاولات الأولى للإصلاح والتعريب

1ـ طبيعة النقود المتداولة:

إنَّ لموقع شبه الجزيرة العربية الوسط بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، أثراً كبيراً في النشاط التجاري والمالي، وقد أفاد أهل مكة بشكل خاص من هذا الموقع، ومن قدسية مدينتهم في زيادة التعامل التجاري والمالي[4]، برحلات مستمرة إلى اليمن وبلاد الشام[5]، والعراق[6]. وهذا يعني أن لأهل الحجاز علاقات تجارية واسعة، كانت النقود[7] وسيلتها الأولى، فكانت دنانير

(4) العلي، د. صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ط6، (بغداد – 1966م)، ج1، ص100–101.

(5) كان لأهل قريش رحلتان تجاريتان إلى اليمن (شتاءً)، وإلى بلاد الشام (صيفاً)، أشار إليهما القرآن الكريم ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ سورة قريش / الآية: 1، 2.

(6) النقشبندي، ناصر السيد محمود، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، بلا. ط، مطبعة الرابطة، (بغداد – 1953م)، ج1، ص10.

(7) أطلقت كلمة النقود: على جميع ما تتعامل به الشعوب، من دنانير ذهبية، ودراهم فضية، وفلوس نحاسية. المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود (النقود الاسلامية)، تحقيق وإضافات محمد السيد بحر العلوم، ط5، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف – 1967م)، ص44.

هرقل ترد على أهل مكة... وترد عليهم دراهم الفرس البغلية، وبعض النقود الفضية الحميرية[8]، الذي يبدو أن التعامل بها كان قليلاً نسبياً.

وهكذا فان النقود التي كانت متداولة في الحجاز، والتي كان يتداولها تجار قريش بالدرجة الأولى، كانت هي الدنانير الذهبية البيزنطية، والدراهم الفضية الفارسية[9]، أي أن شبه الجزيرة العربية واقعة بين منطقة الذهب البيزنطية ومنطقة الفضة الفارسية [10]، وكانوا يعبرون عن الذهب بـ (العين)، وعن الفضة بـ (الورق)[11].

---

(8) البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، ط1، (مصر – 1932م)، ص452 ؛ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، (مصر– 1960م)، ص154 ؛ ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القرية في احكام الحسبة، باعتناء، روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، (كيمبرج – 1937م)، ص82 ؛ المقريزي، اغاثة الامة بكشف الغمة، نشر، محمد مصطفى زيادة، وجمال محمد الشيال، مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1940م)، ص48-49 ؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، (بيروت – 1969م)، ج2، ص113 ؛ غنيمة، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9 لسنة 1953م، ص98.

(9) البلاذري، فتوح، ص457 ؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154 ؛ المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف – 1966م)، ص11؛ اسكندر، توفيق، بحوث في التاريخ الاقتصادي، (القاهرة– 1961م)، ص56.

(10) متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريدة، مط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة – 1948م)، ج2، ص275 ؛ اسكندر، توفيق، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص56؛
GRIESON. P: " The monetary reform of Abid – Al MALIK, Journal of the Economic and social history of the orient, III , 1960. P. 255. =
محمد، د. عبدالرحمن فهمي، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، "فجر السكة العربية"، مط، دار الكتب، (القاهرة – 1965م)، ص31-32.

(11) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، (5) أجزاء، مط، الهلال، (القاهرة – 1931-1947م)، ج1، ص109 ؛ النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص2 ؛ المازندراني، =

وكانوا يتعاملون أيضاً بأجزاء من أوزان الدراهم، كالحبة والدانق[12]، وقد ورد ذكر النقود في أخبارهم وأشعارهم[13]. وكانوا لا يتبايعون بهذه النقود إلاّ على انها تبر[14]، أي ذهب أو فضة بغض النظر عن كونها دنانير أو دراهم

= السيد موسى الحسيني، العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، المطبعة الاسلامية، ط2، (طهران – 1382ه)، ص33.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة (الوَرِق)، بوصفها نقداً وردت في القرآن الكريم، سورة الكهف: الآية (19).

(12) الكرملي، لمحة في تاريخ النقود، منشور ضمن كتاب النقود العربية، ص89.

الحبة: تساوي (1/ 8) دانق، أو (ربع) القيراط، وتساوي (0.05غم). الكرملي، النقود العربية، ص28، حاشية رقم (2) ؛ هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان – 1970م)، ص25.

الدانق: لفظة أعجمية معربة بمعنى الحبة. ادى شير، الالفاظ الفارسية المعربة، ص66. وهو وحدة وزن صغيرة من أجزاء وزن كل من الدينار والدرهم، وكان وزنه فيما قبل الاسلام وفي الاسلام مختلفاً. ابن الرفعة، الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تح، الخاروف، د. محمد أحمد اسماعيل، مط، دار الفكر، (دمشق – 1980)، ص61، حاشية رقم (3). والدانق يساوي (1/ 6) الدرهم، دائرة المعارف، مادة دانق.

(13) غنيمة، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م، ص98.

(14) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، دار احياء التراث العربي، ط4، (بيروت – بلا. ت)، ص261 ؛ المقريزي، شذور، ص5.

مضروبة[15]، لأن المراد بالدينار قطعة من الذهب وزنها مثقال[16]، والمراد بالدرهم وزن درهم من الفضة[17].

ويبدو أن أسباب التعامل بهذه النقود بالوزن لا بالعدد كونها فسدت فاختلفت أنواعها وأوزانها ولاسيما الدراهم الفارسية[18]، كما أن الدنانير وإن كانت ثابتة الوزن والمقدار، فقد يعتري النقص بعضها، أثناء التداول[19]، كقطع بعض أجزاءها مثلاً، فضلاً عن سهولة وسرعة تمشية الصفقات التجارية بالوزن عنه بالعدد، ولاسيما للكميات الكبيرة. ولذلك فقد استخدم العرب أوزاناً خاصة متعددة[20]، لوزن النقود، فكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه "درهما"، وتزن الذهب بوزن تسميه "ديناراً" فكل عشرة من أوزان الدراهم تساوي سبعة

---

(15) النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص2.

(16) غنيمة، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م، ص100.

(17) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ المقريزي، شذور، ص3 ؛ المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي، النقود والمكاييل والموازين، تح، د. رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد – 1981م)، ص46 ؛ زيدان، جرجي، التمدن، ج1، ص109.

(18) ابن خلدون، المقدمة، ص261 ؛ النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص10 ؛ الصالح، د.صبحي، النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت – 1968م)، ص425.

(19) النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص10.

(20) البلاذري، فتوح، ص453 ؛ المقريزي، شذور، ص3 ؛ المناوي، النقود والمكاييل والموازين، ص46 ؛ كاشف، د. سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة – 1947م)، ص65.

أوزان الدنانير[21]. والمثقال[22] عندهم أساس الأوزان،فالوحدات الأخرى تُقدر بالنسبة إليه[23].

وهذا وصف للعملات التي كانت متداولة حتى تم اصلاحها على يد الخليفة عبدالملك بن مروان:

الدينار: قطعة ذهبية مستديرة الشكل، وزنها مثقال (4.25غم)، ويُنقش عليها اسم الملك أو الأمير الذي ضربه[24] وغالباً ما يتم التعامل معه على أساس

---

(21) البلاذري، فتوح، ص453 ؛ ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم الجزري، الكامل في التاريخ، (13) جزء، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – 1965م)، ج4، ص418.

(22) المثقال: عرفه المقريزي: ((بأنه اسم لِما له ثقل، سواء كبر أم صغر، وغلب عرفه على الصغير)).

وقدر اليونانيون الدرهم من حب الخردل البري بـ (4200) حبة، والمثقال بـ (6000) حبة، فيكون المثقال درهماً وثلاثة أسباع درهم، والدرهم سبعة أعشار المثقال، فالعشرة دراهم سبعة مثاقيل. الذهبي، تحرير الدرهم، (منشور ضمن الكرملي، ص76)، ثم قدر بعد ذلك بحب الشعير، فقدر الدرهم بـ ($50\frac{2}{5}$) شعيرة، والمثقال بـ (72) شعيرة، ثم اصطلح على التقريط واختلفوا في كميته. ينظر: الكرملي، النقود، ص77. وجعل عبدالملك المثقال وحدة الذهب وقرر أن يكون وزن= =الدينار مثقالاً واحداً كما كان قبلاً أي (4.25 غم). دائرة المعارف الاسلامية، مادة دينار ؛ محمد، عبدالرحمن فهمي، صنج السكة في فجر الاسلام، مط، دار الكتب المصرية، (القاهرة – 1957م)، ص28.

(23) المقريزي، شذور، ص4 ؛ الريس، ضياء الدين، الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، ط1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة – 1957م)، ص337.

(24) النقشبندي، الدينار، ص10.

الوزن[25]، وعرف العرب هذه العملة الذهبية البيزنطية واستعملوها قبل الاسلام وبعده[26]، واختلف في أصل تسميته[27]، وورد ذكر كلمة دينار في القرآن الكريم[28]، واشتهر عند العرب الدينار الهرقلي، الذي كان ذهبه من أحسن الذهب، وشكله بديعاً حسناً، حتى ضربوا المثل بجماله وزهوه[29]، وكان يُنقش على أحد وجهيْهِ، صورة الامبراطور البيزنطي وحده، أو مع أولاده...، أما الوجه الثاني فينقش عليه الصليب، مع كتابات دعائية[30].

وقد استمر تداول الدنانير البيزنطية في الدولة العربية الاسلامية، حتى تمكن الخليفة عبدالملك بن مروان من إصلاح وتعريب النقود، فضرب الدينار على الطراز العربي الاسلامي الخاص سنة (77هـ/ 696م)[31].

---

(25) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ محمد، فجر السكة، ص 30.

(26) دائرة المعارف الاسلامية، مادة دينار، م9، ص 370 ؛ غنيمة، يوسف، النقود العباسية، مجلة سومر، م9، لسنة 1953م، ص 98.

(27) ينظر: الكرملي، النقود العربية، ص25-26، حاشية رقم (1) ؛ النقشبندي، الدينار، ص11 ؛ بحر العلوم، النقود الاسلامية، ص57-58.

(28) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة آل عمران / الآية: 75.

(29) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج1، 110 ؛ الكرملي، النقود، ص25، حاشية رقم (1).

(30) ينظر: مراحل تعريب النقود، في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(31) ينظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

الدرهم: لفظة تدل على معنيين: الأول، أنه وحدة كيل للسوائل، والثاني، وحدة نقدية للتداول، أي من وحدات العملة الفضية في نظام السكة عند العرب المسلمين[32]، وورد ذكر كلمة درهم في القرآن الكريم[33]، مما يدل على معرفته واستخدامه منذ أمدٍ بعيد.

وكان غالب تعامل العرب بدراهم الفرس الفضية، التي كانت مختلفة الأوزان[34]، كما ذكرنا سابقاً.

وكان يُنقش على أحد وجهيْ الدرهم الساساني، صورة ملكهم، بوضع جانبي (Profilo)، يعلو رأسه التاج، وفي الوجه الآخر، موقد النار المجوسية، يقوم جنديان فارسيان بحراستها، مكتوب عليها باللغة البهلوية اسم الملك، وسنة الضرب، وأحياناً مكانه، وعبارات دعائية للملك وعائلته، وفي الهامش الخارجي (ثلاثة) أو (أربعة) أهلة في داخلها نجوم[35]، وكانت الدراهم من ضرب الاعاجم

---

(32) النقشبندي، الدرهم الاموي المضروب على الطراز الساساني، مجلة سومر، ج1، 2، م14، لسنة 1958م، ص101 ؛ الدرهم الاسلامي، ج1، ص1 ؛ محمد، النقود العربية، ص10 ؛ النقشبندي، والبكري، مهاب، الدرهم الاموي المعرب، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد – 1974م)، ص9.

(33) قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾. سورة يوسف / الآية 20.

(34) البلاذري، فتوح، ص451.

(35Walker, J: " Acatalogue of the Arab – Sassanian Coins ", (London, 1941), No. B. P. 2; Jesiio: Op.cit. P. 242.

النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ج1، ص30–33 ؛ محمد، فجر السكة، ص30 ؛ النقود العربية، ص24.

مختلفة كباراً وصغاراً[36]، وشاع تعاملهم بثلاثة أنواع هي: البغلية (ثمانية دوانق، والطبرية (أربعة) دوانق، والجوراقية (أربعة دوانق ونصف)[37].

وتعاملوا ايضاً بالدرهم المغربي (ثلاثة) دوانق[38]، واليمني (دانق واحد)[39].

---

(36) البلاذري، فتوح، ص451 ؛ أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تح، محمد خليل هراس، ط2، دار الفكر، (القاهرة – 1975م)، ص629 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص418؛ الكرملي – العزيزي، لمحة في تاريخ النقود، ص89-90.

(37) الماوردي، الاحكام السلطانية ص153 ؛ ابن الاخوة، معالم القرية، ص82 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262 ؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص60 ؛ المقريزي، شذور، ص3.

الدرهم البغلي: نسبة إلى (بغل) وهو اسم يهودي ضربها، وكان يُعرف برأس البغل، وأطلق عليها أيضاً السود الوافية لاستيفائها الوزن الحقيقي للدرهم، وسميت كذلك الكسروية.

البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص469 ؛ قدامة، الخراج وصناعة الكتابة، ص60 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص629 ؛ Walker: op. cit. vol. I. p. oxlviii

النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص3.

الطبرية: هي الدراهم المضروبة في طبرستان، وهي الدراهم الصغار، أنصاف البغلية، وتكون جميلة مستديرة ومعدل أقطارها (23ملم).

أبو عبيد، الأموال، ص629 ؛ المقريزي، شذور، ص3 ؛ النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ج1، ص3 ؛ Walker: op. cit. vol. I. p. oxlviii

الجوراقية: دراهم تضرب في جورقان، قرية بنواحي همدان، وزنها (أربعة دوانق ونصف) (3,40غم). المقريزي، شذور، ص3 ؛ الكرملي، النقود، ص23، حاشية رقم (1).

(38) الماوردي، الاحكام، ص153 ؛ ويذكر ابن خلدون، المقدمة، ص262: ((ان وزن الدرهم المغربي هو (8) دوانق)) وهو خطأ.

(39) الماوردي، الأحكام، ص153 ؛ ويذكر ابن خلدون، المقدمة، ص262: ((ان وزن الدرهم اليمني هو (6) دوانق)) وهو خطأ أيضا.

بقيت الدراهم تُضرب على الطراز الساساني مع اضافة كلمات عربية طيلة عهد الخلفاء الراشدين والأمويين حتى عام (78هـ/ 697م)[40] وهو العام الذي تمكن فيه الخليفة عبدالملك بن مروان من جعلها عربية اسلامية تماماً، إذ نقش عليها كلمة "درهم" أول مرة في التاريخ العربي الاسلامي، لتستمر هكذا إلى ما بعد نهاية الدولة العباسية بقليل[41].

الفلس[42]: لا تعني هذه الكلمة بالضرورة نقوداً نحاسية على الرغم من أن استعمالها الشائع منذ فجر الاسلام هو في هذا الغرض الضيق، فاستعارها العرب... ولم يتقيدوا بوزنها فضربوا فلوساً في العديد من مدن بلاد الشام[43] واختلفت أنواعها، وأزانها، وقيمتها، باختلاف البلدان، وان كانت النسبة الشرعية بين الدرهم والفلس هي (1: 40)[44]. وبعد تحرير مصر سنة (20هـ/ 640م)، كانت الفلوس الشائعة التداول في أيدي الناس هي القطع التي قيمتها (12)،(Nummia) من ضرب الاسكندرية بصورة هرقل وحده، أو مع

---

(40) حصلت مديرية الآثار العامة العراقية في 9/ 3/ 1971م على درهم نادر، وهو على الطراز العربي الاسلامي الخالص، وتاريخ ضربه سنة (78هـ/ 697م)، مما غير الاعتقاد الذي كان سائداً بأن سنة (79هـ/ 698م) هي سنة تعريب الدراهم. ينظر: د. عيسى سلمان، أقدم درهم معرب، مجلة سومر، م27، لسنة 1971م، ص148.

(41) النقشبندي، الدرهم الاموي المضروب على الطراز الاسلامي، مجلة سومر، ج1، 2، م14، لسنة 1958م، ص101.

(42) الفلس: الجمع فلوس، وأصلها أفلُس، وهذه تعريب اليونانية أفلس، وأخذته اليونانية قبلا من اللفظ اللاتيني (Follis). الكرملي، النقود، ص67، حاشية رقم (2).

(43)Walker: Acatalogue of the Arab Byzantine and post – reform umaiyed coins. P. 37 , 46. 201. ff.

(44) محمد، فجر السكة، ص63.

أولاده، وهناك فلوس أخرى ذات أقيام مختلفة. وأقدم فلس ضربه العرب ظهر في (قنسرين)[45]، على طراز عملة هرقل، سنة (17ه/ 638م) باسم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[46].

ويبدو أن الخليفة عبدالملك بن مروان، عندما بدأ باصلاح وتعريب النقود استفاد من الفلوس البيزنطية من ضرب الاسكندرية، فضرب على شاكلتها الدينار الذهب اول الأمر[47].

والسبب في ضرب نقد الفلس: ((أنه لما كانت في المبيعات... ما تقل عن أن تُباع بدرهم أو بجزء منه، احتاج الناس..... إلى شيء سوى الذهب والفضة... فجعلوا إزاء هذه المبيعات قطعاً صغار تسمى فلوساً))[48]، ومع ذلك عُني العرب بنقوشها وأوزانها، فصنعوا لها صنجات[49].

(45) قنسرين: كورة بالشام، بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص، حررها أبو عبيدة عامر بن الجراح، سنة (17ه/ 638م). ياقوت، معجم البلدان، م4، ص403- 404.

(46) محمد، صنج السكة، ص37 ؛ Walker: op. cit. vol. 2. P. 46

(47) ينظر: مراحل اصلاح وتعريب النقود.

(48) المقريزي، فصل في نقود مصر، منشور ضمن الكرملي، ص67.

(49) الصنجة: أو السنجة، لفظة أعجمية، تعني الحجر، ويراد بها في الاصطلاح العيار، وبالفرنسية (Poids)، ووضعت الصنج لصيانة الوزن من التلاعب، والزجاج أحسن مادة لهذا الغرض إذ (لا يستحيل إلى زيادة أو نقصان)، والخليفة عبدالملك بن مروان أول من وضع الصنج الزجاجية، ويوجد في المتحف العراقي واحدة باسم الخليفة عبدالملك بن مروان. الدميري، حياة الحيوان، ج1، 73 ؛ ادي شير، الالفاظ الفارسية، ص95 ؛ النقشبندي، الدينار، ص15.

2ـ المحاولات الأولى للاصلاح والتعريب:

عندما تأسست الدولة العربية الاسلامية أقرّ الرسول محمد ﷺ النقود المتداولة على حالها[50]، وتعامل بها على أساس الوزن[51]، كما أقر الأوزان المستعملة وجعلها أساساً للأوزان الاسلامية[52].

وكذلك أقرّ الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ (11-13هـ/ 632-634م) النقود على حالها[53]. أي لم يُعلم عن الرسول محمد ﷺ ولا الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ أنهما حاولا اصلاح أو تعريب النقود، إذ لم يكن من السهولة على العرب المسلمين في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة، أن يضربوا عملة خاصة بهم في وقت شُغلوا فيه بتوحيد شبه الجزيرة العربية، كما أن الحاجة الاقتصادية لم تكن قد اشتدت بعد.

إنَّ تعامل الرسول محمد ﷺ هذا، يفسر لنا معنى الاقرار لهذه النقود، فهو لا يعني قبول ما فيها من صور ونقوش تتعارض مع العقيدة الاسلامية، بل بوصفها وسيلة تبادل فقط.

---

(50) البلاذري، فتوح، 452 ؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص49.

(51) فقد زوج علي بن أبي طالب ﷺ ابنته فاطمة الزهراء بهذه الدراهم، واشترط أن تكون من وزن (6) دوانق. ابو عبيد، الأموال، ص631 (رقم 1625) ؛ ينظر: الرمضاني، عبدالواحد، البعد القومي لتعريب النقود (دراسة سياسية اقتصادية)، مجلة آداب الرافدين، العدد (14)، لسنة 1981م، ص54.

(52) المقريزي، شذور، ص4، اغاثة الامة، ص51 ؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص49 ؛ المناوي، النقود والمكاييل والأوزان، ص49.

(53) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ المقريزي، اغاثة الامة، ص51.

وعندما تولى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23ه/ 634-643م) ازدادت عنايته بالنقود وبخاصة بعد سنة (18ه/ 639م)[54]، أي بعد تحرير بلاد الشام والعراق ومصر، واستقرار الدولة عسكريا، وحدوث تحولات سياسية واقتصادية وادارية واسعة النطاق، أوجدت ظروفاً جديدة حتمت على الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، محاولة اصلاح وتعريب النقود، ثم تحديد الوزن الشرعي للدرهم، وهذه المحاولة جزء من الخطة الاصلاحية والتنظيمية الشاملة لمنّظر النظم المالية والادارية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، فضرب حينئذ الدرهم على نقش الكسروية[55] وصوّرها باعيانها، غير أنه زاد في بعضها "الحمد لله" وفي بعضها "محمد رسول الله" وفي بعضها "لا إله إلاّ الله وحده" وعلى جزء منها "عمر"[56]. كما أضاف على نقوش الفلوس المضروبة في مدن بلاد الشام كلمة (جايز) أو (واف) إشارة إلى الوزن الصحيح[57].

وبذلك يُعد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من كتب بالعربية على الدراهم والفلوس، لكن بقيت الصور والشارات الأجنبية عليها، على أننا نفتقر

---

(54) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ المقريزي، شذور، ص4-5.

(55) الكسروية: نسبة إلى كسرى الأول (531م-579م). الكرملي، النقود، ص32، حاشية رقم(3). ويقول الدميري: ((الكسروية هي التي يقال لها البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب ﷺ بسكة كسروية عليها صورة الملك...)). حياة الحيوان، ج1، ص72.

(56) المقريزي، اغاثة الأمة، ص52 ؛ شذور، ص5.

(57) سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت – 1971م)، ص524.

إلى وجود هذه الدراهم[58]، على الرغم من أن هناك من ينسب إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، دراهم ضُربت في مدن المشرق، ويوجد بعضها في المتحف العراقي[59]، إلاّ أنه يُشك[60]، في كون تاريخ سكها يعود إلى فترة حكم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ) بل إلى فترة لاحقة.

وهناك من يقول أن خالد بن الوليد، ضرب نقوداً باسمه في طبرية سنة (15هـ/ 636م) أو (16هـ/ 637م)، وجعلها على رسم الدنانير البيزنطية تماماً، عليها أحرف باليونانية، حيث يعتقد المؤرخ الالماني الدكتور مولر، أن هذه

---

(58) محمد، فجر السكة، ص36 ؛ طه، عبدالواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص162؛ الكبيسي، د. حمدان عبدالمجيد، البعد القومي لعملية تعريب النقود في الدولة العربية، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5)، لسنة 1980م، ص62.

(59) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص38-40 ؛ القزاز، وداد، الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، العدد (1)، لسنة 1969م، ص13-15.

(60) يذكر النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص38-40: ((أنه عثر على دراهم ضُربت في سجستان مؤرخة سنة (20) ويعتقد أنها سنة (20هـ) ؛ وهذا غير صحيح، فالمعروف أن سجستان لم تُفتح إلاّ بعد سنة (30هـ) أي في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فما بعد. ينظر: البلاذري، فتوح، ص385-387. وربما أن سنة (20) المؤرخة بها هذه الدراهم هي السنة (20) من حكم يزدجرد الثالث (11-31هـ / 632- 651م)، حيث توافق هذه السنة سنة (31هـ) في فترة خلافة عثمان بن عفان ﷺ (23-35هـ). والمعروف أن الفرس ليس لهم تاريخ ثابت، بل يؤرخون عند اعتلاء العرش ملك جديد. ينظر: طه، عبدالواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج، ص161-163.

الأحرف متقطعة من كنية خالد بن الوليد ابي سليمان[61]. لكننا لم نعثر على ما يؤيد هذه الأقوال في المصادر العربية القديمة.

تؤكد غالبية المصادر العربية الاسلامية أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو أول من حدد الوزن الشرعي للدرهم[62]، وتُجمع هذه المصادر على أن وزن الدرهم الشرعي هذا هو ستة دوانق، ووزن كل عشرة دراهم يساوي سبعة مثاقيل[63]، وأن عامل الزكاة والحدود الشرعية، هو العامل الرئيس في هذا التحديد، حينما رأى الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ تعدد الدراهم واختلاف أوزانها[64]. فيقول الماوردي[65]: ((أن عمر لمّا رأى اختلاف الدراهم وأن منها (البغلي) وهو ثمانية دوانق، ومنها (الطبري) وهو أربعة دوانق، ومنها (المغربي) وهو ثلاثة دوانق، ومنها اليمنية (الحميرية) وهو دانق واحد، قال: انظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان البغلي والطبري فجمع بينهما فكانا اثني عشر دانقاً، فأخذ نصفها، فكان ستة دوانق، فجعل الدرهم

---

(61) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج1، ص111 ؛ الكرملي، النقود، ص91 ؛ Walker: op. cit. vol. 2. P. 47.

(62) الماوردي، الاحكام، ص153 ؛ ابن الاخوة، معالم القرية، ص82 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262.

(63) الماوردي، الاحكام، ص153 ؛ ابن الاخوة، معالم القرية، ص82 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262.

(64) البلاذري، فتوح، ص451 ؛ الماوردي، الاحكام، ص153 ؛ ابن الاخوة، معالم القرية، ص82 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262- 263.

لكن البلاذري لا يذكر في ذلك اسم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أو الخليفة عبدالملك.

(65) الاحكام السلطانية، ص153 ؛ أبو يعلي، الاحكام السلطانية، ص162.

الاسلامي في ستة دوانق)). وقال ابن حلدون[66]: ((ان الدينار والدرهم مختلفا السكة[67] في المقدار والموازين... والشرع قد تعرض لذكرهما.. فلابد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين... دون غير الشرعي منهما، فاعلم إن الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب... وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبدالملك أو من اجماع الناس بعد عليه... والحق أنهما كانا (الدينار والدرهم) معلومي المقدار... وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وإنّما كان متعارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما ووزنهما... وقارن ذلك أيام عبدالملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة)).

---

(66) المقدمة، ص263.

(67) السكة: عرفها ابن خلدون: ((بانها الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة وتُضرب بها على الدنانير أو الدراهم... ولفظ السكة كان اسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجته وشروطه وهي الوظيفة)). المقدمة، ص261.

وعرفها الماوردي: ((بانها الحديدة التي يطبع عليها الدراهم ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة)). الاحكام، ص155.

وهكذا يتبين ان للسكة معاني متعددة، تُفهم من سياق الكلام. ((وقد توسع بعض العوام في معناها حتى أطلقوها على النقود نفسها)). الكرملي، النقود، ص36، حاشية رقم (1). أي ان الذي شاع استعماله للسكة، هو معناها كنقود من دنانير ودراهم وفلوس.

ولمناقشة ذلك نقول: ((أن الدينار والدرهم هما وزنان قبل أن يكونا نقدين[68]، وأن التعامل بهما كان بالوزن لا بالعدد[69]، وأن وزنهما لم يختلف قبل الاسلام وبعده[70]، وأن الرسول محمد ﷺ قد تعامل بالدراهم على أساس الوزن[71]، فضلاً عن أن الزكاة قد فُرضت أصلاً بالأوزان وليس بالاعداد[72]، وأنّ المسلمين كانوا يزكون أموالهم شطراً من الكبار وشطراً من الصغار[73]، إذا ما عرفنا هذه الحقائق نكون قد أدركنا أن مقدار الدرهم الشرعي، كان معلوماً – ولو بشكل تقريبي – في زمن الرسول محمد ﷺ، وأكد المقريزي[74] ذلك بقوله: ((ولا يصح أن تكون الأوقية والدرهم مجهولة القدر زمن النبي محمد ﷺ وهو يوجب الزكاة في أعداد منها وتقع بها البياعات والأنكحة)). ولذلك يبدو أن الواجبات الشرعية كالزكاة وغيرها، كانت تؤخذ من متوسط أوزان النقود، وربما يُترك ذلك لاجتهاد الناس.

---

(68) المقريزي، شذور، ص3.

(69) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261 ؛ النقشبندي، الدينار، ص2 ؛ الريِّس، الخراج، ص326.

(70) الذهبي، تحرير الدرهم والمثقال (منشور ضمن الكرملي: النقود)، ص75 ؛ المقريزي، شذور، ص4، على الرغم من ان المقريزي ناقض نفسه إذ يقول: ((وكان وزن الدراهم والدنانير قبل الاسلام مثل وزنهما في الاسلام مرتين)). شذور، ص3.

(71) أبو عبيد، الاموال، ص631 (رقم 1625).

(72) المصدر نفسه، ص630 ؛ المقريزي، شذور، ص8.

(73) أبو عبيد، الاموال، ص630 ؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص81.

(74) الريس، الخراج، ص368، نقلا عن المقريزي، الاوزان والاكيال، نشر تحسن، ص57–58.

أما الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقد اعتمد على هذه الاسس في تحديد وزن الدرهم بالقراريط والدوانق، ولم يأت اعتباطاً كما يُفهم من أقوال المؤرخين وبمجرد التوفيق بين الأوزان وأخذ متوسطها. ثم ان أغلب المؤرخين يجعل الزكاة فقط هي السبب في تحديد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لوزن الدرهم الشرعي، والحقيقة أن هناك أسباباً مهمة أخرى غير الزكاة، لأن الزكاة كانت قد فُرضت منذ السنين الأولى لعهد الرسول محمد ﷺ وأن المسلمين يدفعونها دون أي اشكال حتى تحرير بلاد الشام والعراق، حيث حدثت تطورات واسعة في مختلف المجالات، استدعت التنظيم، ومنها الضرائب[75]، وتبدوين الديوان وصرف العطاء، فكان لابد من تحديد وزن الدرهم الشرعي ليضمن العدالة للجميع في صرف الأموال وجبايتها، فضلاً عن تحديد أنصبة الزكاة خاصة بالنسبة للشعوب التي دخلت حديثاً في الإسلام، لكن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لم يضرب درهما على الوزن الشرعي[76]، أي أن ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو تحديد

---

(75) يقول العسكري: ((وكان أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي (4) دوانق، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال)). الاوائل، ص238 ؛ الماوردي، الاحكام، ص81.
ويقول المقريزي: ((ووضع (عمر) الجريب والدرهمين في الشهر، فضرب حينئذ عمر ﷺ الدراهم)). شذور، ص5 ؛ الريس، الخراج، ص333 ؛ الراوي، ثابت اسماعيل، العراق في العصر الاموي، ص71.

(76) وزن الدرهم الشرعي (2.97غم)، دائرة المعارف الاسلامية، (مادة درهم). وضرب الخليفة عبدالملك دراهمه وثبتها على الوزن الشرعي هذا. ((أما عمر فضرب دراهمه على نقش الكسروية... وضربها ناقصة عن الوزن الشرعي)). المقريزي، شذور، ص5، وعلل المقريزي فعل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هذا قائلاً: ((أن عمر ﷺ صغرّ الدرهم وكبر القفيز... طلبا للاحسان إلى الرعية)). المقريزي، شذور، ص5. ان عمل الخليفة عمر ﷺ هذا كان علاجاً = =مؤقتا للوضع الاقتصادي في الدولة العربية ؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص52-53، حاشية رقم (8).

علمي للوزن الشرعي للدرهم، معتمداً على تقرير الرسول محمد ﷺ لذلك، أما ما فعله الخليفة عبدالملك بن مروان: ((فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة))[77]. أي أن الخليفة عبدالملك بن مروان أكد وثبت الوزن الشرعي للدرهم على ما قرره الرسول محمد ﷺ والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من بعده عملياً بضرب الدرهم على الوزن الشرعي لأول مرة.

ولمّا تولى الخلافة عثمان بن عفان ﷺ (23-35هـ/ 643-655م)، أقرّ الأوزان للنقود على حالها[78]، وضُربت في خلافته دراهم نقشها " الله أكبر "[79]، وكذلك ضُربت في خلافة علي بن ابي طالب ﷺ (35-41هـ/ 655- 661م) دراهم[80] وكان كلا الضربين على الطراز الساساني[81].

ولمّا اجتمع الأمر للخليفة معاوية بن أبي سفيان، ضرب الدراهم السود الناقصة، من ستة دوانق فتكون خمسة عشر قيراطاً تنقص حبة أو حبتين[82]،

---

(77) ابن خلدون، المقدمة، ص263.

(78) البلاذري، فتوح، ص452.

(79) المقريزي، شذور، ص5.

(80) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص22، 48-49.

(81) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص21، 22، 42-45، 48-49 ؛ القزاز، وداد، الدراهم الاسلامية، مجلة المسكوكات، العدد (1) لسنة 1969م، ص13-15.

(82) تنقص حبة أو حبتين، أي تحتاج إلى حبة أو حبتين لتتم صحتها. الكرملي، النقود، ص33، حاشية رقم (2) ؛ المقريزي، شذور، ص5 ؛ اغاثة الأمة، ص52-53 ؛ Walker: op. cit. vol. I. pp. XXX.

وضرب منها زياد ابن أبي سفيان، عامل معاوية في العراق أيضاً[83]. وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها صورة رجل متقلد سيفاً، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية وقال: ((إنا وجدنا ضربك شرّ ضرب))[84].

ويوجد في المتحف العراقي نماذج لدراهم معاوية وهي على نوعين، الأول: كالذي سبق ضربه في مدن فارس وسجستان وخراسان، عليه عبارات إسلامية كُتبت بالعربية[85]. والثاني أيضاً عليه كلمات عربية، ولكن وضع اسمه محل اسم كسرى "معاوية أمير وروشنكان"، "معاوية أمير المؤمنين"[86].

أما بالنسبة للدنانير التي ضربها الخليفة معاوية بن ابي سفيان، فلم يصل إلينا منها شيء حتى الآن، وربما يُعزى ذلك إلى صهرها وإعادة ضربها ثانية، أثناء عملية الإصلاح الجذري للنظام النقدي، على يد الخليفة عبدالملك بن مروان، الذي منع أيضاً تداول غير العملة الرسمية الجديدة للدولة العربية. كما أن هذا الضرب كان على ما يبدو محدوداً، فضلاً عن كونه رديئاً[87].

---

(83) المقريزي، شذور، ص5 ؛ Walker: op. cit. vol. I. pp. Xliv , 3

(84) المقريزي، شذور، ص5 ؛ اغاثة الامة، ص52-53 ؛ المدّور، جميل نخلة، حضارة الاسلام في دار السلام، ص153 ؛ الخضري، تاريخ الأمم الاسلامية، ج2، ص219.

(85) مثل "بسم الله. بسم الله ربي. بسم الله الملك". النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص22؛ محمد، فجر السكة، ص329، لوحة رقم (8).

(86) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص23 ؛ ينظر: لوح (2) رقم (A 20)، ويذكر النقشبندي، الدرهم، ص23: ((بأن معاوية ضربها لسنة واحدة وفي مدينة واحدة هي (داربجرد) سنة (41هـ/ 661م).

(87) المقريزي، شذور، ص5 ؛ اغاثة الامة، ص52-53 ؛ Walker: op. cit. vol. 2. pp. XXV.

بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (64ه/ 683م) كثر المطالبون بالخلافة، واضطربت أحوال الدولة... وأدرك هؤلاء الأهمية السياسية لضرب النقود... ومنهم آل الزبير في الحجاز والعراق، والخوارج[88] في العراق وفارس، وغيرهم[89]، فضرب عبدالله بن الزبير دراهم مدورة، فكان أول من ضرب الدراهم المستديرة... ونقش بأحد الوجهين "محمد رسول الله" وبالآخر "أمر الله بالوفاء والعدل"[90]، ونقش على استدارتها "عبدالله"[91]. ((وضرب مصعب الدراهم بأمر عبدالله بن الزبير سنة (70ه/ 689م) على ضرب الأكاسرة وعليها "بركة" وعليها "الله" فلما كان الحجاج غيّرها))[92]، وضرب مصعب مع الدراهم

---

(88) عن دراهم الخوارج ينظر: النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص128.

(89) ضرب ابن الاشعث دراهم بعد خروجه على الخلافة. النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص131.

كما ضرب عمر بن عبيد الله بن معمر، وعبدالله بن خازم، والمهلب بن أبي صفرة، دراهم تحمل اسماءهم. ينظر: Walker: op. cit. vol. I. p. Xli – Xlii

(90) المقريزي، شذور، ص6 ؛ اغاثة الامة، ص53 ؛ المناوي، النقود والمكاييل والأوزان، ص72-73 ؛ كاشف، سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، ص66.

(91) الكرملي، النقود، ص92 ؛ النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص62-67. كما كتب ((عبدالله أمير المؤمنين)) بالبهلوية، ص65-67.

(92) البلاذري، فتوح، ص454، ويذكر البلاذري في رواية أخرى (ص452) بأن مصعب ضرب دراهم دون ذكر الدنانير. بينما ذكرت المصادر الآتية ((أن مصعب ضرب دراهم فقط)). الماوردي، الاحكام، ص139 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص165 ؛ المقريزي، شذور، ص6. أما ابن خلدون فيقول: ((وقيل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير سنة (70ه) بأمر أخيه عبدالله بن الزبير لّما ولي الحجاز)). المقدمة، ص261.

دنانير أيضاً[93]، ولكن لم يُعثر حتى الآن على دينار يحمل تاريخ إمارة مصعب بن الزبير.

ولم يؤثر عن الخلفاء الأمويين الثلاثة، الذين جاءوا بعد معاوية، يزيد بن معاوية، ومعاوية الثاني بن يزيد، ومروان بن الحكم، أنهم حاولوا إصلاح وتعريب النقود وربما يُعزى ذلك لقصر فترة حكم كل منهم وللظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة العربية الاسلامية آنذاك إلاّ أنه يذكر أن عبيد الله بن زياد، ضرب الزيوف[94] من الدراهم أثناء هروبه من البصرة.

وبذلك فإن كل المحاولات التي مرت لضرب عملة عربية مستقلة كانت محاولات غير متكاملة، إذ عُدت رديئة لا تنافس العملة البيزنطية والساسانية، إذ أنها مجرد ادخال تعديلات بسيطة على النقود، كأن يُكتب عليها كلمات عربية أو عبارات دينية، أو وضع اسم الأمير باللغة العربية أو الأجنبية، أي أنها كانت

---

(93) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261.

ومن الجدير بالذكر أن البلاذري وابن خلدون ينفردان بذكر ضرب مصعب بن الزبير للدنانير.

(94) الثعالبي، لطائف المعارف، ص18 ؛ السيوطي، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص47 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص425.

يقول الثعالبي: ((وكان عبيد الله بن زياد (اثناء هروبه من البصرة) إذا نزل بماء وخشى أن يثب عليه الأعراب قسمها بينهم)). وهذا يدلل على مدى اضطراب أحوال النقد واثر الأوضاع السياسية في ذلك.

الزيوف: وهو الدرهم الذي خُلط به نحاس أو غيره، ففات صفة الجودة، فيرده بيت المال إلى التجار. الكرملي، النقود، ص50، حاشية رقم (4).

وللسلطان كسر النقود المزيفة إذا تبين ذلك. السنامي، نصاب الاحتساب، ورقة (29ب)، مخطوطة مكتبة الاوقاف العراقية تحت رقم (5789).

عملة مشتركة بين العرب المسلمين والفرس والبيزنطيين. فهـي إذن جهـود أوليـة للإصلاح والتعريب، ولكنها جهود مشتتة لم تـأتِ بثمارهـا بـل زادت في أعـداد النقود المتداولة واختلط الرديء بالجيـد، فـزادت فوضـى النقـد، فاختلفـت قـيم النقود، وأوزانها، وأشكالها، باختلاف جهات اصدارها، وكان لابد لدولة واسعة كالدولة العربية في العـصر الأمـوي، والمتمثلـة بشخـصية الخليفـة عبـدالملك بـن مروان القومية من اكمال مستلزمات الدولة المستقلة وذلـك بإيجـاد نظـام نقـدي عربي مستقل من أي تأثير خارجي.

المبحث الثاني

إصلاح وتعريب النقود الحاسم على يد الخليفة عبدالملك بن مروان

1ـ أسباب الإصلاح والتعريب:

يمكن إن نقسم أسباب إصلاح وتعريب النقود على يد الخليفة عبدالملك بن مروان إلى:-

أ- الاسباب غير المباشرة.

ب- الاسباب المباشرة.

أـ الاسباب غير المباشرة:

وهي الأسباب الحقيقية لإصلاح وتعريب النقود، التي اجتمعت مع السبب المباشر (حادثة القراطيس)(95)، متوافقة مع تطلع وطموح الخليفة عبدالملك بن مروان، لتوجد نظاماً نقدياً عربياً اسلامياً متميزاً، وأهم هذه الأسباب هي:

1ـ الاسباب المالية والاقتصادية:

بعد الحروب الخارجية والفتن الداخلية التي عصفت بالدولة الأموية ومنذ وفاة الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة (60ه/ 679م) وحتى سنة (73ه/ 692م) واجهت الدولة حاجة إلى الأموال، كان لابد من معالجتها، وبذلك بات من الضروري إقدام الخليفة عبدالملك بن مروان على اصلاح وتعريب النقود، لكي

(95) القراطيس: (أو الطوامير)، جمع قرطاس، وهو ورق الكتابة، ويُصنع من البردي، وتشتهر مصر بصناعته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، م3 (مادة قرطس).

يدعم كيان الدولة ويعزز اقتصادها. وهذا يعني أن لهذه الخطوة المهمة صلة وثيقة بالنقص المالي الذي تعرض له بيت المال أبان خلافة عبدالملك بن مروان[96].

وكان تنوع الدراهم واختلاف قيمتها، يؤثر في كمية ما تحصل عليه الدولة من أموال، فكان أرباب الخراج يؤدون ما عليهم من حقوق بيت المال بالدراهم الطبرية، التي كان وزنها أربعة دوانق ويحتفظون بالدراهم الوافية التي تزن ثمانية دوانق[97]، وفي ذلك حيف وخسارة لبيت المال، وحينئذ أصبح من الضروري إيجاد نقود شرعية تستوفي بها الدولة حقوقها من خراج وجزية وترفع الغبن عن الناس الذي قد يتعرضون له من الدهاقين أثناء جبايتهم للضرائب.

كما أن الدولة بسيطرتها على دور الضرائب وإشرافها المباشر عليها تحصل على واردات إضافية ترفد بيت المال بموارد جديدة، إذ سمح الخليفة عبدالملك بن مروان للناس بضرب النقود داخل دور الضرب الحكومية[98]، مقابل أجرة قدرها درهم واحد لكل (مئة) درهم[99]، وبالتأكيد كان ما تحصل عليه الدولة كبيراً[100]، لاسيما أن الاصلاح كان في مراحله الأولى، إذ أمر الخليفة عبدالملك بمنع التعامل بغير نقوده الجديدة ومعاقبة المخالفين[101].

---

(96) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، (بيروت-1982م)، ص31-32.

(97) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص81.

(98) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ قدامة، الخراج، ص59.

(99) المقريزي، شذور، ص7-8 ؛ النقشبندي، الدينار، ص16.

(100) ويمكن استنتاج ذلك إذا علمنا أن وارد خزينة الدولة العباسية لسنة (306ﻫ) كان (60.370) ديناراً من دور الضرب في بغداد وسامراء والبصرة والكوفة. زيدان، تاريخ التمدن، ج2، ص93.

(101) زيدان، تاريخ التمدن، ج2، ص112.

وكجزء من خطة الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي، قام بتخفيض عيار النقد إلى (7/ 10) مما كان عليه[102]، فأدى ذلك إلى زيادة واردات بيت المال، وزيادة السيولة النقدية في الأسواق، وفي الوقت نفسه جنّب بيت المال من احتمال تعرضه لضائقة مالية محققة، بما جناه من فرق العملتين[103].

ولذلك فقد تعددت أنواع النقود، واختلفت أوزانها واقيامها، ولاسيما الدراهم الساسانية، فقد ((كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم، فجاء الاسلام ونقودهم من العين والورق غير خالصة))[104]، واستمرت احوال النقود بهذا الشكل، ((... إلى أن ضُربت الدراهم الاسلامية فتميّز المغشوش من الخالص))[105]، وأكد ذلك ابن خلدون[106] بقوله: ((... وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم... إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم، وأمر عبد الملك الحجاج بضرب الدراهم))، وكذلك كثر انقاص وتزييف العملة وبالاخص الذهبية منها فأدى ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة منها: هبوط قيمة العملة، وارتفاع أسعار الحاجيات، وزوال الثقة المالية، ومن أهمها الغبن الذي يقع على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب فيؤدي ذلك إلى نقص في موارد

---

(102) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص215، نقلا عن:
Walker:op. cit. vol. I.P. CXLVII.

(103) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص213.

(104) قدامة، الخراج، ص59 ؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154.

(105) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص154.

(106) المقدمة، ص261.

الخراج[107]، لذلك ((رأى عبدالملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين من الغش))[108].

وفي هذه الفترة بدأ النشاط المالي والتجاري يزداد، فاتسعت الحاجة إلى مزيد من النقود في وقت كانت العلاقات التجارية مع البيزنطيين غير مستقرة، فتنقطع اثناء الحروب وتقل النقود، ويؤكد ذلك البلاذري[109]، إذ يقول: ((فمكثت حينا لا تحمل إليهم)) أي أن كمية النقود المتداولة في الأسواق لم تعد تتناسب مع حاجة الدولة ومتطلبات النشاط التجاري والمالي فيها. فحينئذ أصبحت الحاجة ملحة لضرب نقود خاصة بالدولة تسد الحاجة المتزايدة وتحقق استقلالا اقتصادياً يدعم الاستقلال السياسي للدولة الاموية فلا تبقى تدور في فلك الاقتصاد الأجنبي معتمدة على عملة تكون عرضة للمؤثرات الاقتصادية والسياسية، فوجد الخليفة عبدالملك بن مروان أن ذلك لا يتحقق إلاّ بفك اقتصاد الدولة وعزله عن الارتباطات الأجنبية.

2ـ الأسباب السياسية:

يمكن أن نحدد الأسباب السياسية على المستويين الخارجي والداخلي. فعلى المستوى الخارجي ما يتعلق بالدولتين البيزنطية والساسانية اللتين كانتا تحتلان أجزاء من الأراضي العربية، فدولة الفرس كانت قد انتهت على يد العرب المسلمين، لكن بقي الدرهم يرمز إلى ذلك العهد البغيض، كما أن بعض

---

(107) الريس، ضياء الدين، عبدالملك بن مروان موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام العرب، العدد(10)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة – 1962م)، ص279.

(108) ابن خلدون، المقدمة، ص262.

(109) فتوح البلدان، ص242.

دور السك، ما زالت تحت تأثير الدهاقين والمتنفذين من الفرس[110]، وهي كثيرة[111]، وكانت تسك أعداداً كبيرة ومختلفة من الدراهم، وظلت شبه مستقلة، تؤثر في الاقتصاد العربي، فلابد إذن من السيطرة عليها وإنهاء بقايا التأثيرات الفارسية، فنجح الخليفة عبدالملك بن مروان في ذلك بجهود أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي.

أما بالنسبة للدولة البيزنطية، فكانت هي المورد الرئيس للدنانير الذهبية، وكانت العلاقات العربية – البيزنطية، غير مستقرة، وأن تعامل الدولة العربية الاسلامية بهذه العملة قد يشير إلى نوع من التبعية وينقص من الكرامة الوطنية والقومية، حتى عدّ بعضهم ضربها حقاً لا يمكن المساس به، بل أن الامبراطور جستنيان الثاني عدّه من قبيل الخضوع له[112]، ولذلك فان الاستقلال السياسي لا يكون تاما إلاّ بازالة كل مظهر من مظاهر التبعية الاقتصادية، أي أن هنالك أسباباً ومصالح اقتصادية وسياسية استدعت عملية الاصلاح والتعريب.

أما على المستوى الداخلي، فقد أراد الخليفة عبدالملك بن مروان اسدال الستار على ذلك الماضي المليء بالفتن والاضطرابات، فرغب في حصر حق ضرب النقود بالدولة وتحت اشرافه المباشر، بعد أن نجح في توحيد الدولة العربية الاسلامية، وكان قد اسهم في هذا الحق كثير من المتمردين والخارجين على

---

(110) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص258-259. وللتفصيل عن مراكز السك الساسانية في العراق، ينظر: العلي، مراكز السك الساسانية في العراق، مجلة المسكوكات، العدد (3) لسنة 1972م، ص18-20.

(111) محمد، فجر السكة، ص36، حاشية رقم (2)، ويذكر أنها بلغت نحواً من (113) داراً.

(112) محمد، فجر السكة، ص34، حاشية رقم (4)، وص35، حاشية رقم (1).

الخلافة، منذ قيام الحرب الأهلية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[113]. كما أن ضرب بعض ولاة الخلفاء نقوداً باسمائهم[114]، قد يعطي معنى المساواة في المكانة السياسية واقتسام السلطة، فأراد الخليفة عبدالملك محو تلك الآثار بالغاء تلك النقود، ولهذا عندما شرع في الاصلاح، أكد ضرورة التعامل بنقوده الجديدة، وحذر من مغبة تداول النقود القديمة، فبطل التعامل بالنقود الفارسية والبيزنطية[115]، وحصر الضرب بشخص الخليفة وجعله من حق الدولة فقط وتحت اشرافها[116]، بوصفها وسيلة تعبر عن سيادة واستقلال الدولة العربية الاسلامية.

ثم إن هناك ظاهرة ميزت العصر الأموي عامة وعصر الخليفة عبدالملك خاصة، هي بروز الاتجاه القومي، والشروع في صبغ الدولة بالصبغة العربية وفق منهج اصلاحي وتنظيمي شامل في جميع المجالات الإدارية والمالية والاقتصادية والثقافية، والتي يمكن عدّها من الاصلاحات الجذرية الكبرى في التاريخ العربي الاسلامي.

3ـ الاسباب الدينية:

لقد كان للعوامل الدينية – الزكاة خاصة – اثر واضح في ضرب الخليفة عبدالملك لنقوده الجديدة وعلى الوزن الشرعي، فقد كانت الدراهم مختلفة

---

(113) محمد، فجر السكة، ص52، وينظر: ص28-31.

(114) ينظر: النقشبندي، الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني، ص70 فما بعدها.

(115) زيدان، التمدن الاسلامي، ج1، ص112.

(116) البلاذري، فتوح، ص455.

الأوزان والأقيام، مما يسبب اشكالات عند اخراج الزكاة، فيقول المقريزي(117) في ذلك: ((إن الذي دعا عبدالملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم كانت على وجه الدهر سوداء وافية، وطبرية عتقا، فلمّا نظر عبدالملك إلى أمور الأمة، قال: إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر، وقد جاء في الزكاة أن في كل (متين) أو في كل خمس أواق – خمسة دراهم، واشفق أن جعلها كلها على مثال السود العظام (متين) عدداً، يكون في ذلك بخساً للزكاة، وإن عملها كلها مثل الطبرية،... كان في ذلك حيف وشطط على رب المال، فاتخذ عبدالملك منزلة بين منزلتين فيها كمال الزكاة، من غير بخس ولا إضرار بالناس مع موافقة ما سنه رسول الله ﷺ وحده من ذلك)).

وبذلك حلَّ الخليفة عبدالملك مشكلة فقهية ربما تُخلف اشكالات، قد تتضارب فيها الاجتهادات والآراء وتؤدي إلى مماطلة بعض الناس في أداء فريضة الزكاة، فضلاً عن كون هذه النقود فيها مظاهر دينية تختلف وتتعارض مع العقيدة الاسلامية منقوشة عليها، كالدراهم الفارسية، التي نقشت عليها صور معابد النار في المجوسية، وكذلك نقشت على الدنانير البيزنطية صوراً وكتابات تتعارض مع العقيدة الاسلامية أيضاً، فيرى السيوطي(118) بأن: ((سبب ضرب عبدالملك للنقود أنه وجد دراهم ودنانير... مكتوب عليها باسم الأب والابن وروح القدس، فسكها عبدالملك ونقش عليها اسم الله تعالى))، فكانت نقود عبدالملك فيها ثلاث فضائل: كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم، وأنه عدل بين صغارها

---

(117) اغاثة الامة بكشف الغمة، ص55-56.

(118) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتاب العربي، ط1، (القاهرة – 1967م)، ص174.

وكبارها، وانها موافقة لسنة رسول الله ﷺ[119]، أي انه كان لعمل الخليفة عبدالملك هذا شأن في ارضاء الشعور الديني للناس[120]. وبذلك يمكن أن يُعد عمل الخليفة هذا اصلاحاً جذرياً حاسماً، لأنه حدد معياراً ثابتا لكل من الدينار والدرهم بنسبة معينة وفق ما أقره الشرع.

4ـ الأسباب العمرانية:

أشار إلى هذه الأسباب ابن خلدون[121]، عندما بين بأن النقود تكثر عندما يعم العمران والاستقرار، وتحول الدولة من البداوة إلى التحضر والاستقرار، فتتشعب المصالح وتزداد الثروة وتنتعش التجارة، فتصبح السلع الكمالية ضرورية لدى الناس، ويتوسع العمران وهكذا. وفي عهد الخليفة عبدالملك بدأت بوادر تطورات هائلة في مجالات الحياة الجديدة للدولة العربية، بزيادة مطردة في نفقات الدولة ومواردها، وتنظيم إداري وتخصص وظيفي، حدث عبر مراحل التطور الاقتصادي الكبير، كل هذه الأمور جعلت الحاجة إلى نقود عربية ماسة للغاية، وذلك لاكمال المتطلبات القومية التي استدعتها، ولتسهيل عمليات المبادلة الواسعة حجماً والمتزايدة قيمة باستمرار[122].

---

(119) المقريزي، شذور، ص8-9.

(120) ولهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة، محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط2، (القاهرة- 1968م)، ص210.

(121) المقدمة، ص261.

(122) الكبيسي، البعد القومي لعملية تعريب النقود، مجلة آداب المستنصرية، العدد(5) لسنة 1980م، ص55.

ب ـ الاسباب المباشرة:

(العلاقات العربية – البيزنطية وحادثة القراطيس)

عندما تسنّم عبدالملك بن مروان الخلافة سنة (65هـ/ 684م)، كانت ظروف الدولة الداخلية والخارجية، غير مستقرة... يتهددها الروم البيزنطيون من الشمال، فرأى الخليفة عبدالملك من الحكمة مهادنتهم، فصالحهم على مقدار من المال يؤديه إليهم[123]،... وفي سنة (70هـ/ 689م) استغل اعداء الدولة اضطراب احوالها الداخلية، ((فثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين، فصالح عبدالملك ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار، خوفاً منه على المسلمين)) [124]، أما الجراجمة[125]، فتمكن عبدالملك من القضاء على خطرهم[126]. وعلى الرغم من ثقل صلح عبدالملك هذا مع الروم، فبالامكان عده من الخطوات الدبلوماسية الناجحة للخليفة[127]، إذ تمكن من ابعاد الخطر البيزنطي عن حدوده إلى حين، ونجح في القضاء على خصومه السياسيين في

---

(123) البلاذري، فتوح، ص192، نبيه عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص121، خلافة بني امية، ص184-185.

(124) الطبري، تاريخ، ج5، ص2 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص77 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص80.

(125) الجراجمة: نسبة إلى مدينة الجرجومة على جبل اللكام قرب انطاكية، وتُطلق عليهم المراجع الحديثة المردة، وكانوا عملاء للروم ((وكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون مرة أخرى)). البلاذري، فتوح، ص163-167 ؛ انساب الاشراف، ج5، ص299 ؛ كرد علي، خطط الشام، ج1، ص149-152 ؛ العدوي، الامبراطورية البيزنطية، ص58.

(126) للمزيد ينظر: البلاذري، فتوح، ص165.

(127) العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص185.

الداخل واعادة وحدة الدولة، فانقلبت الموازين لصالح الخليفة عبدالملك بن مروان، وأخذ يعد العدة لمواجهة البيزنطيين، فعين أخاه (محمد بن مروان) والياً على الجزيرة وأرمينيا وقائداً للجيوش الاسلامية بمواجهة الروم(128)، ثم نقل بعض القبائل القيسية إلى الجزيرة(129) لتتولى مهمة الدفاع عن الثغور الاسلامية، وعندئذ تعزز مركزه فامتنع عن ارسال الأموال حسب اتفاق الصلح(130)، إذ عد ذلك انتقاصاً من الدولة العربية الاسلامية وانتهاكاً لاستقلالها، مما أثار غضب الامبراطور جستنيان الثاني الذي وصف بالحمق والتهور(131)، فألغى الصلح، الأمر الذي جعل الخليفة عبدالملك بن مروان يعود إلى جهاد الروم، بعد فترة انقطاع امتدت زهاء خمسة عشر عاماً(132)، فتجددت الحرب ثانية بين الطرفين(133).

يذكر عبدالرحمن فهمي محمد: ((أنَّ ظهور الدنانير المصورة بصورة الخليفة عبدالملك بن مروان، كان مثار النزاع بين الطرفين، إذ عارض الامبراطور البيزنطي ظهور هذه الدنانير، مما أدى إلى فسخ المعاهدة مع الخليفة عبداللمك، لأن مقدار المال المتفق على دفعه سنوياً للدولة البيزنطية، لم يُدفع بسكة تحمل

---

(128) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص267 ؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص186 ؛ ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص294 ؛ ابن الكلبي، المثالب، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب/ جامعة بغداد، تحت رقم (205) ورقة رقم (53).

(129) The Encyclopaedia of Islam (New Edition) , vol. 1. P.76.

(130) نبيه عاقل، خلافة بني أمية، ص185.

(131) الريس، الخراج، ص194، 197.

(132) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص209 ؛ دكسن، د. عبدالأمير عبد حسين، الخلافة الاموية، (65-86ه)، دار النهضة العربية، (بيروت-1973م)، ص41.

(133) ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص15.

صورة الامبراطور البيزنطي، وإنما بسكة على طراز عربي إسلامي. ثم يقول أيضاً بأن محاولات الخليفة عبدالملك بن مروان لم تُفلح في اقناع الدولة البيزنطية بقبول سكته الجديدة، وبذلك تجدد النزاع ثانية بين العرب والبيزنطيين))[134].

ويبدو أن هذا الكلام غير دقيق للأسباب الآتية:

1. إن اقدم تاريخ لضرب الدنانير تذكره المصادر التاريخية هو سنة(74هـ/ 693م)[135] مع العلم ان أقدم دينار عُرف حتى الآن يحمل الشارات الاسلامية، مع بقاء التأثيرات البيزنطية، يحتمل جداً أنه ضُرب في بحر السنتين (74 و 75هـ)[136]، في حين ان أقدم الدنانير التي وصلت إلينا بطراز عربي اسلامي خالية من أية إشارات أجنبية تماماً، تحمل تاريخ الضرب سنة (77هـ/ 696م)[137] لهذا عدّ هذا التاريخ هو تاريخ ضرب الدينار العربي الاسلامي على الطراز الخاص[138]، أي أن أول ضرب لهذا الدينار كان بعد وقوع النزاع بين الطرفين بأربع سنوات.

2. تربط غالبية مصادرنا التاريخية ضرب النقود بحادثة القراطيس[139]، وهذه الحادثة اقترنت بالحرب مع البيزنطيين سنة (73هـ/ 692م)، أي أن الحرب

---

(134) محمد، فجر السكة، ص47 ؛ النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص41-42 ؛ ينظر: E.I: (old. Edition) Vol. I. P. 48.

(135) ينظر: بدأ عملية الاصلاح والتعريب.

(136) النقشبندي، الدينار، ص23.

(137) المصدر نفسه، ص24-25 ؛ عيسى سلمان، درهم نادر للخليفة عبدالملك، ص166؛ ينظر: مراحل اصلاح وتعريب الدينار.

(138) النقشبندي، الدينار، ص19.

(139) ينظر: الاسباب المباشرة لضرب النقود.

وقعت قبل ضرب النقود وكانت السبب المباشر لضرب النقود العربية الاسلامية.

3. من المستبعد أن يرفض الامبراطور جستنيان الثاني تسلم دنانير ذهبية لمجرد اختلاف النقش فقيمتها بذهبها وليس بنقشها، خصوصاً أن وزنها كان وزن الدنانير البيزنيطة نفسها.

4. من غير المعقول أن يحاول الخليفة عبدالملك بن مروان اقناع الامبراطور البيزنطي، بقبول ما فرض عليه من مال – نتيجة ظروف داخلية بالغة التعقيد- بأي سكة كانت، وقد خرج لتوه منتصراً على منافسيه في الداخل، موحداً للدولة، ويتمتع بأعلى المعنويات.

5. إن الصراع العربي – البيزنطي، لم يكن وليد الساعة، بل وجد منذ زمن الرسول محمد ﷺ واستمر طيلة العصرين الراشدي والأموي حتى نهاية الدولة العباسية.

حادثة القراطيس:

ولعل من النتائج المهمة التي تمخضت عن سوء العلاقات بين الدولة العربية في العصر الأموي والبيزنطيين، هي حادثة القراطيس، التي زادت العلاقات سوءاً، لأنها اثارت الشعور الديني والقومي لمساسها بحيثيات الدين والمصلحة الاقتصادية[140]. وقد عدّ مؤرخونا القدامى هذه الحادثة السبب الرئيس لضرب النقود، دون أن يربطوا الأسباب بأوليات الحوادث وتطوراتها، ونقل لنا البلاذري[141] الحادثة قائلاً: ((كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من

---

(140) الكبيسي، البعد القومي، ص72.

(141) فتوح، ص 241-242.

أرض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبدالملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ...[142] فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه، فإن تركتموه وإلاّ أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، فكبر ذلك في صدر عبدالملك، فكره أن يدع سُنة حسنة سنها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية[143]... واشار عليه خالد بأن يضرب النقود. في حين أورد البيهقي أن الذي اشار على الخليفة عبدالملك بن مروان بضرب النقود، هو محمد بن علي بن الحسين (الباقر)[144]، قائلاً له: ((... وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التي وزن العشرة منها عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحد وعشرون مثقالاً فتجزئها من الثلاثين فتصير العدد من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان فتضرب الدنانير على وزن عشرة والدراهم على وزن سبعة مثاقيل))[145].

---

(142) سورة الاخلاص، الاية: 1.

(143) خالد بن يزيد بن معاوية: اشتهر بالعلم، خصوصاً الكيمياء والطب، له رسائل حسنة، كان يقول الشعر، (توفي سنة 85هـ/ 704م). ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص4-6 ؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، م5، ص116 – 120.

(144) الباقر: هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، كان فقيهاً فاضلاً ثقة، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة المنورة سنة (56هـ/ 675م)، وقيل توفي سنة (114هـ/ 732م) أو بعدها بقليل. ابن حجر، تهذيب التهذيب، م9، ص350-352 ؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج2، ص109-112.

(145) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص469. ذكرت المصادر الأخرى الحادثة باختلاف بسيط. ينظر: العسكري، الأوائل، ص205-206 ؛ ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج1، ص199؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص416-417 ؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71-73.

تؤكد لنا هذه الرواية عناية الخليفة عبدالملك بن مروان بتعريب القراطيس ونجاحه في مسعاه، على الرغم من محاولة الامبراطور جستنيان الثاني أن يُثني الخليفة عن ذلك، بأن أرسل له الأموال الطائلة دون جدوى. كما تؤكد أيضاً العلاقات الطيبة والحسنة بين الدولة الأموية متمثلة بالخليفة عبدالملك بن مروان وبين العلويين.

ويمكننا أن نستشف من هذه الروايات ما يأتي:

1- ان هذه الروايات قد لا تقترب كثيراً من الأسباب والدوافع الأصلية لاصلاح وتعريب النقود، بل كما أسميناها، فهي السبب المباشر، الذي دفع الخليفة عبدالملك لضرب العملة الذهبية (الدينار) أولا، ثم ضرب الدراهم الفضية بعد ذلك، لكون المشروع واحداً ولارتباط العملتين احداهما بالاخرى ولاتصالهما العميق بالحياة الاقتصادية العربية، وتعلقهما بالاعتبارات الدينية، والبواعث القومية.

2- ذكر المؤرخون حادثة القراطيس، وكأنها وقعت مصادفة: ((... فمر به قرطاس فأمر بترجمته فأنكره))[146]. ويمكن القول بأن الخليفة عبدالملك بن مروان، ربما تعمد إيجاد هذه الحادثة، والتي تُظهر لنا مسألتين، الأولى، البدء بتعريب كل ما هو أجنبي، والثانية جعل الصراع مع البيزنطيين دينياً، عندما أبدل العبارات التي تنسب السيد المسيح إلى الربوبية، ووضع مكانها ﴿ قل هو الله أحد ﴾[147]، وبهذا الاتجاه يمكن تفسير استشارة الخليفة عبدالملك بن

---

(146) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص467 ؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71.

(147) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص467 ؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص71.

مروان لمحمد بن علي بن الحسين (الباقر)، أي أنه أراد حشد جهود كل ابناء الأمة لمواجهة البيزنطيين، فنجح في ذلك.

وهكذا يجيء العامل المباشر - بما يحمله من أبعاد دينية تجاه البيزنطيين، وروح قومية تجاه الفرس – مكملا للدوافع غير المباشرة ليخرج نظاماً نقدياً عربياً اسلامياً أصيلاً، خالياً من التأثيرات الأجنبية.

2ـ بدء عملية الإصلاح والتعريب:

تُجمع المصادر الأولية المعتمدة على أن الخليفة عبدالملك بن مروان، هو أول من ضرب النقود العربية الاسلامية على الطراز الخاص[148]، وأنه أول من أوجد النقد القومي العربي، بخصائصه المميزة، للدولة العربية الإسلامية، وكتب لعمله هذا الاستقرار والبقاء، لأنه قام على أسس عملية ناجحة. ولكن يختلف المؤرخون في تاريخ بدء الاصلاح والتعريب، وينحصر هذا الاختلاف في رواياتنا بين سنة (74-77هـ/ 693- 696م).

(148) ابن سعد، الطبقات، م5، ص229 ؛ ابن قتيبة، المعارف، ص242 ؛ البلاذري، فتوح، ص453-455 ؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص361 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص83 ؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص192 ؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص18 ؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص154 ؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص82 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص418؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص52 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص89 ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ج2، ص139 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص217 ؛ القرماني، اخبار الدول وآثار الأول، (بيروت – 1978م)، ص133.

روى البلاذري[149] عن ابن سعد قائلاً: ((إن عبدالملك أول من ضرب الذهب... سنة 74ه/ 693م))، وأيد ذلك داود الناقد قائلاً: ((ضرب عبدالملك شيئاً من الدنانير سنة (74ه/ 693م)) [150].

بينما ذكرت مصادر أخرى أن الخليفة عبدالملك بن مروان ضرب الدنانير والدراهم سنة (75ه/ 694م)[151] في حين أوردت مصادر ثالثة أن الضرب كان سنة (76ه/ 695م)[152].

أما ضرب الدراهم فقد بدأ في العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق (75-95ه/ 694-713م)، وبأمر من الخليفة عبدالملك بن مروان[153]، روى سعيد بن المسيب: ((أن عبدالملك بن مروان أمر الحجاج أن

---

(149) فتوح البلدان، ص453، 455.

(150) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ الماوردي، الاحكام، ص154 ؛ أبو يعلي، الأحكام، ص164 ؛ ابن الاخوة، معالم القربة، ص82 ؛ ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص52.

(151) ابن سعد، الطبقات، م5، ص229 ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب – جامعة بغداد، تحت رقم (1282)، ج12، ورقة (31ب) ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مخطوطة محفوظة في المجمع العلمي العراقي، برقم (1128)، ج6، ورقة (64 أ) ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص217 ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص310.

(152) الدينوري، الاخبار الطوال، ص316 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص83 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص416 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص89 ؛ المقريزي، اغاثة الامة، ص53 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص176 ؛ الدويهي، تاريخ المسلمين، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب – جامعة بغداد، تحت رقم (13)، ورقة (21).

(153) ابن خلدون، المقدمة، ص261 ؛ المقريزي، شذور، ص6.

يضرب الدراهم في العراق فضربها سنة 74هـ))[154]، وهذه الرواية يصعب الأخذ بها، وذلك لأن الحجاج لم يكن أصلاً قد عُين أميراً على العراق في التاريخ المشار إليه آنفاً، أما المدائني فيقول: ((ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة (75هـ)، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة 76هـ/ 695م))[155].

وأرجح أن سنة (74هـ/ 693م)، هي السنة التي بدأ فيها الخليفة عبدالملك بن مروان ضرب الدنانير، وأن ضرب الدراهم بدأ سنة (75هـ)، وعمم على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (76هـ)، للأسباب الآتية:

1. تُشير أكثر رواياتنا التاريخية إلى أن سنة(74هـ) هي بداية الاصلاح والتعريب[156] لاسيما روايات البلاذري، التي هي جديرة بالثقة، أما ما ذكره الطبري[157] من ان الخليفة عبدالملك بن مروان أمر بضرب الدراهم والدنانير عام (76هـ/ 695م)، فهو محمول على ان المراد تعميمها، وليس البدء في ضربها، ولاسيما أن روايته تتفق في اسنادها مع احدى روايات البلاذري فلا يناقض الرواة أنفسهم[158].
2. إنَّ عام (74هـ/ 693م) هو العام الذي يلي وقوع الحرب بين الدولة العربية الاسلامية والدولة البيزنطية، مما دعا العرب المسلمين إلى العمل على وضع

---

(154) الماوردي، الاحكام، ص154؛ أبو يعلي، الأحكام، ص164؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261.

(155) البلاذري، فتوح، ص453 ؛ الماوردي، الاحكام، ص154 ؛ أبو يعلي، الأحكام، ص164 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261.

(156) ينظر: بدء عملية الاصلاح والتعريب، ص43 هامش رقم(1) و (2).

(157) تاريخ، ج5، ص83.

(158) الكبيسي، البعد القومي، ص68-69.

عملة خاصة بهم. فقد أكد أغلب مؤرخينا ذلك عندما ربطوا بين سوء العلاقات وضرب النقود.

3. إن أقدم الدنانير المعروفة حتى الآن، والتي تحمل الشارات الاسلامية وتمثل المرحلة الأولى للتعريب يرجح أنها ضُربت في سنة (74هـ) أو (75هـ)[159]. وأن أقدم الدراهم تحمل الشارات الاسلامية ومصورة (بصورة) تمثل الخليفة عبدالملك ابن مروان ضُربت سنة (75هـ)[160].

وبهذا يظهر أن ما أوردته دائرة المعارف الاسلامية بقولها[161]: ((وقد أجمع المحدثون على أن الاصلاح الذي ادخله الخليفة عبدالملك بن مروان سنة (77هـ/ 696م) لم يمس معيار العملة الذهبية))، غير دقيق، إذ أن المؤرخين لم يُجمعوا على أن سنة (77هـ) سنة للضرب، وإن أجمعوا على ان الاصلاح لم يمس معيار العملة. ثم إن عدم عثورنا على نقود عربية اسلامية ضربت قبل عام (77هـ) لا يعني بالضرورة أن هذه النقود لم تُضرب قبل هذا التاريخ، ذلك أن من المحتمل أن الأيام القادمة قد تكشف عن نقود يعود تاريخ ضربها إلى وقت أقدم مما ورد في دائرة المعارف الاسلامية.

---

(159) النقشبندي، الدينار، ص23 ؛ للتفصيل ينظر: مراحل الاصلاح والتعريب.

(160) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص58 ؛ عيسى سليمان، درهم نادر للخليفة عبدالملك بن مروان، ص163 وما بعدها.

(161) مادة دينار، م9، ص370.

3ـ مراحل الاصلاح والتعريب:

أ – مراحل اصلاح وتعريب الدينار:

بعد توحيد الدولة العربية الاسلامية على يد الخليفة عبدالملك بن مروان عام الجماعة (73هـ/ 692م) أصبحت الظروف مواتية لوضع نظام نقدي موحد للدولة العربية الاسلامية، فبدأ الخليفة عبدالملك باصلاح وتعريب النقود سنة (74هـ/ 693م)، واستكملها سنة (78هـ/ 697م)، وقد مرّ اصلاح وتعريب النقود عبر مراحل لم يكن منها بد ولا عنها مندوحة، أي ان الاصلاح والتعريب تدرج مع الزمن، ويمكن متابعة هذه المراحل من خلال ما عرف من نقود ضربت ضمن مرحلة الاصلاح والتعريب.

سار الخليفة عبدالملك بن مروان في تعريبه للدينار أول الأمر على طراز النقود النحاسية لهرقل وولديه مما كان يضرب في الاسكندرية وعليها الحرفان (I.B) ولا تحمل تاريخ[162].

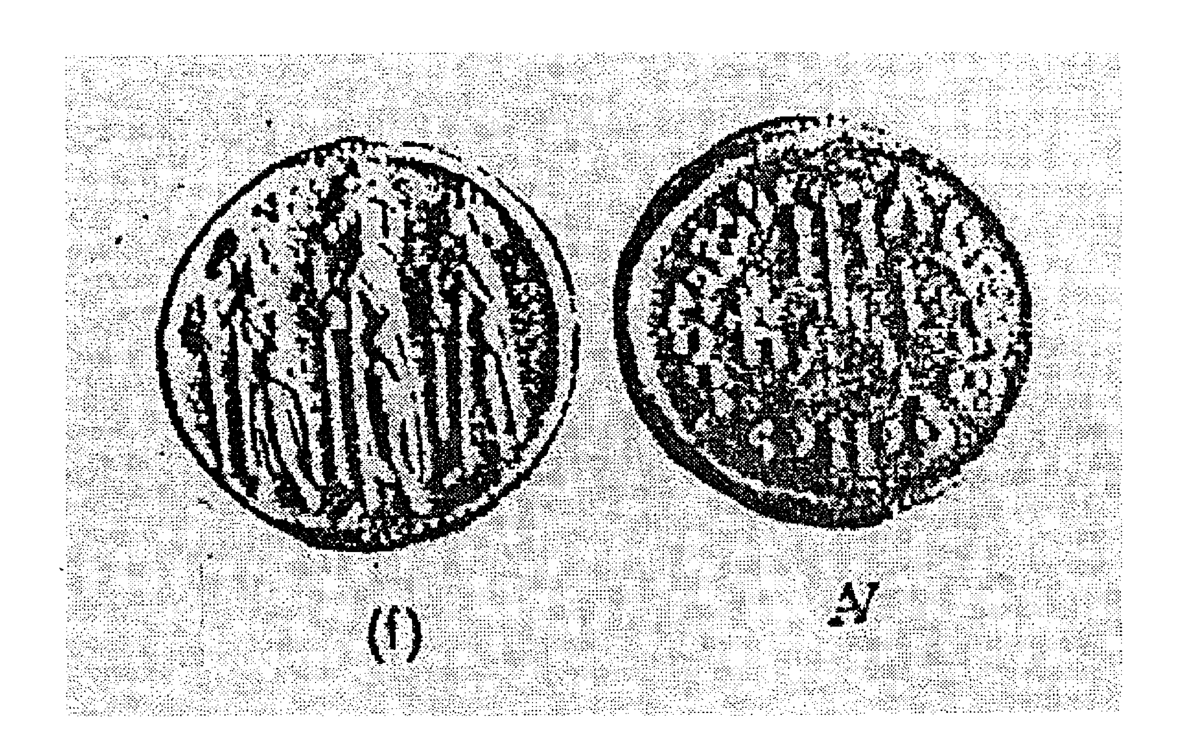
وقبل وصف مراحل تعريب الدينار من المستحسن أن نصف الدينار البيزنطي لكي نستطيع تتبع خطوات الخليفة عبدالملك بن مروان في وضعه للدينار العربي الاسلامي الخاص.

---

(162) النقشبندي، الدينار، ص23. و ((يعتقد النقشبندي أن حرفي (I.B) يعنيان (12) وحدة فلسية (نمي)، حيث أن السوليدس الذهب يساوي (2000) نمي. وقد ناقش (Walker) ذلك فيقول: ان الحرفين (I.B) مجرد تقليد للرموز البيزنطية السابقة.

Walker: op. cit. vol. 2. p. Xcviii.

وللتفصيل في معرفة آراء المختصين ومناقشتها. ينظر: النقشبندي، الدينار، ص21-23.



الشكل (1)

دينار بيزنطي خالص

الوجه (F)

صورة الامبراطور هرقل وعلى يمينه، ابنه هرقل قسطنطين، وعلى اليسار ابنه هراقلوناس وعلى رأس كل واحد منهم تاج يعلوه صليب وبأيمانهم العصا المطرانية يعلوه صليب فوقه كرة ويحيط بهذه الصورة دائرة خارجية.

الظهر (N)

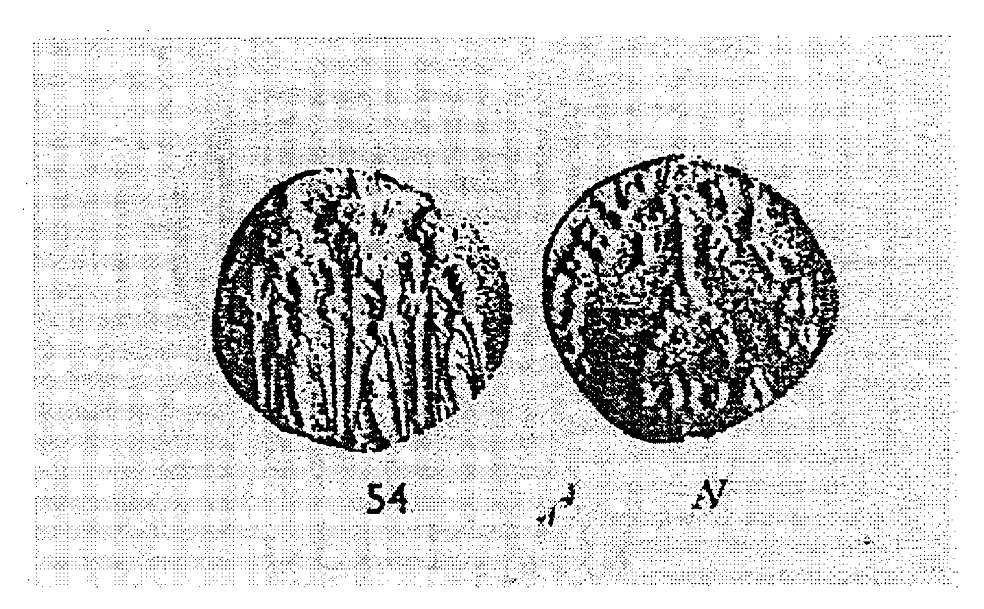
صليب مرسوم على ثلاث مدرجات وحول الصليب عبارات دعائية مدونة باليونانية وبعكس اتجاه عقرب الساعة، وتوجد على يمين ويسار الصليب، علامة السك، واسفل الصليب الحروف الأولى من اسم دار السك (القسطنطينية) ويحيط بالنقوش من الخارج دائرة[163]. ينظر الشكل (1).

---

(163)Walker: op. cit. vol. 2. p. 17. p1. V. No. F.

المرحلة الأولى[164]:

ضرب الخليفة عبدالملك في هذه المرحلة الدينار على شكل نقد النحاس المرسوم (I.B). واصبحت أوصافه هي الآتي:



الشكل (2) دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

الوجه:

ابقى صورة الامبراطور مع ولديه كما هي، ولكن حذف رؤوس الصلبان، فلا أثر لها، وأصبح الصليب يشبه حرف (T).

الظهر:

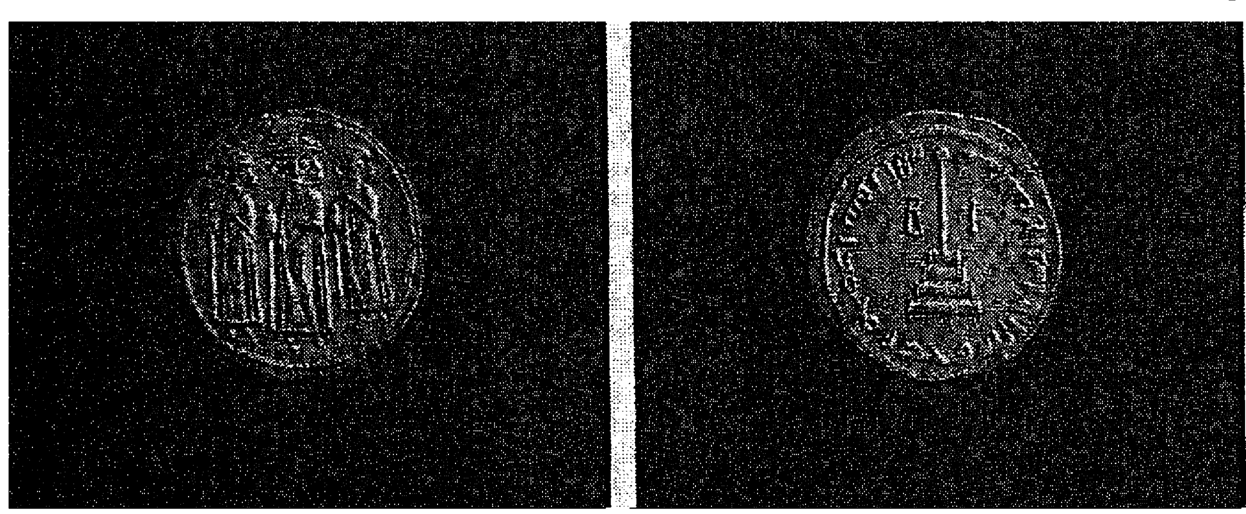
غيّر شكل الصليب القائم على المدرجات الثلاثة وأصبح يشبه حرف (T)، والعبارات الدعائية بقيت كما هي في الشكل (1) ووضع حرف (I) على اليسار وحرف (B) على اليمين، واسم مدينة الضرب بقي كما هو في الشكل (1).

---

(164)Walker: op. cit. vol. 2. p. 18. pl. V. No. 54.

المرحلة الثانية[165]:

يعد هذا الدينار أول دينار عرف يحمل الشارات الاسلامية، وهو بلا تاريخ ويحتمل جداً أنه ضُرب في بحر الستين (74 و 75ه)، وهذا وصفه[166]. ينظر الشكل (3).



الشكل (3) دينار عربي بتأثيرات بيزنطية

الوجه:

أبقى الخليفة عبدالملك صورة الامبراطور وولديه كما هي، إلاّ أنه غيّر آثار الصلبان على العصي، وجعلها على شكل كرات.

الظهر:

- المركز: جعل رأس العمود القائم على المدرجات الثلاث على شكل كرة، وجعل حرف (I) على اليمين وحرف (B) على اليسار.

---

(165) النقشبندي، الدينار، ص25 ؛

Walker: op. cit. p. 18.

(166) النقشبندي، الدينار، ص23 ؛

Walker: op. cit. p. 18. pl. V. No. (B.2). ;

محمد، فجر السكة، ص287.

- الطوق: كتب حول القائم عبارات عربية وبالخط الكوفي البارز تدور في اتجاه عقرب الساعة نصها ((بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله)).

وعدّ النقشبندي وضع الحرفين (B.I) زخرفة لا أكثر ولا أقل[167]، أي أن الخليفة عبدالملك عمل ذلك لاجل ايجاد شكل يخالف النقود البيزنطية، ولتهيئة الاجواء لقبول نقوده الجديدة.

المرحلة الثالثة[168]:

في هذه المرحلة رفعت صورة الامبراطور البيزنطي وأولاده، ووضعت مكانها صورة تمثل الخليفة عبدالملك بن مروان ويمثل ذلك تطوراً خطيراً، وخطوة حاسمة في سبيل تعريب الدينار لانها كانت في حقيقتها ثورة على نظام السكة القديمة لاخضاعها لمبدأ التعريب الذي حققه الخليفة عبدالملك بن مروان في جميع الميادين.

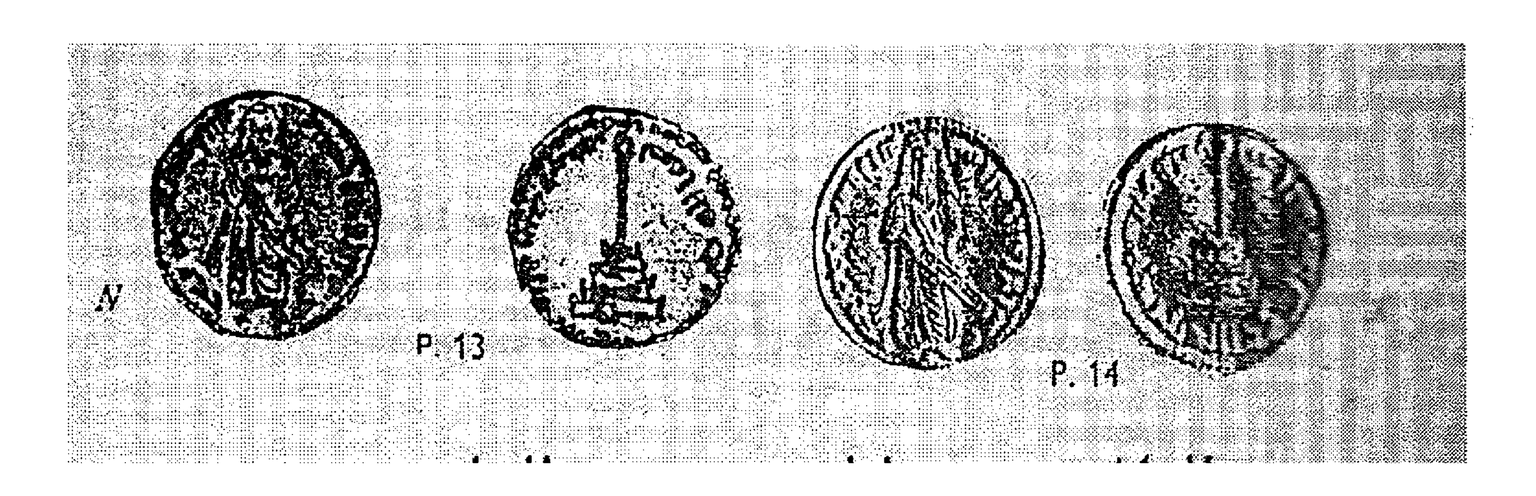
والدينار رقم (P.13) مضروب سنة (76هـ). والدينار رقم (P.14) مضروب سنة (77هـ)[169].

---

(167) النقشبندي، الدينار، ص23.

(168) النقشبندي، الدينار، ص23-25 ؛
Walker: op. cit. p. 42. p1. Viii. No. (p.13),(p.14). ;
محمد، فجر السكة، ص43-44، 287-288.

(169) ان عدم وضوح الصورة في ديناري الشكل (4)، يبدو انه راجع الى أن رقم (P.13) مضروب بقالب مصبوب صباً، أما الآخر فمضروب بقالب محفور حفراً مباشراً، إذ أن طريقة الضرب بالقوالب المحفورة ظهرت منذ سنة (76هـ). ينظر: ابن بعرة، كشف الاسرار العلمية، ص13.



الشكل (4) ديناران بصورة تمثل الخليفة عبدالملك بن مروان

وأصبحت أوصافه هي الآتي:

الوجه:

المركز: صورة تمثل الخليفة عبدالملك بن مروان، قائماً مواجها، وهو حاسر الرأس، مفروق الشعر من الوسط، ويتدلى شعره على كتفيه، وله لحية مطلقة، ويلبس عباءة، ممسكاً سيفاً بيده اليمنى، وهو علامة الامامة عند المسلمين.

الطوق:حول الصورة عبارة عربية بالخط الكوفي البارز تدور باتجاه عقرب الساعة نصها: بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله.

الظهر:

- المركز: أبقى العمود القائم على المدرجات كما هو، ورفع حرف (B.1) إذ لا معنى لبقائهما.

- الطوق: كتابة عربية بالخط الكوفي البارز تدور في اتجاه عقرب الساعة نصها: (بسم الله ضُرب هذا الدينر سنة ستة وسبعين)، وتُحيط بالكتابة دائرة خارجية. ينظر:الشكل (4) صورة (P.13).

المرحلة الأخيرة:

في أواخر سنة (77هـ)[170]، ضرب الخليفة عبدالملك بن مروان دنانيره على الطراز العربي الاسلامي المستقل تماماً، واستمر على ذلك حتى نهاية الدولة الأموية.

وأصبح يكتب عليها النصوص الآتية. ينظر الشكل (5)

الوجه:

- المركز: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد.
- الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة...

الظهر:

- المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
- الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

---

(170) نشر باحث أردني هو (فرح معايعة) مقالة عن (لقية اورف) قال بأن هناك دينارين ضمن هذه اللقية مؤرخين سنة (73هـ)، وهما على الطراز العربي الاسلامي الخالص. وهذه المسألة لا تتفق وأقوال المؤرخين، ومكتشفات الآثاريين حتى الآن، ولذلك يبدو أن تاريخ ضربها غير صحيح.

Maaya, Farah's: Ahoard of ommayad dinars from ORIF , Annual. Dept. Antiq. Jordan. 1962. P. 76.



الشكل (5) دينار عربي خالص

ب – مراحل اصلاح وتعريب الدرهم:

يبدو أن تطور الدرهم كان أكثر تعقيداً من الدينار بسبب كثرة عدد الأنواع التي صدرت ضمن مراحل الاصلاح والتعريب، وكذلك تعدد مراكز الاصدار، والتي لم تكن السيطرة والاشراف عليها دقيقين، حتى أنه في بعض الأحيان، تصدر هذه الدور العملة النقدية العربية ذات التأثيرات الاجنبية، بعد أن تركتها المراكز المجاورة[171]. وهذا يعني أن قرار الاصلاح والتعريب لم يبدأ تطبيقه في كل أنحاء الدولة في فترة زمنية واحدة، بالالتزام نفسه، وربما كان هذا من جملة اسباب تأخر اصلاح وتعريب الدرهم عن الدينار.

ومن غير شك فإن الدرهم مرّ بمراحل شأنه في ذلك شأن الدينار، إلاّ أننا لا يمكن أن نحدد تلك المراحل بدقة، وذلك لقلة ما لدينا من دراهم تمثل مرحلة ما قبل التعريب النهائي سنة (78ه)[172].

(171)JESHO: P.244-245.

(172) د. عيسى سلمان، اقدم درهم معرب، مجلة سومر، م27، لسنة 1971، ص148.

ومع ذلك يمكن تحديد هذه المراحل من خلال ما عثر عليه حتى الآن من دراهم ضربت في هذه المرحلة.

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة ضرب الخليفة عبدالملك بن مروان دراهمه على طراز الدرهم الساساني، وهو باسم كسرى الثاني، وكتب على طوق هذا الدرهم بالحروف العربية الكوفية: ((بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله))، ومكتوب بالحروف الكوفية أيضاً مكان الضرب وهو مدينة دمشق، ومؤرخ سنة (73هـ/ 692م)، (74هـ/ 693م)[173].

المرحلة الثانية:

قام الخليفة عبدالملك بن مروان في هذه المرحلة بنقش صورة تمثله على وجه الدرهم وكتب بجانبي الصورة (أمير المؤمنين خلفت الله) باللغة العربية وبالخط الكوفي، وكتب على الوجه الآخر، ضُرب سنة(75هـ/ 694م)، وهذا الدرهم نادر جداً[174]، وأوصافه هي:

الوجه:

- المركز: صورة كسرى الثاني، ضرب في سنة خمسة وسبعين.

---

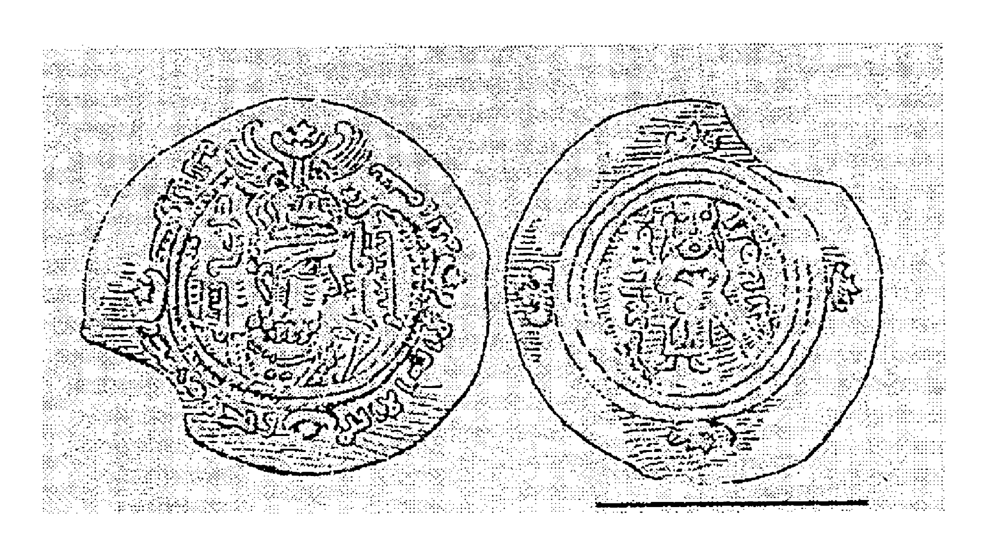
(173) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص23، 58.

(174) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص23، 58 ؛ وهو درهم المتحف التاريخي في موسكو. ومن الجدير بالذكر ان مديرية الاثار العامة العراقية اقتنت في شهر (نيسان – 1971م) درهماً نقشت عليه صورة تمثل الخليفة عبدالملك بن مروان، وتاريخ الضرب هو سنة (75هـ/ 694م)، وهو ثاني نسخة في العالم. ينظر: د. عيسى سلمان، درهم نادر، مجلة سومر، م26، ج1، 2، لسنة 1970م.

– الطوق: بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله.

الظهر:

– المركز: صورة (تمثل الخليفة عبدالملك) مكتوب على جانبيها، أمير المؤمنين – خلفت الله[175].



شكل (6) درهم عربي بتأثيرات أجنبية

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة النهائية التي ضربت الدراهم فيها على الطراز العربي الإسلامي الخاص ومنذ سنة (78هـ/ 697م) ولا تحمل إلا نصوصاً عربية إسلامية وبخط كوفي[176]. ينظر الشكل (8).

جـ اصلاح وتعريب الفلس:

يمكن القول بان التطور الذي حدث في الدينار والدرهم هو نفسه الذي حدث في ضرب السكة النحاسية ولكن ليس بالامكان تحديد مراحل تعريبها بدقة، ومع ذلك وصلت الينا فلوس عليها صورة تمثل الخليفة عبد الملك بن

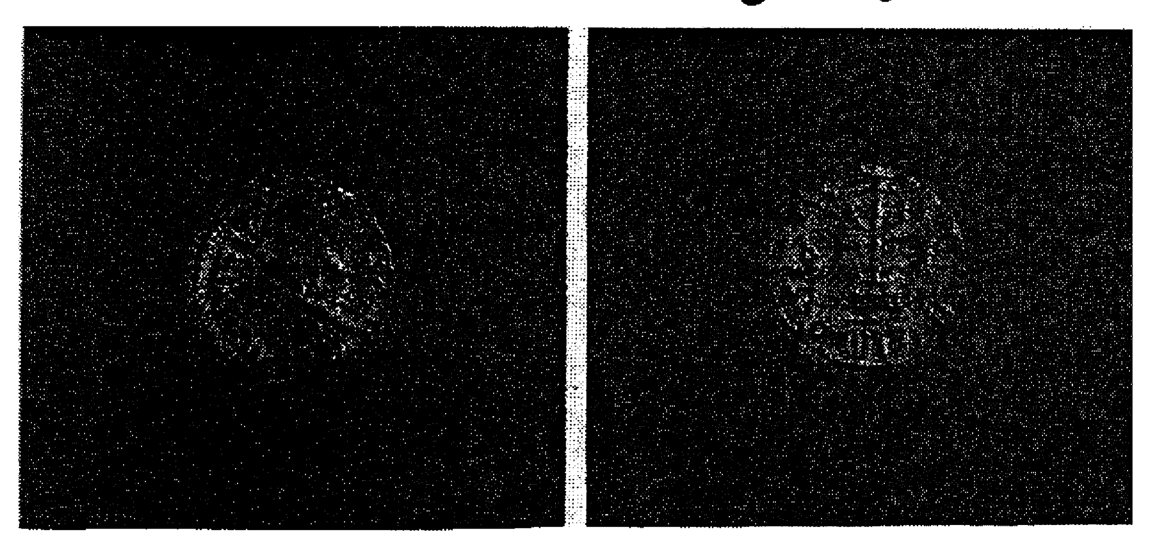
---

(175) النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص23، 58 ؛ د. عيسى سلمان، درهم نادر للخليفة عبدالملك، ص163.

(176) د. عيسى سلمان، اقدم درهم معرب، ص148.

مروان بطراز عربي – بيزنطي وعليها كلمات وعبارات اسلامية مختلفة، وبعضها يحمل اسم الخليفة عبدالملك

وصفته[177]. ينظر الشكل (7).



الشكل (7) فلس عربي - بيزنطي

وهذه صفته:

- **الوجه**: صورة تمثل الخليفة عبدالملك وهو واقف، حاسر الرأس مكتوب حولها: (لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين).

- **الظهر**: شكل محور للصليب، محوط بكتابة نصها (لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) بحمص.

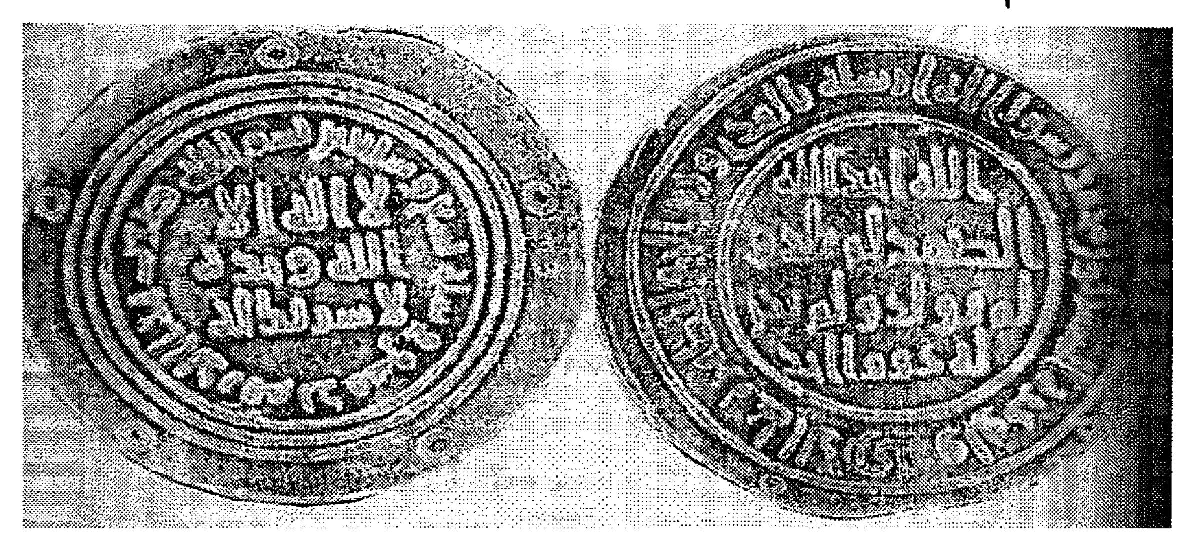
ويذكر أن المتحف العراقي يمتلك مجموعة من هذه الفلوس[178].

---

(177) محمد، فجر السكة، ص404-405 ؛
Walker: Op.cit. vol. 2. P. 32-42.

(178) د. عيسى سلمان، المسكوكات المصورة في مجموعة عبدالله شكر الصراف، مجلة المسكوكات، العدد (2)، (بغداد – 1969م)، ص17.

أما النماذج المضروبة على الطراز الاسلامي الخاص فلم تصل إلينا إلا في سنة (90هـ/ 708م) فما بعد(179).



الشكل (8) درهم عربي مضروب على الطراز الخاص

الوجه:

- المركز: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

- الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الظهر:

- المركز: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

- الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق في سنة تسعاً وسبعين(180).

وهناك مسألة ترتبط بمراحل اصلاح وتعريب النقود، هي:

---

(179) Walker: Op.cit. vol. 2. P. IXvii , 289-293.

(180) وبذلك يظهر أن ما قالته دائرة المعارف الاسلامية، م9 (مادة درهم):((وترجع اقدم الدراهم الاسلامية الخالصة... الى عام (75هـ/ 694م) لم يثبت حتى الان)).

مسألة نقش الصورة على الدنانير والدراهم والفلوس قبل ضربها بشكل نهائي على الطراز الخاص.

وقد نوقشت مسألة نقش الصورة على نقود الخليفة عبدالملك من عدة أوجه، فيقول الدكتور عبدالرحمن فهمي محمد: ((إن كراهية الاسلام للسكة المصورة لم تكن حقيقة واقعة بدليل تعامل الرسول محمد ﷺ بها... وان هذه الصورة هي صورة شخصية للخليفة عبدالملك بن مروان، يظهر وهو واقف يحمل السيف بيمينه... وتغطي رأسه ملحفة (كوفية)... وللخليفة لحية طويلة أطلقها لتتفق وتعاليم السُنة النبوية))[181].

وأرى أن ما قاله الدكتور محمد فيه نظر، للأسباب الآتية:

1. لقد ناقش عدد من الباحثين[182] مسألة كراهية الاسلام للتصوير، ولا نريد ذكر التفاصيل، بل نقول أن الشرع نهى عن الصور[183]، على أقل تقدير في صدر الاسلام، فقد حطم الرسول محمد ﷺ الأصنام وأحرق الرسوم في الكعبة، لذلك أنكر بعض الصحابة في المدينة نقود الخليفة عبدالملك ذات الصورة، عند قدومها عليهم، فيقول المقريزي[184]: ((... فلم ينكروا منها سوى نقشها فإن فيها صورة))، ولم يذكر المؤرخون أن هذه صورة للخليفة عبدالملك بل هي مجرد (صورة).

---

(181) فجر السكة العربية، ص44-46.

(182) ينظر: باشا، أحمد تيمور، التصوير عند العرب، اخراج وتعليق، زكي محمد حسن، مط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1942م)، ص117 فما بعد.

(183) ابن خلدون، المقدمة، ص262 ؛ المقريزي، شذور، ص6 ؛ مجهول، رسالة في الاموال، ورقة (45 ب).

(184) شذور، ص6.

2. ان تعامل الرسول محمد ﷺ بالسكة المصورة، لا يُعد دليلاً كافياً على عدم كراهية التصوير في الاسلام، ذلك أن تعامل الرسول محمد ﷺ والمسلمين بهذه النقود، كان على أساس الوزن وليس العدد[185]، أو النقش، فقيمة النقود في وزنها وليس في شكلها، فلا يعني تعامل الرسول محمد ﷺ بها اقراراً لِما فيها من كتابات وصور تمثل الديانة المجوسية وتتعارض كلياً مع العقيدة الاسلامية، وذلك في الدراهم خاصة ثم ان الضرورة هي التي دفعت الرسول محمد ﷺ والمسلمين إلى التعامل بهذه النقود، فلم يكن في الامكان في تلك الفترة المبكرة ضرب عملة اسلامية خاصة.

3. أما ما يتعلق بحمل الخليفة عبدالملك للسيف، وملابسه، ولحيته، فهذه أمور عامة يشترك فيها كل المسلمين في تلك الفترة، ولا يتميز بها الخليفة من سائر الناس، ثم ان الكوفية على الرأس في النقود لم تظهر إلاّ في درهم موسكو، ودرهم المتحف العراقي المضروب سنة (75هـ/ 694م) والتي لا تشكل هي أيضاً صفة مميزة للخليفة، فكل الناس يلبسون الكوفية أو يضعون شيئاً آخر على رؤوسهم، في حين تظهر أغلب الصور على الدنانير والفلوس، التي قيل أنها صورة للخليفة عبدالملك، يظهر فيها حاسر الرأس مفروق الشعر ويتدلى شعره على كتفيه[186].

(185) أبو عبيد، الأموال، ص631 ؛ البلاذري، فتوح، ص451 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص261.

(186) النقشبندي، الدينار الاسلامي، ص25 ؛
Walker: op. cit. vol. 2. P.22-42. Pl. VI , VII , VIII.

4. ان الصور التي نقشت على الدنانير والدراهم والفلوس، والتي قيل أنها صورة الخليفة عبدالملك، تختلف في اشكالها كثيراً بعضها عن بعض[187]، فلو قارنا مثلاً بين (صورة الخليفة عبدالملك) المزعومة على دينار سنة (76هـ)، الشكل (4)، وصورته على درهم موسكو، الشكل (6)، نرى فروقاً كثيرة بين الصورتين، أكثر من أن تكون عدم دقة النقاش في رسم الصورتين.

5. ان هنالك تشابها كبيراً بين أوصاف الصورة – التي قيل أنها للخليفة معاوية – على الفلوس، مع بعض صور الخليفة عبدالملك المزعومة على الدنانير والفلوس، فتبدو صورة الخليفة وهو حاسر الرأس ويتدلى شعره على كتفيه قابضاً على السيف[188].

6. أما ما يراه الدكتور محمد باقر الحسيني[189]: بان تفاصيل هذه الصورة تتفق مع ما أورده ابن دقماق: ((من أن الخليفة كان طويلاً مقرون الحاجبين دقيق الوجه ذا لحية طويلة))، فعلى العكس يظهر الخليفة عبدالملك في درهم موسكو، ودرهم المتحف العراقي، وحتى في الدنانير المضروبة سنة (76 و 77هـ / 695 و 696م)، قصير القامة، أما الصفات الأخرى التي ذكرها، فلا تظهر واضحة ضمن الامكانات الفنية المحدودة للصورة، في

---

(187) ينظر: مراحل الاصلاح والتعريب (للدينار والدرهم والفلس)، وقارن بين صورها التوضيحية.

(188) ينظر: محمد، فجر السكة، ص287 - 288، 404- 405 ؛ النقود العربية، ص33، 37.

(189) تطور النقود العربية، ص28 ؛ العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، (بغداد – 1966م)، ص89.

حين إن الخليفة عبدالملك في درهم موسكو ليست له لحية طويلة. ينظر الشكل (6).

7. لقد كان الخليفة عبدالملك بن مروان، متضلعاً بعلوم الدين، فهو أحد فقهاء المدينة الأربعة(190)، قبل خلافته، فليس من المعقول إذاً أن يخفى عليه موقف الاسلام من التصوير، إذ ليس من المصلحة السياسية ولا الحكمة ان يضع صورته على النقود، ويُدخل نفسه مدخل الشبهات والريبة، وقد اجتمعت الامة الاسلامية توا على خلافته في عام الجماعة.

لهذه الأسباب كلها أرى أن هذه الصورة ليست صورة شخصية للخليفة عبدالملك ابن مروان، بل انها مجرد رمز يمثل سلطان المسلمين، وان الناس قد اعتادوا منذ فترات طويلة على النقود ذات الصور، وليس بالامكان ضربها دفعة على الطراز العربي الاسلامي الخاص، بل لابد من التدرج مع الزمن، وضربها على مراحل، فهذه النقود ذات الصورة هي مرحلة، تجربة لتميز نقوده عن النقود الأجنبية، ومعرفة موقف المسلمين منها، فعندما لم ينكر الصحابة إلا نقشها – وهي الصورة – عندئذ رفع الصورة، وضربها بطرازها الخاص.

(190) ابن حزم، جوامع السيرة، ص332 ؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخرى في الآداب السلطانية والولايات الدينية، دار صادر، ودار بيروت، (بلا. ط، 1966م)، ص122؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص216.

4. دور الحجاج بن يوسف الثقفي في اصلاح وتعريب النقود:

بعد أن ضرب الخليفة عبدالملك بن مروان الدنانير سنة (74هـ/ 693م)، على الوزن الشرعي[191]، وقبلها أهل المدينة وتعامل بها الفقهاء[192]، قام ببناء دار للسك[193]، ومنع الناس من ضرب النقود خارج دور الضرب العائدة للدولة[194]، وأوجب التعامل بنقوده ومنع تداول غيرها، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الأجنبية[195]. ولأجل المحافظة على وزن النقود وصيانته من التلاعب، وضع صنجاً زجاجياً، ((لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان)) [196]، أي

---

(191) البلاذري، فتوح، ص452، 453 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص262. وقد أكد البلاذري ذلك في عدة روايات، فقد نقل عن الواقدي قوله: ((رأيت الدنانير والدراهم قبل أن ينقشها عبدالملك ممسوحة، وهي وزن الدنانير التي ضربها عبدالملك)). وروى عن ابي وداعة السهمي قوله: ((أنه أراه وزن المثقال، قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبدالملك)). ((ومما ذكر هنا ان الخليفة عبدالملك ضرب الدينار على وزن(22) قيراطا إلاّ كسراً، والدرهم على وزن(15) قيراطا)). المقريزي، شذور، ص6.

(192) روى البلاذري عن عثمان بن عبدالله قوله: ((فقدمت [دنانير ودراهم عبدالملك] المدينة وبها نفر من اصحاب رسول الله ﷺ، وغيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك)). فتوح، ص452.

(193) البلاذري، فتوح، ص452 ؛ الدويهي، تاريخ المسلمين، ورقة رقم (21) ؛ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص88.

(194) البلاذري، فتوح، ص455، ((ولم يجوز الفقهاء ضرب النقود خارج دور ضرب الدولة)). السنامي، نصاب الاحتساب، ورقة رقم (29 أ). ويقول البلاذري: ((وأخذ عبدالملك بن مروان رجلا يضرب على غير سكة المسلمين فأراد قطع يده ثم ترك ذلك وعاقبه)). فتوح، ص455.

(195) زيدان، التمدن، ج1، ص112 ؛ الكرملي – العزيزي، لمحة في تاريخ النقود، ص93.

(196) الدميري، حياة الحيوان، ج1، ص72.

أن الخليفة عبدالملك بن مروان وضع اسس الاصلاح والتعريب وقاده بنفسه، ولذلك سجل هذا الانجاز الكبير في التاريخ العربي الاسلامي باسم الخليفة عبدالملك بن مروان، ومع ذلك كان لابد للخليفة من الاعتماد على ولاته الأقوياء في انجاح هذا الاصلاح الكبير، ولاسيما في الولايات البعيدة كالعراق، فكان للحجاج بن يوسف الثقفي دور متميز في ذلك.

ولتنفيذ هذا الاصلاح بعث الخليفة عبدالملك بالسكة إلى الحجاج [197]، وامره أن يضرب الدراهم على وزن (خمسة عشر) قيراطاً [198]، فسأل الحجاج عما كان يعمل به في ضرب الدراهم، فاتخذ دار ضرب، وجمع فيه الطباعين، فكان المال يضرب للسلطان مما يجتمع له من التبر، وخلاصة الزيوف [199]، والستوقة [200]، والبهرجة [201]، ثم اذن للتجار وغيرهم في أن تضرب لهم النقود [202]، مقابل دفع اجرة مقدارها (درهم) واحد لكل مئة درهم، وهو ثمن الحطب وأجرة الضرابين [203]، وختم على ايدي الصناع والطباعين [204]، وذلك منعاً من تلاعبهم.

---

(197) المقريزي، شذور، ص7.

(198) البلاذري، فتوح، ص452.

(199) الزيوف، ينظر ص30.

(200) الستوقة: الستوق من الدراهم ما غلب عليه الغش، وهو ما كان الصفر أو النحاس وهو الغالب والأكثر. الكرملي، النقود العربية، ص50، هامش رقم (4).

(201) البهرجة: الدرهم البهرج ما يرده التجار. الكرملي، النقود العربية، ص50، هامش (4).

(202) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ قدامة، الخراج، ص59.

(203) المقريزي، شذور، ص8 ؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص50 ؛ ضرار، صالح ضرار، الحجاج، ص112.

(204) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ قدامة، الخراج، ص59.

ويبدو أنَّ محاولات جرت لضرب النقود خارج دور الضرب التابعة للدولة، على الرغم من منع الحجاج ذلك[205]، ومنها محاولة سُمَير اليهودي[206]، الذي سكها من فضة خالصة مخلوطة بالذهب وأراد الحجاج قتله، إلاّ أنه عفا عنه، بعد أن وضع للناس صنج الأوزان، ثم استخدمه بعد ذلك في الاشراف على الدراهم التي ضربها على الطراز العربي الاسلامي الخاص[207] وقد ضرب الحجاج بن يوسف الثقفي، دراهمه أول الأمر على الطراز الساساني (البغلية)، وكتب عليها ((بسم الله الحجاج)) [208]، لذلك يُعد الحجاج أول أمير في الدولة العربية الاسلامية يكتب اسمه على الدراهم لكنه غيّرها اثناء تطبيق عملية التعريب، فضربها على الطراز العربي الاسلامي الخاص، وكتب عليها ((الله احد الله الصمد))[209]، فقيل كره الفقهاء ذلك، فسميت

---

(205) المقريزي، اغاثة الامة، ص54.

(206) وهو من تيماء (بلدة في بلاد الشام)، ضرب النقود للحجاج فسميت (الدراهم السميرية) ونُسبت إليه. البلاذري، فتوح، ص454 ؛ العسكري، الأوائل، ص206 ؛ المقريزي، شذور، ص7 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م2، ص67.

(207) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ المقريزي، شذور، ص7.

(208) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص132.

(209) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ الماوردي، الاحكام، ص154. ومن الجدير بالذكر ان بعض دور السك استمرت تضرب الدراهم على الطراز العربي– الساساني حتى سنة (83هـ) ثم اهمل عدا ما كان يضرب في طبرستان، فقد استمر حتى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. النقشبندي، الدرهم الاسلامي، ص2.

(المكروهة)، لمكان القرآن فيها، لأن الجُنب والحائض يمسها[210]، ((ويقال ان الاعاجم كرهوا نقصانها فسميت مَكروهة))[211].

وهناك رواية ثالثة، تقول بأن الخليفة العباسي المنصور لم يكن يقبلها في الخراج لهذا سميت مكروهة[212].

ويبدو أنَّ التفسير الديني لتسمية دراهم الحجاج بـ (المكروهة)، غير صحيح، وذلك لأن النقود التي ضربها الخليفة عبدالملك بن مروان قد كتب عليها (سورة الاخلاص)، فضلاً عن أن غالبية أهل المدينة من الصحابة والفقهاء لم ينكروا ذلك، ولم يَر الامام مالك بها بأساً[213]، بل تعامل بها سعيد بن المسيب[214]، ولذلك رفض الخليفة عمر ابن عبدالعزيز ان يمحوا ما عليها من آيات قرآنية[215].

---

(210) العسكري، الأوائل، ص206 ؛ الماوردي، الاحكام، ص154 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص417 ؛ المقريزي، اغاثة الامة، ص57.

(211) البلاذري، فتوح، ص454 ؛ الماوردي، الأحكام، ص154.

(212) الماوردي، الاحكام، ص154.

(213) سئل مالك بن أنس عن رفع الآيات القرآنية من النقود فأجاب: ((أول ما ضُربت على عهد عبدالملك بن مروان والناس متوافرون فما أنكر أحد ذلك، وما رأيت اهل العلم انكروه، ولقد بلغني أنَّ ابن سيرين كان يكره أن يبيع بها ويشتري، ولم أر أحد منع ذلك ههنا، يعني رحمه الله اهل المدينة النبوية)). شذور، ص10.

(214) سعيد بن المسيب: سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. قيل توفي سنة (95ه/ 713م). ابن سعد، الطبقات، م5، ص119 ؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص206.

(215) المقريزي، شذور، ص10 ؛ اغاثة الامة، ص58.

أما ما قيل عن كرهها بسبب نقصان وزنها، فالحقيقة ان أحداً من الخلفاء لم يضرب الدراهم على الوزن الشرعي قبل الخليفة عبدالملك بن مروان، ومع ذلك فلم يسم أحد تلك الدراهم بـ (المكروهة)، بل اطلقوا على دراهم الخليفة معاوية التي ضربها ناقصة (السود الناقصة)[216]، لكل ذلك فأرجح العامل السياسي في تفسير هذه التسمية، إذ ترد في رواية البلاذري عبارة (كره الاعاجم نقصها)، فكلمة الاعاجم هنا تعني غير العرب وغالبيتهم بالتأكيد من الفرس، وهذا يبرز دور الروايات الشعوبية، التي التقت مع أعداء الحجاج الكثيرين، ممن اشترك ضده، في حركة ابن الزبير أو في تمرد ابن الاشعث، ومن الموالي خاصة، وكذلك من الدهاقين الذين تأثرت مصالحهم بسبب هذا الاصلاح[217]، كل هؤلاء التقت مصالحهم ضد الحجاج، فوصلت إلينا الكثير من الروايات ذات النفس الشعوبي التي حاولت جاهدة تشويه صورة الحجاج، والتصغير من انجازاته، ومن ثم اعطاء صورة مشوهة عن الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي.

ومن جهة أخرى قام الحجاج ايضاً بادخال اصلاحه (تنقيط الحروف) على النقود أيضاً، فيلاحظ ومنذ سنة (78ه/ 697م) ان النقط بدأت توضع على الكلمات المنقوشة على الدنانير، ولكن ليس في مكانها الصحيح، ثم بدأت توضع في مكانها الصحيح منذ سنة (82ه/ 701م)، وحتى سنة (106ه/ 724م) تقريباً، إذ تبدو الدنانير خالية من النقط، إلاّ في بعضها. وكذلك الحال بالنسبة للدراهم فيلاحظ بداية وضع النقط على الحروف من سنة (81ه/ 700م) وحتى

---

(216) المقريزي، شذور، ص5.

(217) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص258.

سنة (131هـ/ 748م)[218]، وكان الحجاج يهدف من ذلك إلى ايجاد صيغة موحدة للكتابة في جميع انحاء الدولة، وللمحافظة على سلامة اللغة العربية وصيانتها.

ولكن يلاحظ بعد فترة ان هذه النقط رُفِعت، ربما لثبوت هذا الاصلاح ومعرفة الناس له، ولتسهيل حفر الكلمات على قوالب سك العملة ايضاً.

وحدث تطور بسيط في الكتابة على النقود في هذه الفترة ايضاً، حيث رفع حرف (في) سنة (81هـ/ 710م) من نص كتابة الدينار ومن الدرهم المضروب في دمشق وأرمينية، وترك استعماله من دراهم واسط، سنة (99هـ/ 717م)، إلاّ انه ظل يُستعمل في المدن الأخرى[219].

وظلت هناك اختلافات بسيطة في نصوص الدينار العربي وأجزائه في الاقاليم الشرقية عنها في الاقاليم الغربية، غير ان الدنانير الاموية توحدت كتاباتها في كل انحاء الدولة سنة (114هـ/ 732م)[220].

من كل ما مرّ يتبين لنا الدور الكبير الذي اضطلع به الحجاج بن يوسف الثقفي في تنفيذ هذا الانجاز العربي الكبير وتدعيمه في ولايته (العراق والمشرق الاسلامي)، مما جعل اسم الحجاج يُقرن باسم الخليفة عبدالملك بن مروان في

---

(218) تبين لي ذلك من دراسة كتاب: النقشبندي، الدينار الاسلامي، وكتابي (Walker)، ومحمد، فجر السكة العربية.

(219) محمد، فجر السكة، ص292، 350، 384 ؛ النقشبندي ومهاب البكري، الدرهم الاموي المعرب، ص13.

(220) النقشبندي، الدينار، ص25-26، 28 ؛

Walker: op. cit. vol. I. P. lviii , 99, 100, 101.

هذا الانجاز الكبير، بل ذهب الماوردي[221] إلى ابعد من ذلك عندما قال: ((... بل ضربها الحجاج))، في سياق كلامه عن أول من ضرب النقود في الاسلام.

5ـ النقود في أفريقية والمغرب:

في الوقت الذي كانت السكة في المشرق في مراحل الاصلاح والتعريب الأولى، كانت أحوال أفريقية والمغرب السياسية مضطربة،... وبعد أن تمكن حسان بن النعمان الغساني من تحرير قرطاجة للمرة الثانية سنة (79هـ/ 698م) نظم أحوالها الإدارية[222]، وضرب نقوداً نحاسية على الطراز البيزنطي – العربي سنة (80هـ/ 699م) ووصل إلينا قسم منها وعليها اسم النعمان[223].

وسمح الولاة أول الأمر بتداول السكة البيزنطية السائدة، لعدم استقرار موقفهم السياسي فأصبحت لنقود افريقيا والمغرب سمات مميزة من نقود المشرق في هذه المرحلة. ثم اتبعوا بعد ذلك خطوات اصلاحية تدريجية منذ عهد الوالي موسى بن نصير، ووصلت إلينا فلوس نحاسية كثيرة عليها اسم الوالي موسى بن نصير، وهي على طراز عربي – لاتيني، تنحصر فيما بين سنة (80هـ/ 699م

---

(221) الأحكام السلطانية، ص154. وهي رواية المدائني. وكذلك يقول اليعقوبي: ((وفي ايام عبدالملك بن مروان نقشت الدراهم والدنانير بالعربية وكان الذي فعل ذلك الحجاج بن يوسف)). التاريخ، ج3، ص27.

(222) ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح مصر وأخبارها، (ليدن – 1930م)، ص201 ؛ القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تح، المنجي الكعبي، (تونس – 1967م)، ص64.

(223)Walker: op. cit. vol. 2. P. Xivi. 58-59.

وسنة(85هـ/ 704م)[224]، واستمر بهذا الشكل حتى تم تعريبها تماماً بحدود سنة (108هـ/ 726م)[225].

أما بالنسبة للدينار، فقد تأخر اصلاحه وتعريبه عن المشرق أيضاً، فكان لابد من التدرج في ضربه، ففي الوقت الذي كانت تُضرب فيه الدنانير في دمشق ومصر على الطراز العربي الاسلامي الخاص كانت الدنانير تُضرب في أفريقية والمغرب بطابعها اللاتيني الخاص، ثم تطورت فضُربت بالحروف اللاتينية والعربية، التي استمرت بهذا الشكل حتى ضُرب بشكله العربي الاسلامي الخاص بحدود سنة (102هـ/ 720م) حيث ظهر أول دينار عربي خالص في أفريقية[226].

---

(224) محمد، فجر السكة، ص80 ؛

Walker: op. cit. vol. 2. P. Xivi. 59-61.

(225) الحسيني، تطور النقود العربية، ص53.

(226) محمد، فجر السكة، ص82 ؛

Walker: op. cit. vol. 2. P 99.

الفصل الثاني
التنظيمات المالية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان

قال أبو جعفر المنصور:

((الخلفاء ثلاثة: معاوية وكفاه زياد.. وعبد الملك وكفاه الحجاج.. وأنا ولا كافي لي... (و) كان عبد الملك أشدهم شكيمة وأمضاهم عزيمة))

البلاذري، الانساب، ص172 (اهلورت).

الفصل الثاني
التنظيمات المالية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان

المبحث الأول
أسس التنظيمات المالية حتى عصر الخليفة عبدالملك بن مروان

عندما تأسست الدولة العربية الاسلامية بقيادة الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة لم يكن هناك نظام مالي متكامل، ولاسيما في مجال الضرائب ومنها (الجزية والخراج)، التي أصبحت فيما بعد عماد بيت المال، لذلك طبق الرسول محمد ﷺ في مجال الضرائب هذه، النصوص القرآنية التي عالجت جوانب من هذا النظام، واجتهد في الجوانب الأخرى، التي لا يوجد نص قرآني يوضحها. وتعد الضرائب وأنظمتها من جوانب التشريع المالي المهمة في الاسلام، وقد نمت وتطورت هذه النظم تبعاً لنمو وتطور الدولة، وازدياد الحاجات وتغير الظروف وظهور المستجدات، ثم جاء دور الفقهاء الذين أخذوا بنظر الاعتبار واقع المجتمع الجديد وتحوله مستندين على النظم الاسلامية في ذلك فوضعوا أسس السياسة المالية التي كونت بمجملها النظام المالي في الاسلام.

ونرى من الضروري القاء نظرة على الأسس والمبادئ والتدابير العملية المالية في عصر الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين، ولاسيما في موضوع الضرائب، لأنها بمجموعها شكلت النظام المالي الذي اعتمد وسار عليه الأمويين فيما بعد، آخذين بنظر الاعتبار تغيّر الظروف والأحوال، وظهور مستجدات، كثيرة حتمت على الأمويين تعديل بعض الجوانب التي لا تتعارض مع النصوص القرآنية.

ونستعرض فيما يأتي باختصار مفاهيم (الجزية والخراج)[1]، وتدابير الرسول محمد ﷺ العملية في ذلك:

1ـ الجزية:

الجزية في الاسلام ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة[2] للمسلمين ((لأن دمائهم وأموالهم إنما احرزت بأداء الجزية))[3]، فضلاً عن اعفائهم من الخدمة العسكرية[4]، ويقول الماوردي[5] في أصل تسميتها: ((فالجزية موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء أما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغاراً، وأما جزاءً على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاً)).

---

(1) لم يكن العرب المسلمون أول من فرض (الجزية والخراج). فقد فرضها البيزنطيون والساسانيون على راعياهم وكانت ثقيلة. ينظر: جرجي زيدان، التمدن، ج1، ص188 ؛ ناجي معروف، الضمان الاجتماعي في الاسلام، مجلة أقلام، ج7، السنة الاولى (1965م)، ص3 ؛ كريستنسن، = = ايران في عهد الساسانيين، ص110-113 ؛ الريس، الخراج، ص43 ؛ بتلر، فتح العرب لمصر، ص393- 394.

(2) عن تحديد أصناف أهل الذمة. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص122 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص653 – 655 ؛ الماوردي، الاحكام، ص143؛ ابن قدامة، المغني، ج8، ص496 وما بعدها.

(3) أبو يوسف، الخراج، ص123، 139 ؛ البلاذري، فتوح، ص143 ؛ قدامة، الخراج، ص225.

(4) معروف، ناجي، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط6، مط، العاني، (بغداد – 1966م)، ص55 ؛ فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، ص226.

(5) الاحكام، ص142 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص137 ؛ ابن القيم، احكام، ق1، ص22.

فرضت الجزية في السنة التاسعة للهجرة، أثناء غزوة تبوك[6]، بنص قرآني مجمل[7]. لذلك فقد اجتهد الرسول محمد ﷺ في ذلك، حيث حددها في الغالب بدينار واحد[8]، واحياناً فرضها ضريبة مشتركة محددة على المنطقة[9]، كما قبلها مواد عينية أيضاً[10]. وبذلك فإن الرسول محمد ﷺ راعى في فرض الجزية أحوال البلاد المعاشية، وقدرة أهل البلاد على دفعها، فقد قبلها عينية من أهل نجران تخفيفاً عنهم، وأعفى النساء والأطفال والمرضى. أي أن الجزية أصبحت تؤخذ من أهل الذمة، من الذكور البالغين العقلاء، وأعفي منها النساء والأطفال، والمرضى والمجانين والعميان والشيوخ، والرهبان[11]، إلاّ أن يكونوا من أهل اليسار[12]. وتسقط باسلام الذمي أو موته[13]، ولا تقبل من العرب عبدة الاوثان، أو من المرتدين فهؤلاء لا تُقبل منهم الجزية، فإما الإسلام وإما

(6) الصولي، اداب، ص214.

(7) سورة التوبة/ آية (29). وقد بحث الفقهاء والمؤرخون الجزية بعد ذلك مفصلا. ينظر فضلا عما ذكر من مصادر: الشافعي، الام، ج4، ص175 ؛ أبو عبيد، الاموال، ص26-33؛ الطبري، اختلاف الفقهاء، ص199 وما بعدها ؛ ابن قدامة، المغني، ج8، ص495 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج8، ص237.

(8) البلاذري، فتوح، ص70، 83، 89 ؛ الصولي، أدب، ص214 ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص31.

(9) البلاذري، فتوح، ص48، 71، 76 ؛ الصولي، أدب، ص214.

(10) البلاذري، فتوح، ص75 ؛ الصولي، أدب، ص214 ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص31.

(11) قدامة، الخراج، ص225.

(12) أبو يوسف، الخراج، ص122 ؛ الصولي، أدب، ص214.

(13) أبو يوسف، الخراج، ص122-123 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص59-61 ؛ الماوردي، الاحكام، ص137 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص143.

السيف[14]، وربما من جملة أسباب موقف الرسول محمد ﷺ هذا من العرب هو العمل على توحيد أمة العرب وعدم إذلالهم بالجزية.

2ـ الخراج:

الخراج كلمة عربية ورد ذكرها في القرآن الكريم[15]، ويعني في العربية، اسماً للكراء والغلة[16].

والخراج: مقدار معين من المال أو الحاصلات الزراعية، يفرض على الاراضي التي انضمت إلى لواء الدولة العربية الاسلامية أي ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدئ عنها، فهي فيء موقوف على اجتهاد أولي الأمر[17]، ويؤخذ الخراج من أراضي الصلح[18]، والعنوة، التي عدل الامام عن تقسيمها وابقائها بيد اصحابها وفرض عليها الخراج[19]، ولا يسقط الخراج بالاسلام[20].

وقد عالج الرسول محمد ﷺ موضوع الأراضي سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجها، فلكل حالة ظروفها الخاصة، فحين حرر خيبر، خمسها وقسمها[21]

---

(14) قدامة، الخراج، ص224.

(15) قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ سورة المؤمنون / آية: 72.

(16) أبو عبيد، الاموال، ص93 ؛ رقم(182) ؛ الماوردي، الأحكام، ص146.

(17) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص146.

(18) أبو يوسف، الخراج، ص69 ؛ الماوردي، الأحكام، ص147.

(19) أبو يوسف، الخراج، ص69 ؛ الماوردي، الأحكام، ص147.

(20) الماوردي، الاحكام، ص137 ؛ ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ق1، ص137.

(21) البلاذري، فتوح، ص36 ؛ قدامة، الخراج، ص206 ؛ مجهول، رسالة في الأموال، ورقة (39ب).

بوصفها غنيمة، لكنه عدل عن ذلك، فصالح أهلها على نصف انتاج الأرض[22]، وفعل الرسول محمد ﷺ الشيء نفسه مع أهل وادي القرى[23]، كما لم يقسم النبي ﷺ أراضي الصلح مثل أراضي بني النضير[24].

أما الأراضي العربية الأخرى، فقد فرض على بعضها العُشر أو نصف العُشر، كأرض اليمن[25]، أو قاسم أهلها الثمر كما فعل مع أهل البحرين[26].

وبذلك يتبين لنا أنه من الصعوبة اعطاء قاعدة ثابتة ومحددة لمقدار ضريبة الخراج في هذه الفترة.

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ توسعت الدولة العربية الاسلامية كثيراً، مما أوجد مشاكل كثيرة، استوجبت التنظيم،..... فوضع الخليفة عمر ﷺ أسس التنظيم المالي للدولة العربية الاسلامية، معتمداً على القرآن، والمفاهيم الاسلامية، وتدابير الرسول محمد ﷺ العملية، ومستنداً على شورى الصحابة في ذلك كما استفاد من التنظيمات المحلية في الاقاليم المحررة، مراعيا طريقة التحرير (عنوة أم صلحاً). وكانت هذه التنظيمات المحلية سبباً في الاختلاف الواضح في تنظيمات الضرائب في الاقاليم المحررة. ومما كرس هذا الاختلاف أيضاً، اختلاف لغات دواوين الخراج في هذه الاقاليم.

---

(22) البلاذري، فتوح، ص37.

(23) أبو يوسف، الخراج، ص50 ؛ البلاذري، فتوح، ص47.

(24) البلاذري، فتوح، ص31.

(25) أبو يوسف، الخراج، ص37، 59 ؛ ابو عبيد، الأموال، ص35، رقم (65) ؛ البلاذري، فتوح، ص82.

(26) البلاذري، فتوح، ص89.

وعند تنظيم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ للضرائب، ((راعى في كل أرض ما تحتمله))[27]، كما راعى نوع المحصولات الزراعية[28]، وقرب الأرض الزراعية وبعدها عن الأسواق[29]، ثم طريقة سقي الأرض[30].

لهذه الأسباب كانت تنظيمات الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مختلفة نوعاً ما من قطر لآخر، مما استوجب دراسة كل قطر على حدة، لتتبع عملية تطور وتنظيم واصلاح هذه الضرائب بتطور الظروف والحاجة.

السواد[31]:

بعد تحرير أرض السواد عنوة[32]، رفض الخليفة عمر ﷺ – وبعد مشاورة الصحابة – أن يقسم الأرض على الجند، مستنداً على آية الفيء[33]، إذ كتب إلى

---

(27) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص148 ؛ أبو يعلي، الاحكام، ص151.

(28) الماوردي، الاحكام، ص148 ؛ ابو يعلي، الاحكام، ص151.

(29) قدامة، الخراج، ص367-368؛ الماوردي، الاحكام، ص148؛ أبو يعلي، الاحكام، ص151.

(30) ابو يوسف، الخراج، ص37.

(31) يقول ابو عبيد: ((ان حد السواد... من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء الى ساحل البحر، ببلاد عبادان، من شرقي دجلة، هذا طوله أما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، فهذه حدود السواد وعليه وقع الخراج. الأموال، ص92، رقم (182). اما الماوردي فيجعل السواد أطول من العراق. الاحكام، ص166-167. اما ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ وابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص104 فيجعلان السواد أقصر من العراق.

(32) ينظر تفاصيل تحرير السواد في: أبو يوسف، الخراج، ص23 فما بعد ؛ أبو عبيد، الاموال، ص74-78 ؛ ابن آدم، الخراج، ص27 فما بعد.

(33) سورة الحشر / آية (6-9).

سعد ابن أبي وقاص: ((أما بعد... فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما اجلب الناس عليك به إلى العسكر من كراع ومال، فاقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها... فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء))[34]. أي جعل الخليفة عمر ﷺ الأرض ملكاً للأمة ووقفاً عليها، وأبقاها بيد اصحابها بعد أن وضع الخراج عليها، حيث أرسل (عثمان بن حنيف) و(حذيفة بن اليمان)، فمسحا السواد، وبلغت مساحته (ستة وثلاثين ألف الف جريب)[35]، وراعى عمر ﷺ أحوال زارعيها ووضع عليها أقل مما تحتمل[36]، ويؤكد الفقهاء والمؤرخون ان الخليفة عمر ﷺ وضع على كل جريب من الأرض ((عامراً أو غامراً يناله الماء... زرع أو عطل درهما وقفيزاً))[37]، ويبدو ان ضريبة الخراج هذه وضعت في بداية المسح، ثم غيرها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى تنظيم أثبت وأشمل، حين وضع ضريبة الخراج على وحدة المساحة (الجريب) حسب نوع المحاصيل الزراعية وبمقادير محددة، تتراوح بين درهمين،

---

(34) أبو يوسف، الخراج، ص24 ؛ ابن آدم، الخراج، ص48 ؛ البلاذري، فتوح، ص265.

(35) أبو يوسف، الخراج، ص36 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص86-87 ؛ البلاذري، فتوح، ص268 ؛ قدامة، الخراج، ص366-367 ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص133.

- الجريب: في الأصل مكيال، وهنا مقياس مساحة، وهو ستون ذراعاً طولا في مثلها عرضاً، يكون تكسيرها (3600) ذراع مكسرة، ومعنى الذراع المكسرة أن يكون طولها وعرضها ذراعاً، ويحدد هنتس الجريب بـ (1592م^2). الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص44 ؛ الكرملي، النقود، ص31، حاشية رقم (2) ؛ هنتس، المكاييل والاوزان، ص96.

(36) ينظر: أبو يوسف، الخراج، 37، 38، 48 ؛ أبو عبيد، الاموال،، ص51، رقم (106).

(37) ابو يوسف، الخراج،ص36، 38 ؛ ابن آدم، الخراج، ص55 ؛ البلاذري، فتوح، ص268 ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص142 ؛ قدامة، الخراج، ص367 ؛ الخطيب، تاريخ بغداد، م1، ص11.

واثني عشر درهما للجريب المزروع في السنة[38]، وبذلك أصبحت أرض السواد خراجية، ما عدا الحيرة وأليس، وبانقيا فانها عشرية، ولا يسقط خراج الارض بتبدل مالكها أو بيعها، لأن الضريبة أصبحت على الأرض وليست على المالك[39].

وكذلك شمل مسح السواد السكان فوجد أن عدد من تجب عليه الجزية في السواد هو (خمسمائة ألف)[40]، وفي رواية أخرى (خمسمائة وخمسون ألفا)[41]، قسمهم الخليفة عمر ﷺ ثلاث درجات حسب مستواهم المعاشي، فجعل على الأغنياء (48) درهماً، وعلى متوسطي الحال (24) درهما، وعلى من دونهم (12) درهما[42]، وبذلك فرض الخليفة عمر ﷺ الجزية على كل الذميين في السواد عدا بني تغلب[43]، حيث جعل عليهم الصدقة مضاعفة[44]، وذلك لاعتبارات قومية وسياسية وعسكرية تطلبتها ظروف الدولة حينذاك.

---

(38) عن مقادير الخراج الذي وصفه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على مختلف المحاصيل الزراعية. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص36-37 ؛ الصولي، أدب، ص218 ؛ أبو عبيد، الأموال، ص87-88، رقم (172، 173) ؛ الخطيب، تاريخ بغداد، م1، ص11.

(39) ابن آدم، الخراج، ص22 ؛ البلاذري، فتوح، ص268 ؛ قدامة، الخراج، ص207 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، م1، ص580.

(40) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص105 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص133 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص234.

(41) البلاذري، فتوح، ص270.

(42) أبو يوسف، الخراج، ص36، 122 ؛ الشافعي، الام، ج4، ص180 ؛ البلاذري، فتوح، ص271 ؛ الصولي، أدب، ص215 ؛ الماوردي، الاحكام، ص144.

(43) أبو يوسف، الخراج، ص122 ؛ الشافعي، الام، ج4، ص175 ؛ ابو عبيد، الاموال، ص36-37.

(44) أبو عبيد، الاموال، ص37 ؛ البلاذري، فتوح، ص186-187.

ومما يلاحظ على ضريبة الجزية زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنها زادت عما كانت عليه زمن الرسول محمد ﷺ، كما انها نظمت على ثلاث درجات، وذلك لتغير الظروف وتطور الاحوال[45].

كما قام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بتنظيم الصوافي[46]، إذ استصفى عشرة أنواع من الأراضي هي[47]: أرض من قتل في الحرب، وأرض من هرب، وكل أرض كانت لكسرى، وكل أرض كانت لأحد من أهله، وكل مغيض ماء، وكل دير بريد، وكل صافية اصطفاها كسرى، والآجام، واوقاف بيوت النار، والارحاء.

وقد بلغ ايراد هذه الصوافي زمن الخليفة عمر ﷺ (سبعة الالف ألف درهم) سنوياً[48].

الجزيرة الفراتية:

تقع الجزيرة الفراتية بين غربي نهر دجلة وشرقي نهر الفرات، ويحدد الاصطخري حدودها، بانها تمتد على الفرات من شمال مالطية بمسيرة يومين شمالاً إلى الأنبار جنوباً، وعلى دجلة من أرمينية شمالاً إلى تكريت جنوباً[49].

---

(45) ابن القيم، احكام اهل الذمة، ق1، ص31.

(46) الصوافي: وهي الأراضي التي حررت ولا مالك لها، وقد أقطع منها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كما اقطع منها الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أيضاً. أبو يوسف، الخراج، ص58، 62 ؛ ابن آدم، الخراج، ص61-73 ؛ أبو عبيد، الاموال، ص352-353 ؛ البلاذري، فتوح، ص345-346 ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م1، ص595.

(47) أبو يوسف، الخراج، ص57- 58 ؛ ابن آدم، الخراج، ص63-64 ؛ البلاذري، فتوح، ص272 ؛ الدوري، النظم، ص120.

(48) أبو يوسف، الخراج، ص57 ؛ البلاذري، فتوح، ص272 ؛ قدامة، الخراج، ص217.

(49) المسالك والممالك، ص52.

حررت الجزيرة الفراتية على عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على يد عياض ابن غنم[50]، وحررت القرى والمدن صلحاً، وريفها عنوة[51]، ومن أهم المدن التي حررها العرب المسلمون صلحاً، الرها، عاصمة الاقليم[52]، وقال عياض: ((الارض لنا وقد وطئناها وأحرزناها فأقرها في ايديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه إلى المسلمين على العشر)) [53]، وبذلك أصبح في الجزيرة نوعان من الأراضي: الاراضي الخراجية، وهي غالبية الاراضي (أراضي أهل الذمة) والاراضي العشرية، التي امتلكها العرب. كما ((وضع (عياض) الجزية على كل رجل منهم ديناراً في كل سنة ووظف عليهم مع الدينار مدين[54] قمحاً، وقسطين[55] زيتاً، وقسطين خلاً، وجعلها جميعاً طبقة

---

(50) ابو يوسف، الخراج، ص40 ؛ البلاذري، فتوح، ص179.

(51) البلاذري، فتوح، ص179.

(52) أبو يوسف، الخراج، ص40.

(53) البلاذري، فتوح، ص177.

(54) المُد: مكيال، يختلف باختلاف البلدان والازمان، فهو في فجر الاسلام، وخاصة في المدينة المنورة يساوي (ربع) صاع. وهو يساوي (1,053) لتر. هنتس، الاوزان والمكاييل، ص74-75.

(55) القسط: مكيال، وهو في العراق حجمان: القسط الصغير ويعادل وزناً قدره (3) أرطال من السوائل، أي ان سعته (1.2158) لتر. والقسط الكبير، وهو ضعف الصغير. وفي مصر كان القسط الواحد فيما يبدو يساوي (نصف) صاع، أي ان سعته (2.106) لتر. هنتس، الاوزان، ص65-66.

واحدة))[56]، وعد الدينار جزية، والمواد العينية ضريبة الارض، ثم عقدت أغلب مدن الجزيرة عقود صلحها على مثل صلح الرها[57].

وقد عدل نظام الضرائب بعد ذلك، فيقول ابو يوسف[58]: ((فأما من ولي من الخلفاء المسلمين (الجزيرة) بعد فتحها فانهم قد جعلوا اهل الرساتيق أسوة اهل المدائن إلا في ارزاق الجند فانهم حملوها عليهم دون اهل المدائن... انما فعلوا ذلك لأن أهل الرساتيق أصحاب الأرضين والزرع، وان اهل المدائن ليسوا كذلك)).

وبذلك يبدو انه فرض على أهل الريف المواد العينية – على قدر الطاقة – وعلى أهل المدن النقود. ثم قام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد ذلك باعادة تنظيم الجزية في المدن حسب امكانيات الافراد المالية، فيقول البلاذري[59]: ((اخذ الزيت والخل والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم، واقتصر على (48) درهما و(24) درهما و(12) درهما، نظراً من عمر ﷺ للناس، وكان على كل انسان (ان يدفع) مع جزيته مُدا قمح وقسطين زيتاً وقسطين خلاً)).

---

(56) ابو يوسف، الخراج، ص41 ؛ البلاذري، فتوح، ص177-178. ويوضح لنا ابو يوسف عقد الصلح مع أهل الرها، فيذكر ان أبا عبيدة كتب إلى عياض بن غنم، أن يؤدوا على قدر الطاقة. فأخبر عياض أهل الرها بذلك، فقال قائل ((قبلوا الصلح على قدر الطاقة. وقال آخر: انكروا ذلك وعلموا ان في ايديهم اموالا وفضولا تذهب ان اخذوا بالطاقة وأبو إلا شيئاً مسمى)) فصالحهم عياض على ما سألوا. الخراج، ص40.

(57) البلاذري، فتوح، ص180- 183.

(58) الخراج، ص40-41.

(59) فتوح، ص182.

ويبدو ان اسباب التعديل هذا هو قلة حاجة القوات العسكرية النسبي للمواد الغذائية بعد استكمال تحرير الجزيرة واستقرارها، ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تخفيف الضرائب عن كاهل السكان، ثم ايجاد تنظيم شامل وموحد للضرائب في جميع انحاء الدولة.

بلاد الشام:

لقد تمكن العرب المسلمين من تحرير أغلب مدن بلاد الشام صلحاً، وعقدوا معاهدات صلح مع أهل هذه المدن، كلاً على حدة، لأن لكل مدينة كانت إدارة محلية تفاوض عن اهلها[60]، ووضعت الضرائب على هذا الأساس أول الأمر، ففرضت على بعض المدن ضريبة محددة، كمدينة دمشق، حيث ((الزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب[61] حنطة، وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين))[62].

أما مدينة بعلبك فقد صالحهم أبو عبيدة على أن أَمَنهُم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وكتب لهم بذلك كتاباً، فرض على من أقام منهم: ((الجزية والخراج))[63].

---

(60) دينيت، الجزية والاسلام، ترجمة، فوزي فهيم، دار مكتبة الحياة، (بيروت–1960م)، ص96.

(61) الجريب: هو مقياس كيل ومساحة، والمقصود هنا مكيال، يساوي (7) أقفر. هنتس، الأوزان والمكاييل، ص61، ويساوي حوالي (10.448) كيلو غرام قمح، ويساوي (132.213) لتر من الماء. ابن الرفعة، الايضاح والتبيان، ص87.

(62) البلاذري، فتوح، ص131.

(63) المصدر نفسه، ص136.

وهناك مدن أخرى فرضت عليها ضريبة محددة مثل مدينة حمص، حين طلبت الأمان من أبي عبيدة فصالحهم على مبلغ قدره (مائة ألف وسبعون ألف) دينار[64]، وفي رواية أخرى يذكر البلاذري إن أهل حمص صالحوا ابا عبيدة على أن امنهم على أموالهم وومتلكاتهم وكنائسهم، ((واشترط الخراج على من أقام منهم)) [65].

أما مدينة اللاذقية، فقد صالح أهلها أبا عبيدة ((فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا)) [66].

أما مدن فلسطين فقد صالحهم العرب المسلمون على أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم، وهي مدن، غزة، وسبسطية، ونابلس، ولد، ويبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وايلياء (بيت المقدس) [67].

وبذلك يتبين لنا أن الضرائب في بلاد الشام كانت مختلفة تبعاً لاختلاف ادارات مدن البلاد، وطبيعة التحرير وشروط الصلح، فلذلك كان من الضروري تنظيم واصلاح النظام المالي فيها، فتم ذلك بعد استكمال تحرير البلاد، وانتهاء الحركات العسكرية، واستقرار البلاد، ويوضح ذلك البلاذري[68] قائلاً: ((كانت الجزية بالشام في بدء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها

---

(64) البلاذري، فتوح، ص136. يذكر دينيت ان المبلغ المفروض على حمص هو (مائة ألف وسبعين ديناراً)). ص103.

(65) البلاذري، فتوح، ص137. ((والحقيقة ان حمص دخلتها الجيوش العربية الاسلامية أكثر من مرة)). ينظر: البلاذري، فتوح، ص137 وما بعدها.

(66) المصدر نفسه، ص139.

(67) المصدر نفسه، ص144.

(68) فتوح، ص131 ؛ أبو عبيد، الاموال، ص49، رقم (101).

عمر بن الخطاب ﷺ على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى اهل الورق أربعين درهما، وجعلها طبقات لغنى الغني واقلال المقل، وتوسط المتوسط))، وهناك رواية أخرى تقول: ((ان عمر كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضربوا الجزية إلاّ على من جرت عليهم المواسي وجزيتهم (أربعون) درهما على أهل الورق منهم و(أربعة) دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت (مديان) من حنطة و(ثلاثة) أقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة، وجعل عليهم ودكا(سمناً) وعسلاً))[69]. ويستنتج من هذه الرواية ان قسماً من الجزيرة كان عملته الدينار، لأنه كان تحت سيطرة البيزنطيين، والقسم الاخر كان عملته الدراهم، لأنه كان تحت سيطرة الساسانيين.

مصر:

حررت مصر في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة (20هـ/ 641م) فما بعد، بقيادة عمرو بن العاص، واختلف المؤرخون في أمر تحريرها، هل كان ذلك صلحاً أم عنوة ؟ وناقش ذلك البلاذري[70] قائلاً: ((اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم: فتحت عنوة وقال آخرون فتحت صلحاً...))، ويؤكد البلاذري ان عمرو بن العاص حرر اليونة (بابليون) عنوة[71] – وكانت أهم مركز في مصر[72]

(69) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص152 ؛ البلاذري، فتوح، ص131، 157 ؛ ابن عساكر، تاريخ، ج1، ص179 ؛ تاريخ مدينة دمشق، م1، ص573.

(70) فتوح، ص216 ؛ ينظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص88-90 ؛ المقريزي، خطط، ج1، ص295.

(71) فتوح، ص216.

(72) كاشف، مصر في فجر الاسلام، ص12.

– وطلب صاحبها التفاوض مع المسلمين، ورضي أهل اليونة ان يعاملهم المسلمون معاملتهم لأهل الشام، فوافق عمرو بن العاص على ذلك بعد أن رفض قسمة الأرض بتوجيه من الخليفة عمر: ((أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة))[73] –، ((فوضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً وألزم كل ذي أرض مع الدينارين (ثلاثة) ارادب حنطة و(قسطي) زيت و(قسطي) عسل و(قسطي) خل رزقاً للمسلمين))[74]. كما فرض عليهم ايضاً كسوة للمسلمين، وكتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فاجازه، ((وصارت الأرض أرض خراج))[75]. ثم صالح حاكم اليونة بعد ذلك عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة ووضع الخراج على أرض مصر، فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أرادب[76] طعاماً وعلى رأس كل حالم دينارين وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ [77] ويعني هذا ان الخراج فرض بالنقد والمواد الغذائية، اما الجزية فقد فرضت بالنقد فقط.

---

(73) أبو عبيد، الاموال، ص73–74، رقم (149) ؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص88؛ البلاذري، فتوح، ص215 ؛ المقريزي، خطط، ج1، ص295.

(74) البلاذري، فتوح، ص216.

(75) البلاذري، فتوح، ص216.

(76) الاردب: مكيال مصري ضخم، يصعب تحديده بدقة، وهو حوالي (90) لتراً، وفي الوقت الحاضر يساوي في مصر (198) لتراً، ويتوافق هذا مع (150) كيلو غراماً من القمح و(120) كيلو غراماً من الشعير. هنتس، الأوزان والمكاييل، ص58–59.

(77) البلاذري، فتوح، ص217.

وبعدها حررت الاسكندرية عنوة وصالح المقوقس المسلمين على مثل صلح اليونة ولكنها نقضت، فحررت عنوة للمرة الثانية، ((فوضع عمرو بن العاص على أرض الاسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية))[78].

ثم وجه عمرو بن العاص، حملات على مدن عين شمس، والفيوم، والاشمونين واخميم وقرى الصعيد... وإلى سائر قرى أسفل الأرض فغلبوا على أرضها، فاستجمع عمرو فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج[79].

اما برقة (انطابلس)، ((فصالح عمرو أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر الف دينار))[80].

ويقول دينيت[81]: انه بعد استكمال تحرير مصر أصبحت هناك أربعة نظم ضريبية هي:

أ- اتفق العرب مع الجماعات القبطية على ضريبة نقدية اساسها ديناران لكل رجل ودينار على كل فدان، مع وجود ضريبة على نتاج الأرض، والتزامات اخرى.

ب - كانت أرض الاسكندرية أرض خراج يرى المحررون ما يشاؤون بها.

ج- كانت انطابلس تؤدي كل عام مبلغاً محدداً من المال لا يزيد ولا ينقص.

---

(78) المصدر نفسه، ص223 ؛ دينيت، الجزية والاسلام، ص121، 124.

(79) البلاذري، فتوح، ص218.

(80) البلاذري، فتوح، ص225 ؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج3، ص227.

(81) الجزية والاسلام، ص124-125 ؛ كاشف، مصر، ص52-53.

د- اراضي الحكومة والضياع السابقة، فقد استأثر العرب بها ومنها اقطعت القطائع فيما بعد.

وعلى هذا الحال استقرت الضرائب في مصر في المرحلة الأولى، ثم أجري بعد ذلك تعديل على هذا التنظيم، فيقول البلاذري[82]: ((ان اهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بعد الصلح الأول، مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين فالزم كل رجل (أربعة) دنانير فرضوا بذلك وأحبوه)).

ويذكر لنا ابن عبدالحكم[83]، ان عدد دافعي الجزية في مصر كانوا (ستة آلاف ألف)، وفي رواية أخرى كانوا (ثمانية آلاف ألف)[84]، ويظهر من الفارق بين رقمي الروايتين عدم دقة ابن عبد الحكم، وربما المبالغة ايضاً.

أما فيما يتعلق بجباية الخراج، فقد اتبع العرب نهج المركزية وأشرفوا بشكل مباشر على الجباية،عن طريق تنظيم سجلات دقيقة للأراضي والسكان والحصص الضريبية[85].

ويقدم لنا ابن عبدالحكم، وصفاً دقيقاً لتقدير وتوزيع الضريبة على القرى والأرياف، وهذا التقدير يشمل فقط ضريبة الأرض، ولا يشمل ضريبة الرأس[86]، فيقول ابن عبدالحكم[87]: ((وكان عمرو بن العاص لمّا استوسق له

---

(82) فتوح، ص218.
(83) فتوح مصر واخبارها، ص70.
(84) المصدر نفسه، ص70.
(85) دينيت، الجزية والاسلام، ص125-126 ؛ الدوري، مقدمة في التاريخ، الاقتصادي العربي، ص29.
(86) دينيت، الجزية والاسلام، ص143.
(87) فتوح مصر واخبارها، ص152-153 ؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص77 ؛ النويري، نهاية الارب، ج19، ص322-323.

الأمر أقر قبطها على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم، وان قل أهلها وخربت نقصوا، فيجتمع عرفاء كل قرية... فيتناظرون في العمارة والخراب، حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى، فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع، ثم ترجع كل قرية بقسمهم فيخرجون من الأرض احتياجات القرية العام، فاذا فرغوا نظروا الى ما في كل قرية من الصناع والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم... ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم)).

ويستنتج من هذا النص جملة أمور منها: تأثير الأرث المحلي الروماني في طريقة جباية الخراج، كما تجوز الزيادة والنقصان في الضريبة، وذلك لأن الخراج، يعتمد على حالة الزرع، والذي يعتمد بالتالي على فيضان نهر النيل[88]، وعلى قدر ما يتوسع الفلاح في زراعة الأرض، أي أن ضريبة الخراج لم تكن ثابتة محددة من عام إلى آخر[89]، بينما كانت الجزية ثابتة، وفضلاً عن ضريبة الجزية والخراج هناك ضرائب أخرى على الصناع الاجراء.

(88) المقدسي، احسن التقاسيم، ص65.

(89) دينيت، الجزية والاسلام، ص142.

المبحث الثاني
الظروف والمستجدات التي أثرت في النقص المالي

كانت الدولة العربية الاسلامية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان بحاجة إلى أموال كثيرة، لتسيير أمور الدولة وأدارتها وسد متطلبات دار الخلافة المتزايدة لتوسع الادارة وتنظيمها، ولتهدئة الاضطرابات وللانفاق على حركات التحرير والفتوح وعملية البناء والاصلاح، وللمحافظة على سلامة الدولة وأمنها واستقرارها.

فضلاً عن ذلك، فقد مرت الدولة الاموية، ولاسيما بعد موت يزيد بن معاوية سنة (64هـ/ 683م) بظروف سياسية وعسكرية حرجة، كما حدثت تحولات مالية واجتماعية واسعة.

وكانت هذه الظروف والمستجدات، هي في مقدمة الاسباب التي أدت إلى حصول النقص في مالية الدولة، مما استوجب الاصلاح والتنظيم.

1ـ زيادة النفقات المالية:

لقد كان للاضطرابات السياسية أثر كبير في حصول النقص المالي للدولة فقد حرم بيت المال المركزي من جزء كبير من خراج العراق، منذ سنة (64هـ/ 683م) وحتى سنة (72هـ/ 691م)، بسبب هذه الاضطرابات، وإذا ما عرفنا أن خراج العراق وما يضاف إليه زمن معاوية كان (655) ألف ألف درهم[90]، وان ما كان يحمل من خراج العراق إلى دمشق هو (خمسة وعشرون)

---

(90) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص221. وأرى أن هذا الرقم مبالغ فيه.

مليون درهم[91]، إذا ما عرفنا ذلك نكون قد أدركنا مدى الخسارة التي لحقت ببيت المال المركزي نتيجة لهذه الاضطرابات.

فقد صالح الخليفة معاوية الحسن بن علي ﷺ باعطائه ما في بيت مال الكوفة وهو (خمسة ملايين) درهم، وجعل له خراج داربجرد[92]، كما وافق معاوية ان يحمل إلى الحسين بن علي ﷺ في كل عام (ألفا ألف) درهم[93]. وكذلك أصبحت بيوت أموال ولاية العراق تحت سيطرة القوى السياسية المختلفة، فقد أخذ عبيد الله بن زياد، أثناء هروبه من العراق، أموالاً طائلة بلغت (تسعة عشر) مليون درهم، فرّق قسماً منها وأدخر الباقي[94]، كما أخذ المختار الثقفي اثناء سيطرته على الكوفة ما في بيت مالها وهو (تسعة) ملايين درهم وزعها على الموالي والعرب من أتباعه[95]. وكذلك كان مصعب بن الزبير، وحمزة بن عبدالله بن الزبير، قد أخذا معهما اموالا طائلة من بيت مال البصرة[96].

---

(91) محاسنة، محمد حسن سلامة، الاحوال الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، مكتوبة بالالة الكاتبة، جامعة بغداد – 1986م، ص204.

(92) الطبري، تاريخ، ج4، ص122-123.

(93) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الاخبار الطوال، تح، عبدالمنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، ط1، (القاهرة – 1960م)، ص218.

(94) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص134 ؛ التذكرة الحمدونية، ورقة (30ب).

(95) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج4، ص508 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، مخطوطة مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم (35)، ورقة (91ب).

(96) البلاذري، انساب، ج5، ص220 ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص11 ؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص578.

أما الخوارج فقد اسهموا في نقصان الخراج في بعض فترات الحكم الاموي للعراق[97]، وقد عاثوا فساداً في فارس، ((ونخروا الارض وجردوها ما بين كرمان والاحواز))[98]، وحينما اشتد خطر الخوارج على أمن الدولة اضطر الخليفة عبدالملك ابن مروان ان يعطي للمهلب بن ابي صفرة خراج ((فسا ودارابجرد واصطخر)) [99] مقابل قتاله لهم، وعند انتصار المهلب عليهم، أمر الحجاج لسائر الجند بـ (ألفي ألف) درهم، مع جوائز اخرى[100].

وفي بلاد الشام أنفق الخليفة عبدالملك بن مروان أكثر من (500) ألف درهم على أصحاب عمرو بن سعيد الأشدق حينما تخلص منه[101]، كما أنفق كثيراً على الجراجمة، واضطر إلى ادخالهم في الديوان[102].

أما على صعيد النفقات العسكرية الخارجية فكانت هي أيضاً طائلة، إذ أن الصفة العامة المميزة للدولة الأموية هي أنها دولة عسكرية[103]، وتقود حركة تحرير وفتوح عظيمة في الخارج وعملية بناء في الداخل، ولكن هذه الحركة توقفت بسبب الحرب الاهلية مما أضعف موقف الدولة تجاه اعدائها وأثقل كاهلها بالنفقات. ففي الجبهة الشمالية، تحركت الجيوش البيزنطية، فاضطر

---

(97) الخربوطلي، د. علي حسني، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي، ص401 ؛ الجومرد، الحجاج رجل الدولة، ص166.

(98) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص199.

(99) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص133 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص120.

(100) غرر السير، ورقة (20ب، 21أ).

(101) الدينوري، الاخبار الطوال، ص286.

(102) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص304 ؛ كردعلي، خطط الشام، ج1، ص149-152.

(103) الخضري، تاريخ الامم الاسلامية، ج1، ص213.

الخليفة عبدالملك إلى مصالحتهم واتفق معهم على أن يدفع لهم كل جمعة (ألف) دينار[104]، ولكن هذه الحرب عادت ثانية سنة (73ه/ 692م).

أما في الجناح الشرقي للدولة فقد اغتنم رتبيل ملك كابل الفرصة كما اغتنمت الترك أوضاع الدولة الداخلية المضطربة فأخذوا يهاجمون حدودها[105].

وبعد تعيين الحجاج على ولاية العراق، ونجاحه في القضاء على الخوارج، وجه اهتمامه إلى الجناح الشرقي للدولة، فجهز جيشاً كبيراً قوامه (أربعون) ألف مقاتل، وجعله تحت قيادة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، وأنفق الحجاج على تجهيز هذا الجيش (ألفي ألف) درهم، سوى اعطياتهم والخيل والسلاح الكامل[106]، وبعد تمرد هذا الجيش على عبدالملك والحجاج،... سيطر ابن الاشعث على سجستان وزابلستان وكرمان وفارس وجباها، ثم تمكن من السيطرة على بيت مال الحجاج في الكوفة وذخائره[107]، كما فرق الحجاج في الناس، أثناء قتاله لابن الأشعث (مئة وخمسين ألف) درهم[108]، وبعد هروب

---

(104) البلاذري، فتوح، ص164 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص2 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، مخطوطة محفوظة في المجمع العلمي العراقي برقم (1128)، ورقة (44 أ) ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص194.

(105) البلاذري، فتوح، ص389، 404.

(106) الطبري، تاريخ، ج5، ص141-142 ؛ المنتظم، ج6، ورقة (90ب) ؛ ابن خلدون، العبر، م3، ص47.

(107) غرر السير، ورقة (33 أ).

(108) الطبري، تاريخ، ج5، ص142 ؛ ابن كثير، البداية وانهاية، ج9، ص37.

ابن الاشعث إلى رتبيل اضطر الحجاج الى ترك ما كان يأخذه من أموال من رتبيل مقابل تسليم ابن الاشعث له[109].

وكان الحجاج عسكرياً من الطراز الأول وكـان مولعـاً بـالتحرير والفتـوح فيقول فيه رتبيل: ((كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيتـه ولـو لم يرجع إليه درهم)) [110]، وكان يهتم بكل ما يحتاج إليه الجيش، فحين جهز جيش محمد بن القاسم الثقفي، جهزه بكل شيء ((حتى الخيوط والمسال)) [111].

أمـا في الجنـاح الغربـي للدولـة العربيـة، فقـد اضـطربت أحـوال أفريقيـة والمغرب، وسيطر عليها البربر والروم، فأرسل الخليفة عبدالملك (زهير بـن قـيس البلوي) سـنة (69هـ/ 688م) إلى أفريقيـة بوجـوه العـرب وافـرغ علـيهم أمـوال مصر[112].

وفي سنة (73هـ/ 692م) جهز عبدالملك جيشاً بلـغ عـدده (أربعـون ألـف) رجل، لم يدخل أفريقية جيش بقوته جعله تحت قيادة (حسان بن النعمان) وكتب إليه: ((إني أطلقت يدك في أموال مصر)) [113]، إلاّ أن حسان لم يفلـح في تحريـر

---

(109) غرر المسير، ورقة (38 أ).

(110) البلاذري، فتوح، ص392.

(111) المصدر نفسه، 424 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص537.

- المسال: هي الابر العظام. ابن منظور، لسان، مادة (سلّ).

(112) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص201-203 ؛ المالكي، رياض النفوس، ص29-30 ؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص57-58، الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص81-82.

(113) المالكي، رياض النفوس، ص31-36 ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص22.

أفريقية... فتراجع حتى أتاه أمر الخليفة ثانيةً بقتال العدو، بعد أن سيّر إليه الجنود والأموال، فحررها[114].

ومن الناحية الاقتصادية اثرت هذه الحروب وتلك الثورات والتمردات في ميزانية الدولة، بسبب تكاليف الجند والسلاح، وبسبب الاضطرابات في الزراعة، الذي يصحب الاضطراب السياسي في العادة، وان الدولة وجهت عنايتها لميدان الحرب وقللت العناية بأمور الري والزراعة[115]، ويؤكد ذلك البلاذري عند كلامه عن تكوين البطائح في السواد إذ يقول: ((... فلمّا كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقا انفجرت فلم يعان الحجاج سدها))[116]، لذلك غرقت أراض واسعة فاتسعت البطائح وكبرت. كما ان اختلال الأمن ادى إلى هجرة أعداد كبيرة من الفلاحين إلى المدن مما أدى إلى ضعف الانتاج الزراعي، وبالتالي قلة ما تحصل عليه الدولة من أموال.

وهناك أيضاً النفقات العامة والعطاء ورواتب الموظفين، التي زادت بتطور الادارة وتنظيمها، مما زاد في الحاجة إلى الأموال، ومن أمثلة هذه النفقات، البناء والتعمير، فقد أنفق عبدالملك أمولاً طائلة على بناء بيت المقدس وقبة الصخرة،

---

(114) ينظر: الفصل الخامس – ادارة أفريقية.

(115) شلبي، أحمد، السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي، مط، لجنة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1964م)، ص241.

(116) فتوح، ص291.

البطائح: جمع بطيحة، وهي مساحات واسعة من الأراضي المغطاة بالمياه الراكدة، تقدر بـ (ثلاثين) فرسخاً في ثلاثين فرسخاً، وتقع في المناطق المنخفضة من مجرى نهري دجلة والفرات. ويعود= =تاريخ تكوينها إلى العهد الساساني. البلاذري، فتوح، ص290-291 ؛ ابن رستة، الاعلاق، ص94-95.

حيث أمر أن تفرغ الأموال افراغاً، ولمّا كمل بناؤها زاد من المال المرصود لها (مائة) ألف دينار، فأمر الخليفة عبدالملك أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب[117].

أما مدينة واسط فقد كلف بناؤها أكثر من (ثلاثة وأربعين) مليون درهم، احتسب الحجاج (اربعة وثلاثين) مليون درهم منها على النفقات العسكرية خوفاً من غضب الخليفة عبدالملك[118]. وهناك أيضاً بناء مدن الثغور والحصون، كعسقلان، وقيسارية، وصور وعكا التي خربتها الروم[119]. وكذلك نفقات مشاريع الري والزراعة[120].

ثم هناك الأرزاق والاعطيات والرواتب التي كان يتقاضاها الجند والموظفون، والتي زادت أثر الاصلاحات والتنظيمات الادارية الواسعة للخليفة عبدالملك، إذ توسعت المؤسسات الادارية وتضخم عدد الموظفين والجند[121]. فكانت مثلا عمالة الحجاج (مخصصاته الاضافية) نصف مليون درهم[122]، وذكر البلاذري[123]: بأن صاحب الشرط تسلم عن عمله (مائة ألف) درهم في أوائل

---

(117) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ج1، ص275 ؛ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص280-281 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص69، 355.

(118) ياقوت، معجم البلدان، م3، ص349 ؛ عمر ابو النصر، سيوف أمية، ص334.

(119) البلاذري، فتوح، ص148-149.

(120) ينظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(121) ينظر: الفصل الثالث، (ديوان الجند).

(122) البلاذري، أنساب، ج5، ص330-331 ؛ مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص362.

(123) انساب الاشراف، ج5، ص177.

عصر الخليفة عبدالملك بن مروان، ويذكر الجهشياري[124]: ان الكُتاب والعمال في العصر الأموي كانوا يأخذون (ثلاثمائة) درهم شهرياً. كما كان الحجاج يُنفق أموالاً طائلة لإطعام جنده، حيث كان يضع طعاماً كاملا لجند الشام عنده كل يوم (لعشرة آلاف) نفس[125].

فضلاً عن ذلك كانت هناك المصروفات الشخصية للولاة التي كانت تصل أحياناً إلى درجة كبيرة من الاسراف والتبذير فكان عبدالعزيز بن مروان والي مصر قد أحاط نفسه بمظاهر الترف والاسراف[126]، وكذلك كان امية بن عبدالله والي خراسان مسرفاً بدرجة كبيرة[127].

وكذلك يجب أن لا ننسى أنَّ عملية الاصلاح والتنظيم نفسها كانت تحتاج لأموال ليست قليلة، فعند تعريب سليمان بن سعد الخشني لديوان الشام مثلاً جعل الخليفة عبدالملك خراج الاردن لمدة سنة وهو (180) الف دينار معونة له في عمله[128].

---

(124) الوزراء والكُتاب، ص42، 126.

(125) المبرد، الكامل، ج1، ص305 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص14-15 ؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، نشر، بطرس غريان نيويج، (موسكو-1967م)، ص316.

(126) ينظر: الفصل الخامس، ادارة مصر.

(127) ينظر: الفصل الخامس، ادارة خراسان.

(128) البلاذري، فتوح، ص197.

2ـ أثر التحولات المالية والاجتماعية:

يلاحظ منذ بدايات العصر الاموي ظهور تحولات مالية واجتماعية واسعة النطاق كان لها أثر كبير في تقليل موارد بيت المال.

ومن أخطر هذه التحولات، ظاهرة انتقال الأراضي الخراجية إلى عشرية، فيلاحظ بروز اتجاه عام لدى العرب المسلمين لامتلاك الأراضي واستثمارها، وقد انتقلت هذه الأراضي بطرق مختلفة، كالشراء الذي أخذ يزداد في هذه الحقبة[129]، كما أن هناك اراضي ((خرجت من أيدي أهلها إلى قوم مسلمين بهبات وغير ذلك من أسباب المُلك فصيّرت عشرية وكانت خراجية)) [130]، ويستنتج من هذا النص أن هناك أراضي كثيرة تحولت إلى أرض عشرية، لامتلاك المسلمين لها بطرق مختلفة، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[131]، ولم يكن يُسمح بها، لأن الأرض الخراجية تبقى خراجية، سواء أسلم صاحبها أو امتلكها مسلم[132]. كما بدأت في هذه الحقبة ظاهرة الالجاء، إذ أخذ عدد من الملاكين الصغار بالجاء اراضيهم إلى الأمراء والمتنفذين العرب من أجل حمايتهم مما ادى إلى ازدياد الملكيات الكبيرة نسبيا وإلى تحول الأراضي الخراجية إلى عشرية[133]، وتعكس ظاهرة الالجاء هذه اضطراب أحوال الدولة وضعف سيطرتها واختلال الأمن، ولابد ان الظروف السياسية المضطربة هذه

---

(129) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م1، ص183 فما بعدها.

(130) البلاذري، فتوح، ص361.

(131) المصدر نفسه، ص268.

(132) أبو يوسف، الخراج، ص69 ؛ ابن آدم، الخراج، ص22 ؛ البلاذري، فتوح، ص433؛ الماوردي، الاحكام، ص142 ؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج1، ص182.

(133) البلاذري، فتوح، ص292 ؛ العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص204.

والتي مرّ بها العراق منذ وفاة معاوية سنة (60هـ/ 679م) إلى مجيء الحجاج الى العراق سنة (75هـ/ 694م) أدت إلى تداول ملكية هذه الاراضي في أيدي عدد من الحكام[134]، ولابد أن ذلك أدى بالتالي إلى انتقال قسم كبير من الاراضي الخراجية الى عشرية.

ويبدو ان القطائع في هذه الفترة قد كثرت أيضاً، نتيجة الصراعات السياسية، إذ استلزم الاكثار من المؤيدين والانصار أو لشراء ولاءات الطموحين السياسيين، كما حدث حينما أعطى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، عبدالله بن الزبير أرضا بعمالها[135]، كما ان اتساع رقعة الدولة الاموية اتاح المجال للخليفة ان يقطع ويكافئ بمزيد وفي غير ضيق.

كما قام الخليفة معاوية بالسيطرة على أراضي الصوافي[136]، حيث استصفى أراضي الملوك والنبلاء، فاستصفى في العراق أراضي كسرى وعائلته، في الكوفة والبصرة، وفعل الشيء نفسه في الشام والجزيرة واليمن، حيث استصفى أراضي الملوك وصيرها لنفسه خالصة، وأقطعها أهل بيته وخاصته، وكانت له صوافي أيضا في مكة والمدينة، ويُحمل إليه منها الحنطة والتمر[137].

---

(134) المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، ط1، دار الحرية للطباعة، (بغداد – 1976م)، ص408.

(135) محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك السعيد، ورقة (54 أ).

(136) يرى ابو يوسف أن الصوافي بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد فللامام أن يقطع منها لمن أراد، وللامام أن يضع عليها من الضريبة ما يرى، وقد وضع الخراج على قطائع كانت تسقى بانهار الخراج ووضع العشر على قطائع أخرى لما صرف عليها كحفر الأنهار وبناء البيوت. الخراج، ص58.

(137) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص207، 222.

وقد قام الخليفة معاوية بفصل هذه الصوافي عن بيت المال، وجعلها ملكاً له، وبلغت ايرادات صوافي السواد وحدها (سبعة آلاف ألف) درهم[138]، فضلاً عن إيرادات الصوافي الأخرى، التي يبدو أنها لم تكن قليلة. ويبدو ان رغبة الخليفة معاوية في الاكثار من الجوائز والعطايا السياسية، هو الهدف من وراء السيطرة على هذه الصوافي، ويظهر ذلك عندما كتب إلى عامله على خراج العراق قائلاً له: ((ان احمل إلي من مالها ما استعين به))[139]. ولا ريب ان استئثار معاوية بالصوافي لنفسه ألحق ببيت المال خسارة كبيرة[140]. وكذلك سيطر الخليفة عبدالملك بن مروان على بعض أراضي البطيحة التي أصلحها مصعب، فاقطعها عبدالملك الناس[141]، ويبدو ان اقطاعات الخليفة عبدالملك هذه كانت لاسباب سياسية، حيث أقطع مالك بن مَسمَع، لموقفه المساند للامويين يوم الجفرة[142]، كما أقطع الحُمَيمة لعلي بن عبدالله بن العباس[143].

أما القطائع في بلاد الشام، فأصلها ما تركه انباط القرى والبطارقة وهربوا عنه، فأوقفت على المسلمين، واقطع عثمان لمعاوية منها، وأقطع معاوية في خلافته منها لاناس آخرين وبقي قسم من هذه الأراضي، فأقطع الخليفة

---

(138) ابو يوسف، الخراج، ص57 ؛ البلاذري، فتوح، ص272 ؛ قدامة، الخراج، ص217.

(139) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص207.

(140) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص122.

(141) البلاذري، انساب، ج5، ص281.

(142) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص157-158. عن يوم الجفرة ودور مالك بن مسمع، ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص3.

(143) الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، د. احسان عباس، ط2، (بيروت – 1984م)، ص199.

عبدالملك أشراف الناس حين سألوه ذلك، كما أقطع قطائع من ارض خراجية باد أهلها ولم يتركوا عقبا، وجعلها عشرية[144]. وكذلك اقطع الناس القطائع في عسقلان وعَين الوردة وأسكن الناس بهما[145]، لأجل العمل على صمودها بوجه الاعداء، كما أقطع أقربائه قطائع في بلاد الشام، ((فكانت أو أكثرها مواتاً))[146].

وقد سمح الخليفة عبدالملك وابنيه الخليفة الوليد والخليفة سليمان، لمن سألهم بشراء الأراضي من أهل الذمة على شرط ادخال أثمانها بيت المال وتكون عونها لأهل الخراج لأداء خراج سنتهم[147].

ومن الاحداث الخطيرة التي كان لها اثر كبير في زيادة الأراضي العشرية، هي حادثة احراق سجل الأراضي (ديوان الخراج) في العراق، أثناء تمرد ابن الاشعث سنة (82هـ/ 701م) فقد أخذ كل قوم ما يليهم من اراضي الدولة، مدعين بانها عشرية[148]، مما سبب خسارة لبيت المال.

وهكذا تقلصت مساحة الاراضي الخراجية ولاسيما في العراق أخصب أراضي الدولة العربية الاسلامية، حيث كانت هذه الاراضي وما يؤخذ منها (الخراج) المورد الرئيس لبيت مال العامة، مما أسهم وبشكل فاعل في تقليص الوارد المالي للدولة.

---

(144) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م1، ص595.

(145) البلاذري، فتوح، ص148-149، 181-182.

(146) المصدر نفسه، ص152 ؛ قدامة، الخراج، ص303-304.

(147) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م1، ص596.

(148) أبو يوسف، الخراج، ص57 ؛ البلاذري، فتوح، ص272 ؛ الصولي، أدب، ص219.

وأزدادت في هذه الفترة أيضاً هجرة الفلاحين إلى المدن والأمصار والسكن فيها، ولهذه الظاهرة اسباب متعددة، منها، التحولات الاجتماعية والتغيرات الطبيعية في أرض السواد كانحلال النظام الاقطاعي الساساني، وسيطرة العرب على الادارة الزراعية، ثم التغيرات في مجاري الانهار كنهر دجلة، مما سبب تكون البطائح في أرض السواد[149]. كما أن اختلال الامن والنظام، وضعف سيطرة الدولة، وتخريب القرى والمزارع، نتيجة الاضطرابات السياسية والعسكرية في هذه الفترة، كانت بالتأكيد من الأسباب المهمة لهجرة الفلاحين من قراهم والنزوح إلى المدن حيث الأمن والاستقرار، وكانت هذه الهجرة من المشاكل الرئيسية التي واجهت الحجاج والدولة الاموية، وقد نتجت عن هذه الهجرة اضرار اقتصادية، بالزراعة خاصة، مورد الدولة الرئيس، إذ حرمت الاراضي الزراعية من بعض الأيدي العاملة، فنقص انتاجها، كما زادت في الأعباء على من بقي من الفلاحين، مما كان يدفعهم إلى الهجرة أو تحمل حياة صعبة، وقد نتج عن كل ذلك نقص في دخل الدولة العام، وإلى استعمال الدهاقين أساليب قاسية في الجباية، كانت تأخذ بنظر الاعتبار مصالحهم بالدرجة الأولى[150]، كما أن قسما من هؤلاء المهاجرين الموالي قد اسلم، فضلاً عن أن عدد الذين أسلموا في هذه الفترة قد كثر لأسباب مختلفة، وهذا يعني إعفاءهم من الجزية، التي أثرت نوعا ما على وارد بيت المال، ولكنه من الناحية الأخرى عقّد مسؤولية الدهاقين في جباية الضرائب، أي ان انتشار الاسلام لم يكن في صالح هؤلاء الدهاقين،

---

(149) للتفصيل ينظر: العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص74-75 ؛ دينيت، الجزية والاسلام، ص73-75.

(150) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص84 ؛ كاشف، د. سيدة اسماعيل، الوليد بن عبدالملك، سلسلة أعلام العرب (17)، (القاهرة – 1962م)، ص74-75.

فوقفوا ضد انتشاره لاسباب مختلفة[151]، وصوروا اسلام هؤلاء تهرباً من الجزيـة، فعندما بدأت حركة الهجرة والتحول إلى الاسلام تؤثر على الخراج، كتب عمـال الخراج إلى الحجاج بانكسار الخراج[152].

وبذلك يتبين لنا بان هذه الظـروف والمـستجدات الـتي مـرت بهـا الدولـة الاموية كانت من الناحية الاقتصادية قد أثرت على واردات بيت المال، وسـببت حاجة متزايدة للاموال، مما استوجب التعجيل في معالجتها، بأساليب تتناسب مع هذه التحولات، للاستمرار في عملية البناء والتحرير.

---

(151) ينظر: ص

(152) البلاذري، انساب الاشراف، ص336-337 (اهلورت) ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص182.

المبحث الثالث

دور الحجاج بن يوسف الثقفي في معالجة النقص المالي

لقد عالج الخليفة عبدالملك بن مروان هذه الظروف والاحوال الجديدة، باتباع سياسة اصلاحية وتنظيمية واسعة النطاق، قادها بنفسه، ونفذها امراؤه في العديد من أقاليم الدولة الأموية، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، أمير العراق والمشرق الاسلامي، وقد بذل الحجاج جهوداً اصلاحية كبيرة، موجهة بالدرجة الاولى الى الزراعة، عماد الخراج والذي هو المورد الرئيس لبيت المال، كما عالج موضوع التحولات الاجتماعية والمالية وأوجد لها الحلول العملية.

قام الحجاج بانشاء العديد من المشاريع الزراعية، ومنها حفر الانهار، حيث حفر نهر الانبار على الفرات، الذي لم يتمكن سعد بن عمرو بن حرام من حفره، لان تلاً اعترضه، فتمكن الحجاج من حفره بعد أن أنفق عليه الكثير، فنسب التل الى الحجاج، ونسب النهر الى سعد بن عمرو[153]، وهنا يظهر بوضوح التحزب ضد الحجاج ومحاولة التقليل من شأن اعماله، وقبل اتخاذ الحجاج واسط، أراد نزول الصين من كسكر[154]، فحفر نهر الصين، ثم غيّر رأيه، فأنشأ واسطاً فنزلها وحفر النيل والزابي، وأحيا ما على هذين النهرين من الأراضي[155]، وأحدث المدينة التي تُعرف بالنيل ومصرها[156]، كما أعاد

---

(153) البلاذري، فتوح، ص273-274.

(154) كسكر: ناحية واسعة، قصبتها واسط القصب، والتي بين الكوفة والبصرة. ياقوت، معجم البلدان، م4، ص461.

(155) البلاذري، فتوح، ص288 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م5، ص348.

(156) البلاذري، فتوح، ص288 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م5، ص348.

الحجاج حفر نهر (صراة جاماسب) على يسار النيل[157]، وامتدت عناية الخليفة عبدالملك بن مروان وولاته بحفر الانهار إلى الأقاليم الاخرى، حيث قام سعيد بن عبدالملك بن مروان، بحفر نهر في الموصل فسمي نهر سعيد[158]، كما اعتنى الخليفة عبدالملك بن مروان، بحفر وتجديد القنوات في بلاد الشام[159]. ومن أجل توسيع رقعة الأراضي الزراعية قام الحجاج بحملة واسعة لاستصلاح أراضي البطائح، فقد ((عمد إلى ضياع كان عبدالله بن دراج مولى معاوية ابن أبي سفيان استخرجها له...، من موات مرفوض ونقوض مياه ومغايض وآجام ضرب عليها المسنيات، ثم قلع قصبها فحازها لعبدالملك بن مروان وعمرها))[160]، كما استخرج حسان النبطي مولى بني ضبة للحجاج أراضي من أراضي البطائح[161]. ويُستنتج من المصادر التاريخية الاموال الطائلة التي كان ينفقها الحجاج لاستصلاح الاراضي، فيقول البلاذري[162]: ((انبثقت البثوق ايام الحجاج، فكتب الى الوليد بن عبدالملك يعلمه انه قَدَّرَ لسدها (ثلاثة آلاف ألف درهم))).

وكان الحجاج دائم التتبع لأحوال الفلاحين ومزارعهم، حيث كان يزورهم باستمرار، يتفقد احوالهم واحوال الزرع[163]، ويتتبع كميات المطر

---

(157) طه، العراق في عهد الحجاج، ص194، حاشية رقم (2).

(158) البلاذري، فتوح، ص328 ؛ قدامة، الخراج، ص382.

(159) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تح، دومنيك سورديل، (دمشق- 1953م)، ج1، ق1، ص144.

(160) البلاذري، فتوح، ص288.

(161) المصدر نفسه، ص291 ؛ قدامة، الخراج، ص169 ؛ الماوردي، الاحكام، ص179.

(162) فتوح، ص292 ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص241 ؛ قدامة، الخراج، ص169-170.

(163) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص146.

الساقطة، فيسأل الرسل والوفود عن أحوال البلاد الزراعية، والامطار الساقطة وكمياتها[164]، ثم يكتب بكل ذلك إلى الخليفة عبدالملك بن مروان[165].

ومن أجل توفير وسائل الانتاج الضروري للعمل الزراعي، قرر الحجاج منع ذبح البقر[166]، لأجل تكاثرها واستخدامها في عمليات الحراثة، كما أرسل محمد بن القاسم الثقفي، عامل الحجاج على السند بألوف من الجواميس[167]، لاستخدامها في استصلاح البطائح، وربما في العمل الزراعي، كما ((أتى الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم بأسفل كسكر... فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها)) [168]، ولابد ان الحجاج استفاد من هؤلاء في العمل الزراعي. ويستنتج من هذه النصوص ان الدولة كانت تقوم بانجاز مشروعات زراعية ضخمة، وانها كانت بحاجة الى الايدي العاملة الزراعية، لانجاح هذه المشروعات، ومن هنا جاءت خطوة الحجاج في اخراج الفلاحين من المدن والامصار، حيث كانت ذات نتائج

---

(164) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص166-167 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص33-35.

(165) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص386-387.

(166) البلاذري، أنساب، ج11، ورقة (37 أ) ؛ ابن رستة ؛ الاعلاق، ص105 ؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج1، ص234 ؛ ياقوت، معجم البلدان، م3، ص274.

فقال في ذلك الشاعر: شكونا إليه خراب السواد فحرّم جهلا لحوم البقر

والحق ان الحجاج لم يحرم لحوم البقر وإنّما منع ذبحها، ويظهر في ذلك التحزب ضد الحجاج.

(167) البلاذري، فتوح، ص172.

(168) المصدر نفسه، ص368.

سلبية كبيرة على الزراعة، وعلى المدينة، لذلك فان عمل الحجاج هذا له ما يسوغه اقتصادياً.

ومن الاعمال الرائدة للحجاج، قيامه باقراض الفلاحين (مليون درهم[169]، لمساعدتهم على تمشية امورهم الزراعية، وبذلك يُعد الحجاج أول من أوجد فكرة مصرف التسليف الزراعي في التاريخ العربي الاسلامي، وبدون فائدة.

ومن المظاهر التي تؤكد اهتمام الحجاج بالامور الزراعية، الاحتفالات الرسمية التي كان يقيمها في مدينة واسط في أوقات نضج بعض الغلات الزراعية[170].

ويتبين لنا من خلال ما كان يصرفه الحجاج من اموال طائلة على الزراعة واصلاحها، ان الدولة لم تكن في ازمة مالية، بل يمكن القول أنه نقص مالي لدولة بناء وحرب.

أما فيما يتعلق بتحول الاراضي الخراجية الى عشرية، فقد قرر الحجاج اعادة فرض الخراج عليها مهما كان مالكها مسلماً أو غير مسلم[171]، لان الاراضي الخراجية هي ملك للدولة، وان الضريبة عليها بمثابة الايجار، ولا تسقط هذه الضريبة باسلام صاحبها أو بيعها الى مسلم، أي لا يجوز تحويل الاراضي

---

(169) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن رستة، الاعلاق، ص105 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.

(170) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص129.

(171) البلاذري، فتوح، ص361 ؛ فوزي، د. فاروق عمر وآخرون، النظم الاسلامية، ص117.

الخراجية الى عشرية[172]، ولـذلك فـان اجـراء الحجـاج هـذا أصـولي ومطـابق لاحكام الشريعة الاسلامية. ومن الناحية العملية كـان لقـرار الحجـاج هـذا مـا يسوغه أيضاً، إذ رأى أن مساحات واسعة من الاراضي الخراجية أخذت تتحـول الى عشرية، مما أدى إلى انخفاض وارد بيت المال، كما سبب ارتباكاً في نظام ملكية الاراضي الزراعية، فلذلك قام الحجاج بارجـاع الاراضـي العـشرية في الفـرات، والتي كانت في الأصل خراجيـة، إلى الخـراج[173]، وكـان الحجـاج يقـول: ((مـا ابغض إلـي ان تكثـر العـرب في أرض الخـراج)) [174]، ومعنـى هـذا ان سياسـة الحجاج لم تكن موجهة ضد فئة معينة بل كان دافعه مصلحة الدولة.

اما فيما يتعلق باسلام اهل الذمة وهجرتهم الى المدن والامصار، فيبدو انها قد استمرت وازدادت مما أثر سلبيا على موارد بيت المال، في وقت كان الحجـاج يقوم فيه باصلاحات زراعية واسعة، وربما بـالغ عمـال الخـراج في ذلـك حفاظـاً على مصالحهم، فجاءت الحجاج كتبهم منذرة، ان الخـراج قـد انكـسر وان أهـل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل في قرية فليخرج إليها[175]، (لتؤخـذ مـنهم الجزيـة) [176]. ان تـشدد الحجـاج في

---

(172) أبو يوسف، الخراج، ص69 ؛ ابن آدم، الخراج، رقم (153-193) ؛ أبو عبيد، الاموال، ص111-122 ؛ الماوردي، الاحكام، ص147 ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص119.

(173) البلاذري، فتوح، ص361.

(174) الطبري، تاريخ، ج5، ص115.

(175) البلاذري، أنساب، ص336-337، (اهلورت) ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص182 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص465.

(176)(لتؤخذ منهم الجزية) هذه العبارة أضافها ابن الاثير من عنده على رواية الطبري عند نقلها منه.

سياسته هذه دفع بعض المتضررين إلى أن ينحازوا مع تمرد ابـن الاشـعث ولكـن دون جدوى.

ومن خلال دراسة هذه الرواية يتبين لنا بأنها، رواية منفصلة عن تمرد ابـن الاشعث، ويبدو ان اخراج الحجاج لهؤلاء، كان دافعه الأول اقتصادياً، إذ أثـرت هذه الهجرة كما قلنا سابقاً علـى الخـراج وعلـى مـشاريع الحجـاج الاصـلاحية، فأصدر أمره بارجاع هؤلاء الفلاحين الى قراهم الاصلية، وهي مرحلـة أولى مـن التهجير، ولم تشر هذه الرواية صراحة الى ان الحجاج أخذ الجزية ممن أسـلم، أمـا ما أضافه ابن الأثير فالظاهر انه تفسير واستنتاج من الراوي لكتاب الحجاج.

ويورد الطبري رواية أخرى، مفادها ان الحجاج: ((ردهم (الفلاحـين) إلى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحـو مـا كانـت تؤخـذ مـنهم وهم على كفرهم))[177].

اما رواية ابن عبد ربه، التي نقلها من الجاحظ في كتابه (المـوالي والعـرب) فيقول: بأن الحجاج أراد أن يسقط ديوانهم ويفرق جمعهم، حتى لا يتآمروا عليه، ففرقهم وفض جمعهم، ونقش على يد كل رجل مـنهم اسـم البلـدة الـتي أرسـله إليها[178].

وتفسر لنا هذه الرواية عمل الحجاج، باخراج الفلاحين، تفـسيراً سياسـياً، بالدرجة الاولى، بسبب اشـتراك هـؤلاء في تمـرد ابـن الاشـعث، ومـساهمتهم في فقدان الأمن والنظام في مدن العراق. ويبدو ان هذا الاخراج كان أوسع وأشمل منه في المرحلة الاولى.

---

(177) تاريخ الامم والملوك، ج5، ص359.

(178) العقد الفريد، ج3، ص416-417.

وهناك رواية رابعة تفسر ما قام به الحجاج تفسيراً لغويا أدبياً[179].

ونعود إلى رواية الطبري الثانية، والتي أشارت صراحة، وبشكل واضح لا لبس فيه إلى أن الحجاج وضع الجزية على هؤلاء المهاجرين المسلمين وأرجعهم إلى قراهم الأصلية.

ولمناقشة ذلك نقول:

1. ان مسألة جباية الضرائب كانت في غالب الاحيان بيد الدهاقين، الذين استمروا في ذلك على ما يبدو طيلة العصر الاموي[180]، وأنهم هم الذين طلبوا من الحجاج ارجاع هؤلاء المهاجرين وإلاّ فلا خراج، أي ان الخطوة الاولى جاءت من عمال الخراج والدهاقين، وكان هؤلاء يتلاعبون بجباية الجزية ويفرضونها على المسلمين الجدد، بحجة الخوف من نقص الخراج. إلاّ أن ذلك لا يعفي الحجاج من المسؤولية.
2. إن هذه المسألة قد بولغ فيها كثيراً، بسبب الظروف والعوامل السياسية والقومية والدينية ومصلحة الدهاقين، أي لم تكن هذه الخطوة من جانب الحجاج سياسة مرسومة عامة، بل نشأت لظروف خاصة محلية وتداخلت فيها عوامل السياسة.
3. كان الحجاج يهدف من وراء ارجاع الفلاحين إلى توفير الايدي العاملة الزراعية، حفاظاً على الخراج. وقد لا يسمح لصاحب الخراج بالهجرة فان

(179) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص96-97 ؛ العسكري، الاوائل، ص255.

(180) الطبري، تاريخ، ج5، ص129، 315 ؛ الدوري، نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة 1964م، ص80.

ترك أرضه عدّ متهرباً من التزامه ويتحتم ارجاعه[181]، ومع ذلك لاقت هذه الخطوة معارضة شديدة.

4. لم تكن هذه السياسة موجهة ضد الموالي كما يدعي بعض المؤرخين المحدثين[182] بل هدفها مصلحة الدولة فقط، فقد ارجع الحجاج أهل العراق (وهم عرب) من الحجاز إلى بلدهم[183]، كما زيدت الضرائب على أهل اليمن وهم عرب[184]، بل حاول أن يستولي على أموال أخيه محمد بن يوسف عامل اليمن عند وفاته لولا تدخل الخليفة الوليد الذي منعه من ذلك[185]، كما فرض الخراج على الأراضي التي امتلكها العرب[186].

5. هناك بعض الاشارات التاريخية التي قد توحي لنا أن هناك من أخذ الجزية من المسلمين فيذكر أبو عبيد[187]، ان رجلا أسلم وكانت تؤخذ منه الجزية فأمر عمر بن الخطاب ﷺ برفعها عنه، وعلى الرغم من أن مثل هذه الحالات فردية، وبدون علم الخليفة، إلا انها ربما تؤشر وجود بدايات لدى

---

(181) الدوري، نظام الضرائب، ص48، نقلا عن الطبري، تاريخ، ص1122-1123.

(182) فلوتن، السيادة العربية، ص41 ؛ جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، ص58 ؛ زيدان، تاريخ التمدن، ج1، ص21-22.

(183) الطبري، تاريخ، ج5، ص261.

(184) البلاذري، فتوح، ص84.

(185) الطبري، تاريخ، ج5، ص135.

(186) البلاذري، فتوح، ص361.

(187) الأموال، ص59، رقم (122) ؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص58.

الدهاقين. ويذكر لنا الطبري[188]، رواية على جانب كبير من الأهمية في هذا الموضوع ضمن احداث سنة (77هـ/ 696م) في خراسان، وفي ولاية أمية بن عبدالله، تشير صراحة إلى أن الجزية تؤخذ من أعداد كبيرة من المسلمين، ولابد أن ذلك كان منذ زمن ليس بقصير، وكان المسؤول عن ذلك بالدرجة الأولى هم الدهاقين والأمراء المحليين، ساعد على ذلك اضطراب أحوال العراق وخراسان منذ وفاة معاوية سنة (60هـ/ 679م).

6. من المعروف أن اعداد من وجبت عليهم الجزية في السواد في عصر الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ بحدود (خمسمائة) ألف[189]، ولابد أن أعداداً كبيرة منهم أسلمت إلى أن أعادها الحجاج بحدود سنة (82هـ/ 701م)، وأن متوسط الجزية هو (24) درهم، وبعملية حسابية بسيطة ندرك أن ما تحصل عليه الدولة من هؤلاء لا يشكل مورداً مهما لبيت المال، إذا علمنا أن الحجاج أنفق على حملة فتح الهند (ستة) ملايين درهم[190]، كما أن الجزية بذاتها ليست ثقيلة لدولة كثيرة النفقات كالدولة الاموية، وأن ما حصل ليس سياسة عامة، وإنما حالات قليلة استغلها أعداء الحجاج الكثيرون ومن الشعوبية الفارسية خاصة، لدوره الكبير في حركات التحرير الواسعة وعمليات الاصلاح والتنظيم، التي قضت على مصالحهم، وهذا ما يفسر لنا وجود مشكلة للموالي في العراق، وعدم وجودها في مصر، على الرغم من

(188) تاريخ الامم والملوك، ج5، ص129 ؛ ينظر: موضوع الضرائب في خراسان من هذا الفصل.

(189) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص105 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص133 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.

(190) البلاذري، فتوح، ص472.

أن أعدادهم كانت كبيرة[191]، وبذلك يتبين لنا بأن الموضوع لا يستحق كل هذه الضجة التي اثارها المستشرقون بقصد النيل من الدولة العربية الاسلامية.

7. إن فرض الجزية على المسلمين من الناحية الشرعية مخالف لقواعد الشرع الاسلامي، إلاّ أنه يبدو أن أعداداً ليست قليلة أسلمت تهرباً من الجزية فقد عدها وجهاء أصفهان سمة صغار وذل فأسلموا[192]، وكذلك أسلم الأساورة أول أمرهم تعوذاً باعترافهم[193].

8. لقد أدت سياسة الحجاج هذه إلى استياء الموالي الذين تضرروا باصلاحاته، كما عارضها بعض العرب المسلمين الذين تعرضت اراضيهم لاعادة فرض الخراج عليها، وكان ذلك من أهم اسباب تأييدهم لابن الأشعث، فقام هؤلاء مع الموالي بحرق ديوان الخراج لطمس نوعيتها، مما يؤكد سوء نواياهم، فسيطروا على الأراضي الخراجية وعلى القطائع، مدعين بأن أراضيهم عشرية وليست خراجية[194].

أما فيما يتعلق بنتائج سياسة الحجاج لمعالجة النقص في وارد بيت المال، فعلى الرغم من أنها أدت إلى معارضة شديدة، إلاّ أنها على ما يبدو قد نجحت وأنعشت خزينة الدولة، ويظهر ذلك بزيادة الخراج في العراق، إلا أن روايات المؤرخين تختلف في مقداره، وذلك راجع إلى أسباب منها، تحزب الروايات ضد

(191) ذكر ابن عبدالحكم، بأن عدد من وجبت عليهم الجزية، (6) ستة ملايين، وفي رواية أخرى (8) ثمانية ملايين. فتوح مصر وأخبارها، ص70.

(192) البلاذري، فتوح، ص310

(193) المصدر نفسه، ص366.

(194) المصدر نفسه، ص272 ؛ الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص33.

الامويين عامة والحجاج خاصة، كما أن طول عصر الحجاج أدى إلى الاختلاف، إذ لا تذكر هذه الروايات تاريخاً محدداً لذلك، ويمكن ايراد خراج السواد في عصره كما يأتي:

1. ثمانية عشر مليون درهم[195].
2. أربعة وعشرون مليون درهم[196].
3. أربعون مليون درهم[197].
4. ثمانون مليون درهم[198].
5. مائة وثمانية عشر مليون درهم[199].

وهناك بعض المؤشرات التي تؤيد نجاح سياسة الحجاج في زيادة وارد بيت المال، فقد اقرض الحجاج الفلاحين بعد سنة (82ه/ 701م)، (مليوني درهم)[200]، كما ذكرنا ذلك سابقاً، وجبى عامل الحجاج خراج الفلوجتين وقد بلغ (ثمانية عشر) مليون درهم[201]، كما أن الحجاج عند وفاته ترك في بيت المال

---

(195) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ ابن رستة، الاعلاق، ص105 ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص133.
(196) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص14 ؛ الصولي، أدب، ص220.
(197) البلاذري، فتوح، ص270 ؛ الصولي، أدب، ص220.
(198) الصولي، أدب، ص220.
(199) الماوردي، الأحكام، ص175.
(200) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص15 ؛ ابن رستة، الاعلاق، ص105 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص234.
(201) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص41.

أكثر من (مائة مليون) درهم[202]. وبذلك نستطيع القول بأن سياسة الحجاج لمعالجة النقص المالي قد نجحت.

(202) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص274.

المبحث الرابع
تنظيمات الخليفة عبدالملك بن مروان المالية

1ـ بلاد الشام والجزيرة الفراتية:

لم يعد تنظيم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بكل أسسه وتفصيلاته، يتماشى مع أوضاع الدولة، وقد مضى عليه أكثر من نصف قرن، لذلك قام الخليفة عبدالملك بن مروان بعملية تنظيم للضرائب في أنحاء الدولة، محاولاً توحيد نظمها، كما وحدّ الدولة سياسياً، وبذل جهوداً كبيرة في هذا المجال، مراعياً أحوال كل بلد وظروفه، لذلك سنبحث اصلاحات الخليفة عبدالملك بن مروان حسب الاقاليم.

لقد حررت مدن الجزيرة الفراتية صلحاً وريفها عنوة[203]، كما ذكرنا سابقاً، فلذلك عدت أرضها أرض خراج[204]، وعلى هذا الاساس يحق للامام (الخليفة) أن يعدل نظام الضرائب المفروض عليها[205]، فقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الضرائب عند تحريرها، ثم غيرها بعد فترة.

وكان التنظيم الثالث للضرائب في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، زمن الخليفة عبدالملك بن مروان، إذ أرسل الضحاك بن عبدالرحمن الأشعري[206]، إلى

---

(203) البلاذري، فتوح، ص179.

(204) المصدر نفسه، ص177.

(205) الماوردي، الاحكام، ص137-138.

(206) الضحاك بن عبدالرحمن الاشعري: تابعي ثقة ولي دمشق مرتين، (ت105هـ). ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4، ص446.

الجزيرة فأحصى الرجال من أهل الذمة، والأموال، ومسح الأرض، وعدّ الناس كلهم عمالاً يعملون بأيديهم، وحسب معدل ما يكسبه العامل لمدة سنة، وأسقط من ذلك نفقاته للطعام والكسوة، وايام الأعياد في السنة كلها، فوجد ان الذي يحصل بعد ذلك في السنة لكل رجل (أربعة) دنانير، فألزمهم ذلك جميعاً، أي جعلهم طبقة واحدة[207]، وهذه هي الجزية، إذ جعلها نقدية.

أما تنظيم الضريبة الزراعية (الخراج)، فقد أعاد النظر فيها، حيث أضاف لها ضريبة نقدية، فجعل الضريبة الزراعية موحدة وتحسب على أساس القيمة لمتوسط انتاج الأرض، آخذاً بنظر الاعتبار قرب وبُعد الأراضي الزراعية عن الأسواق والمدن، فجعل على كل (مائة) جريب زرع مما قرب ديناراً، وعلى كل (الف) أصل كرم مما قرب ديناراً، وعلى كل (ألفي) أصل مما بَعُدَ ديناراً، وعلى الزيتون، وعلى كل (مئة) شجرة مما قرب ديناراً، وعلى كل (مئتين) مما بَعُدَ ديناراً[208]، ووضع على كل (مئة) جريب من الحنطة ديناراً[209]، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك، ومما دون اليوم فهو في القرب[210].

(207) أبو يوسف، الخراج، ص41. ومن الجدير بالذكر أن أبو يوسف انفرد في ذكر اصلاح الخليفة عبدالملك للضرائب في الجزيرة، فلم يرد ذلك في مصدر فقهي أو تاريخي. وهذا لا يقلل من قيمة النص، فأبو يوسف (ثقة).

(208) أبو يوسف، الخراج، ص41.

(209) الدوري، نظام الضرائب في صدر الاسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لسنة 1974م، ج2، م49، ص54.

(210) أبو يوسف، الخراج، ص41.

ويؤكد ابو يوسف أن هذه التنظيمات نفسها طبقت في بلاد الشام والموصل فيقول: ((وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك))[211].

وهذا يعني ان النظم الضريبية لهذه البلاد أصبحت واحدة، وهذا بذاته انجاز مالي وإداري كبير.

وقد بلغ خراج بلاد الشام زمن الخليفة عبدالملك بن مروان كما يأتي[212]:

1. الأردن (180,000) دينار.
2. فلسطين (350,000) دينار.
3. دمشق (400,000) دينار.
4. حمص وقنسرين والعواصم (800,000) دينار

المجموع = (1,730,000) دينار.

وهذا هو خراج بلاد الشام بعد تطبيق تنظيمات الخليفة عبدالملك بن مروان للضرائب، وهو اقل بقليل من خراج بلاد الشام زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان إذ بلغ (1,800,000) دينار[213].

لقد جعل الخليفة عبدالملك بن مروان الضرائب على الجزيرة الفراتية نقدية، وساوى بين سكان المدن وسكان الريف، أي جعلهم طبقة واحدة، كما

---

(211) المصدر نفسه، ص41.

(212) البلاذري، فتوح، ص197.

(213) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص222.

سبق ان اتفق عياض بن غنم مع أهلها عند تحريرها نزولاً عند رغبتهم، حيث أرادوا أن يدفعوا شيئاً مسمى[214].

وكانت هناك جملة اسباب دفعت الخليفة عبدالملك بن مروان لاصلاح الضرائب في الجزيرة هي:

1. يبدو أن سكان الجزيرة لم يكونوا راضين عن مسألة تقسيم الضرائب، بشكل نقود على سكان المدن، ومواد عينية على أهل الريف، ويستشف ذلك من النقاش الذي دار بين مسؤولي الخراج من العرب المسلمين، وبين بعض سكان الجزيرة[215] وهو التنظيم الثاني للضرائب في الجزيرة، لذلك حاول الخليفة عبدالملك ابن مروان ازالة هذا التذمر، فانقص مقدار الضريبة عن المزارع البعيدة، وجعلها تدفع نصف ما تدفعه المزارع القريبة، ويعد هذا إجراءً عادلا منصفا.

2. ربما كان للاعتبارات السياسية والاقتصادية اثر في اتخاذه لهذا الاجراء، فقد كانت الجزيرة محادة لاعداء أقوياء كالخزر والبيزنطيين، وكان الجيش بحاجة إلى المواد الغذائية، ولمّا كان السكان يتذمرون من دفعهم المواد الغذائية بوصفها ضريبة، فيرجح أن الخليفة عبدالملك قام باجرائه السالف لتخفيف عبء المواد العينية عنهم[216]، ولازالة تذمرهم، لكي تقف الجزيرة على

---

(214) أبو يوسف، الخراج، ص40.

(215) أبو يوسف، الخراج، ص40- 41. إذ يقول أبو يوسف أن أهل الجزيرة قالوا: ((حقنا في أيدينا حملنا عليه من كان قبلكم وهو ثابت في دواوينكم، وقد جهلتم وجهلنا كيف كان أول الأمر. فكيف تستجيزون أن تحدثوا علينا ما لم يكن، ما ليس لكم به ثبت، وتنقضون هذا الأمر الثابت في أيديكم الذي لم نزل عليه)). ص41.

(216) الكبيسي، عصر هشام بن عبدالملك، ص318-319.

أهبة الاستعداد دفاعاً عن حدود الدولة، ولهذا شجعوا استيطان العرب، واقطعوهم الأراضي مثل عين الوردة[217].

3. ربما كانت حاجة الدولة الى الاموال، وهي تعاني نقصاً فيه، ورغبة الخليفة عبدالملك في انجاح اصلاحه النقدي بفرض التعامل بنقوده الجديدة أثر في ذلك.

ويبدو ان اصلاحات الخليفة عبدالملك هذه كانت ناجحة ومقبولة من سكان الجزيرة، مما يدل على ذلك أننا لم نسمع عن شكاوى أو تذمر منها في مصادرنا الفقهية والتاريخية.

وربما كان لرخاء الجزيرة وغناها دوراً كبيراً في هذا الإصلاح، إذ يذكر ابو يوسف في حديثه عن صلح عياض بن غنم لأهل الجزيرة، بأنهم رفضوا قبول الصلح على قدر الطاقة ((وعلموا أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب أن أخذوا بالطاقة، وأبوا الا شيئا مسمى))[218]. وهذا يدل بوضوح على غنى الجزيرة وسعة حال أهلها.

1ـ قبرص:

صالح معاوية بن أبي سفيان أهل قبرص سنة (28 ه/ 648 م) أو سنة (29ه/ 649م) أثناء ولايته على بلاد الشام، على عصر الخليفة عثمان بن

---

(217) البلاذري، فتوح، ص182،181.

عين الوردة: هي راس عين المدينة المشهورة بالجزيرة الفراتية، وبها كانت الوقعة بين التوابين من أهل الكوفة، وبين أهل الشام سنة (65ه/ 684م). ياقوت، المشترك وضعاً والمفترق صعقاً، باعتناء وستنفلد (1846م)، ص320.

(218) أبو يوسف، الخراج، ص40.

عفانﷺ، صالحهم على مبلغ (سبعة آلاف ومئتي دينار) يؤدونها كل عام[219]، لكنهم نقضوا الصلح سنة (32 هـ / 652م) بمساعدتهم الروم، ففتح معاوية قبرص، عنوة ثم أقرهم على صلحهم الأول[220].

ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، زاد عليهم (ألف دينار)، فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك ردها[221].

2ـ مصر:

حاول الخليفة معاوية بن أبي سفيان زيادة الجزية على القبط في مصر، فكتب إلى وردان، وكان على خراج مصر،: "أن زد على كل امرئ من القبط قيراطاً"[222]، فكتب اليه (وردان) كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم[223].

ويفسر لنا أبو عبيد هذا الموضوع ويوضحه بقوله، ان كتاب معاوية الى وردان يعني ان الخليفة كان يرى ان مصر حررت عنوة، وأن وردان يرى أن مصر

---

(219) البلاذري، فتوح، ص158.

(220) المصدر نفسه، ص158.

(221) المصدر نفسه، ص159.

(222) ويزن هذا القيراط (0.2125) من الغرام، الريس، الخراج، ص339.

(223) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص86؛ البلاذري، فتوح، ص219؛ المقريزي، خطط، ج1، ص79." أختلف الفقهاء في تقدير الجباية أو زيادتها "، للتفصيل، ينظر: الطبري، اختلاف الفقهاء، ص209 – 211؛ الماوردي، الأحكام، ص139؛ ابن القيم، أحكام، ق1، ص27–29.

حررت صلحا[224]، وبالرغم من ذلك فأن الخليفة معاوية تراجع عن محاولته هذه.

وذهب بعضهم إلى جواز زيادة الجزية على أهل الذمة في مصر، معتبرين أن مصر حررت عنوة، مستندين على حديث عمرو بن العاص مع صاحب أخنا، عندما طلب الأخير من عمرو بن العاص ان يخبره ما عليه من الجزية، فقال له عمرو بن العاص: لو أعطيتني – أشار إلى الكنيسة – من الأرض إلى السقف، ما أخبرتك ما عليك: ((أنما أنتم خزانة لنا أن كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم))[225].

وفي ولاية عبد العزيز بن مروان (65 – 86ه / 684 – 705 م)، لأخيه عبد الملك بن مروان، حدث تطور اقتصادي مهم، وهو انخفاض القدرة الشرائية للدينار وارتفاع الأسعار[226] وربما كان لهذا العامل أثر في التعجيل بتنظيم الضرائب في مصر. وقد حاول الخليفة عبد الملك بن مروان، أن يبقي الجزية على بعض من أسلم من أهل الذمة، فكتب بذلك لأخيه عبد العزيز، فكلم القاضي

(224) الأموال، ص190 ؛ ((وكان عمر بن الخطاب ﷺ يخفف عن أهل العنوة إذا احتاجوا وأن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم)). أبو عبيد، الأموال، رقم (391).

(225) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص154 ؛ المقريزي، خطط، ج1، ص77.

(226) في سنة (78 هـ) كان سعر الحنطة، (ديناراً) لكل (عشرين) أردباً، وفي سنة (87 – 88هـ) ديناراً لكل (أثني عشر) أردباً. العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص153 – 154؛ ترتون، أهل الذمة، ص214 ؛ أبو النصر، الحضارة الأموية، ص257.

ابن حجيرة(227)، الوالي عبد العزيز قائلاً له: ((فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك))(228).

ويستنتج من هذا النص جملة أمور منها: أنه صار هناك اتجاه نحو الرهبنة تخلصاً من الجزية، وأن أهل الذمة صاروا يتحملون جزية هؤلاء المترهبين، فارتفعت أصوات كثير من أهل الذمة، فأن الرهبان يأكلون ويشربون دون أن يدفعوا جزية رؤوسهم، فلذلك كان الرأي العام في مصر لا ينكر فرض الجزية على الرهبان في الأديرة(229)، كما يلاحظ في هذا أيضاً، أن كتاب الخليفة عبد الملك لأخيه عبد العزيز لم يكن أمراً، بدليل ان ابن حجيرة القاضي أقنع الوالي عبد العزيز بخطأ هذا العمل، وتراجع عبد العزيز، ولم يطلب ذلك الخليفة ثانية.

وبعد ذلك قام الوالي عبد العزيز بن مروان، بأجراء إحصاء دقيق للسكان، ووضع على كل راهب ديناراً في السنة، وهي أول جزية فرضت على الرهبان(230)، إذ كان الرهبان معفوين من أدائها، فأصبح مسلك الرهبنة من

(227) ابن حجيرة: وهو عبد الرحمن بن حجيرة النحولاني، جمع له القضاء والقصص وبيت المال، ويروى أن كان يؤخذ (ألف) دينار سنوياً، فلم يزل على القضاء حتى سنة (83 هـ) ويقال سنة (85 هـ).

ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص235 ؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص314 – 317.

(228) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص156 ؛ المقريزي، خطط. ج1، ص77 – 78.

(229) محمد، فجر السكة، ص71 – 72.

(230) المقريزي، خطط، ج2، ص492.

الأماكن المفضلة لمن يريد التهرب من أداء (الجزية) لذلك تلبس بعضهم بثوب الرهبنة[231].

أما موقف الفقهاء من فرض الجزية على الرهبان، فيقول أبو يوسف، بأن الرهبان إذا كان لهم يسار اخذت الجزية منهم، وان كانوا مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار لم تؤخذ منهم[232]، وكذلك أهل الصوامع تؤخذ منهم إن كان لهم غنى ويسار، وقال بذلك أبو حنيفة وأصحابه[233] وتؤخذ أيضاً من الذين يتهربون بعد ضرب الجزية عليهم، لأنه يمكن أن يكون ترهبه لتسقط الجزية عنه[234].

وفي الحقيقة كان بعض الرهبان يملك ثروات طائلة[235]، كما أن بعض الأديرة وصلت إلى الثراء البالغ[236]، في الوقت الذي زادت فيه حاجة الدولة إلى الأموال، ويظهر ان فرض الجزية على الرهبان يتفق تاريخياً مع الإصلاح والتنظيم المالي العام في الدولة العربية الإسلامية الذي أجراه الخليفة عبد الملك

(231) زيدان، التمدن، ج2، ص17 ؛ دنيت، الجزية، ص131.

(232) الخراج، ص122 ؛ النعيم، د. عبد العزيز، نظام الضرائب، ص354.

(233) الطبري، اختلاف الفقهاء، 207 ؛ النعيم، د. عبد العزيز، نظام الضرائب، ص354.

(234) ابن القيم، أحكام، ق1، ص50.

(235) كاشف، د. سيدة إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، ص223 ؛ الريس، الخراج، ص233.

(236) ترتون، أهل الذمة، ص216. ((ويذكر ترتون أن دير مريم الصحراوي يملك (ثماني) إقطاعيات سنة (98 هـ)، ولدير بربروس (عشر) إقطاعيات))، ص216.

بن مروان[237]، كما ويبدو ان للجزية في مصر أهمية كبيرة بالنسبة لبيت المال[238]، نظراً لكثرة أعداد أهل الذمة.

ويذلك فأن ما فعله الوالي عبد العزيز بن مروان، بفرض الجزية على الرهبان، له ما يبرره، من الناحية الشرعية، وكذلك من الناحية المالية والاقتصادية، كما أن هناك بعض الرهبان من ساعد الولاة في فرض الجزية على الرهبان أنفسهم، كما هو حال (بنيامين الشماس)، الذي كان مصاحباً للأصبغ بن عبد العزيز[239]. وقد قطع عمل عبد العزيز هذا الطريق على المترهبين من اداء الجزية، بالترهب، لذلك فأن حركة التهرب من اداء الجزية، وجدت لها مساراً أخر، وهو الهروب والهجرة، إلى القرى والمدن البعيدة، وكانت هذه الحركة تثير الفوضى، وتؤثر على واردات الدولة، واشتدت هذه الحركة، زمن ولاية عبد الله بن عبد الملك (86–90ه/ 705–708م) والذي زاد الطين بله أن الظروف الاقتصادية للبلد كانت ظروف غلاء وعسر[240].

ولم تقتصر الضرائب في مصر في هذه الفترة، على ضريبتي الجزية والخراج، فكانت هناك ضرائب أخرى، منها، الضرائب على الصناع والأجراء، والتي

---

(237) دنيت، الجزية، ص133.

(238) يظهر ذلك بوضوح، عندما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، برفع الجزية عمن اسلم، فكتب إليه حيان بن شريح، واليه هناك: ((أما بعد فأن الإسلام قد اضر بالجزية، حتى سلفت من الحارث بن ثابتة، (عشرين) ألف دينار أتممت بها عطاء أهل الديوان ". المقريزي، خطط، ج1، ص78.

(239) كاشف، سيدة، مصر في فجر الإسلام، ص223.

(240) المقريزي، إغاثة الأمة، ص11 ؛ دنيت، الجزية، ص131.

كانت تحدد بقدر احتمالهم[241]، كما فرض العرب المسلمون، على التجارة الداخلية في مصر ضرائب باسم المكوس، وأخرى على التجارة الخارجية، وهناك بعض الالتزامات، كإيواء الجنود وضيافتهم، وتقديم العمال والموظفين للأشغال العامة[242].

وبذلك يتبين لنا أن الضريبتين الرئيستين في مصر، هما الجزية والخراج، وكانت الجزية تفرض على أهل الذمة، وفرضت لفترة محدودة على الرهبان لاتخاذهم الرهبنة وسيلة تخلص من الجزية.

3ـ خراسان والمشرق الإسلامي:

فتحت خراسان في عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة (30ه/ 650م)[243]. وتم فتح قسم من مدنها صلحاً، والقسم الأخر عنوة[244]، ويترتب على طبيعة الفتح طبيعة ومقدار الضرائب (الجزية والخراج)، ويبدو أن لكل مدينة مفتوحة شروط خاصة بها تختلف عن المدن الأخرى، مما عقد النظام المالي في خراسان. فقد فرض العرب، على بعض مدن المشرق الإسلامي، المفتوحة صلحاً، مبلغاً محدداً من المال (وظيفة) مثل، ابيورد وطوس وبلخ وبخارى وسمرقند وخوارزم وإذربيجان وهراة وجرجان وطبرستان ونيسابور

---

(241) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص152 – 153 ؛ المقريزي، خطط، ج1، ص77.

(242) كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص98 – 100.

(243) خليفة تاريخ، ج1، ص139 ؛ البلاذري، فتوح، ص394.

(244) البلاذري، فتوح، ص394 فما بعد ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص221 فما بعد ؛ العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص112 – 114 ؛ إدارة خراسان، مجلة كلية الآداب، العدد (15) لسنة (1972 م)، ص313.

ونسا[245]، وهناك بعض المدن التي فتحت عنوة مثل: سابور وسمنجان وحصني طاغون وباغون والشيرجان وبيمند وجيرفت وقوهستان وسرخس[246]، وغيرها من مدن الشرق الإسلامي، ولابد أن ما فرض على هذه المدن كان يختلف عما فرض على المدن الأخرى التي فتحت صلحاً، لأن للمسلمين الحق في فرض ما يشاؤون عليها. وبذلك تبين لنا ما قاله فلهاوزن ومن تبعه، من أن خراسان فتحت كلها صلحاً غير دقيق[247]. كما فرضت (الجزية والخراج) على بعض مدن المشرق مثل: همذان وارجان والصامغان ودراباذ والرى وقومس[248]، في حين فرضت على مدن أخرى، الجزاء (الجزية) مثل، موقان[249]، التي حددت جزيتها بدينار واحد على كل حالم، كما فرضت الجزية على مدن أخرى بدون تحديد لمقدار الجزية بل على الطاقة، مثل أهل ديبل ماه بهراذان، وماه دينار، واصبهان، وصلح الري، وصلح قومس، وجرجان، وإذربيجان[250]، ولكن الغالب في طريقة وضع الضرائب، هي الاتفاق على مبلغ محدد من المال (وظيفة)، إلا أن هذه الاتفاقات لم توضح طبيعة هذه الأموال، هل هي جزية أم

---

(245) البلاذري، فتوح، ص321 فما بعد.

(246) المصدر نفسه، ص381 فما بعد.

(247) تاريخ الدولة العربية، ص394 – 395 ؛ دنيت، الجزية، ص185.

(248) البلاذري، فتوح، ص306 – 329. يقول البلاذري في أمر همذان: ((غدر أهل همذان ونقضوا... فقاتلهم (العلاء بن وهب) فنزلوا على حكمه فصالحهم على أن يؤدوا خراج أرضهم وجزية الرؤوس))، ويقول البلاذري: ((صالح أهل الصامغان ودراباذ عتبة على الجزية والخراج))، ص329. ومن الجدير بالذكر أن بعض المدن تفتح أكثر من مرة مثل: (الري)، (همذان) وغيرهما، فلا بد أن شروط صلحها تختلف بعد ذلك.

(249) الطبري، تاريخ، ج3، ص237 ؛ الحيدر آبادي، الوثائق السياسية، ص339.

(250) الطبري، تاريخ، ج3، ص225 – 233 ؛ الحيدر آبادي، الوثائق السياسية ص322 – 327.

خراج أو كلاهما معاً، وهل هي ثابتة أو متغيرة ؟، يذكر البلاذري ان: ((ماهويه مرزبان مرو، قدم على علي ابن أبي طالب ﷺ في خلافته وهو في الكوفة فكتب له إلى الدهاقين والدهشلارين أن يؤدوا اليه الجزية، فانتفضت عليهم خراسان... ولم تزل خراسان ملتاثة حتى استشهد علي ﷺ، ولم يعرض عمال معاوية لأهل النكث وجبوا أهل الصلح))[251].

وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج وبلخ على نكثهم، ففتحت كابل عنوة ثانية في عصر معاوية وفتح قسم من مدن سجستان عنوة أيضاً[252]، اي أن العرب المسلمين كانوا يفرقون بين أرض العنوة وأرض الصلح، فيقول الذهبي[253]: ((فأفتتح أبو موسى الاشعري الاحواز صلحاً وعنوة، فوظف عمر بن الخطاب عليها (عشرة آلاف ألف درهم وأربعمائة درهم)' وجهد زياد في أمرته أن يخلص العنوة من الصلح فما قدر)).

وبذلك يتبين لنا أن هناك بدايات واضحة للتفريق بين أرض العنوة وأرض الصلح، وبين الجزية بوصفها ضريبة على الرأس، والخراج كضريبة على الأرض، وفضلاً عن هذا فهناك العديد من الروايات التاريخية التي تدحض قول فلهاوزن[254]: بأن اصطلاحي خراج وجزية، المستعملين بمعنى ضريبة الأرض

---

(251) البلاذري، فتح، ص399.

(252) المصدر نفسه، ص388.

(253) تاريخ الإسلام، ج2، ص21.

(254) روي أنه: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: ((أني أسلمت فأرفع عن أرضي الخراج، قال: لا أن أرضك أخذت عنوة)). ابن آدم، الخراج، ص53 – 54 ؛ رقم (149)، ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص155 ؛ البلاذري، فتوح، ص268، وهذا يعني أن الخليفة عمر كان يفرق بين أرض العنوة والصلح، وروى أبو يوسف من نص خطبة عمر في الصحابة: وقد رأيت أن أحبس الأرضيين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية، ص25، 28، 35. =

وضريبة الرأس، كانا لما يزيد على قرن من الزمان لفظين مترادفين، وهما بمعنى (أتاوة) ولم يميز بينهما بوصفهما ضريبة على الأرض وعلى الرأس إلا منذ سنة (121هـ/ 738 م).

ومن الجدير بالذكر أن الأوضاع السياسية والعسكرية في خراسان وحتى سنة (78هـ/ 697م) - حين ضم الخليفة عبد الملك بن مروان إدارة خراسان إلى أمير العراق - كانت مضطربة وغير مستقرة، ففي الداخل يسودها صراع بين العرب والموالي من الفرس خاصة، والذين عبروا عن روح عنصرية ومقاومة

= ويذكر أن الدكتور عبد العزيز الدوري صحح اراءه عن الضرائب في خراسان، إذ كان يرى بعدم فرض العرب للجزية والخراج في خراسان... بل ضريبة واحدة وهي(الجزية المشتركة) مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة (1966)، ص76، وصار يقول الان: أن التراث المحلي يفسر استعمال (جزية) بمعنى عام في مصر (وخراج) بمعنى شامل في المناطق الشرقية، ولكن هذا لم يغير الحقيقة وهي ان ضريبة الأرض كانت متميزة عن ضريبة الرأس منذ البادية، ويقول أيضاً ((أن العرب فرضوا ضريبتين رئيستين في خراسان بعد الفتح ضريبة على الرأس وأخرى على الأرض))، ويقول أيضاً ((أن هنالك تمييزاً بين ضريبة الأرض وضريبة الرأس مكن الخليفة عمر بن عبد العزيز من تطبيق إصلاحاته في خراسان دون خسارة لبيت المال)). نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لسنة (1974م)، ج2، ص47 – 48، وص56 – 57 ؛ ويقول الدكتور ناجي معروف: ((ويظهر أن بعض الباحثين قديماً وحديثاً يخلطون أحياناً بين الجزية والخراج، ولا يفرقون بينهما أو يغلبون أحد اللفظين على الأخر،... ومع ذلك كله فأن بحوث العلماء والفقهاء وآراءهم وأقوالهم كلها تدل بوضوح تام على أنهم كانوا يريدون بالجزية: ما وضع على رؤوس اهل الذمة من ضرائب... ويقصدون بالخراج ما كان يؤخذ من ضرائب على الأرض))، الضمان الاجتماعي، مجلة الأقلام، ص7.

للعرب المحررين[255]، كما كان يسودها أيضاً صراع بين العرب أنفسهم من قيسيين ويمانيين[256]، وفي الخارج كانت ظروف خراسان هي ظروف مواجهة عسكرية للأعداء الخارجيين وخاصة من الترك. ومن ناحية أخرى حاول المسلمون جاهدين توسيع رقعة الدولة، وحماية حدودها وأمنها واستقرارها، ونشر الدين الإسلامي فتسامحوا مع السكان ولم يهتموا كثيراً بالنواحي المالية، وكذلك بعد خراسان عن مركز الدولة الأموية، كل هذه الظروف شكلت صعوبات لدراسة الضرائب في خراسان، وخاصة الحقب الأولى، وذلك لقلة المعلومات واضطرابها، مما لا يساعدنا على رسم صورة دقيقة ومتكاملة للنظم الضريبية في خراسان.

ويبدو أن محاولات التنظيم المالي في الدولة التي أجراها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، قد أدخلت إلى خراسان أيضاً، إذ قام عامله هناك بمضاعفة الخراج على أهل مرو[257].

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، وفي إمارة أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد (74 – 78ه/ 693 – 697م)، يورد لنا الطبري نصا ضمن أحداث سنة (77ه/ 696م) يلقي ضوءاً مهماً عن تطورات الضرائب في خراسان، فيتحدث بمناسبة عبور أمية بن عبد الله إلى ما وراء النهر مجاهداً، إذ تآمر عليه عدد من القادة منهم عتّاب اللقوة، وبكير بن وشاح، والأحنف بن عبد الله العنبري، قال: بكير أثناء حديثه مع الأحنف بن عبد الله وعتاب، ((أني

---

(255) الريس، الخراج، ص188.

(256) للتفصيل ينظر: دكسن، الخلافة الأموية، ص163 – 171.

(257) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، بأعتناء كلمان هوار، (باريس – 1916 م)، ج6، ص4.

أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي، فقال عتاب، أتخاف عدم الرجال أنا آتيك من أهل مرو بما شئت أن هلك هؤلاء الذين معك، قال يهلك المسلمون، قال: أنما يكفيك أن ينادي مناع من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المصلين اسمع لك من هؤلاء واطوع))[258]، وجاءت كلمة خراج في هذا النص بالمعنى العام[259]، وهو (الجزية)، كما يدل هذا النص دلالة واضحة على أن الجزية فرضت على المسلمين الجدد، وبإعداد كبيرة، وربما منذ فترة ليست قصيرة، كما يورد لنا الطبري[260]، نصاً مهماً آخر إذ يقول: ((... وأخذ أمية الناس بالخراج وأشتد عليهم به، فجلس بكير بن وشاح يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكروا شدة أمية على الناس فذموه، وقالوا: ((سلط علينا الدهاقين في الجباية))، وفي هذا النص فأن كلمة خراج، جاءت بالمعنى العام أيضاً، وهي تعني الضرائب عدا الجزية ويستنتج من هذا النص أيضا استمرار مسؤولية الدهاقين في جباية الضرائب من أهل الذمة، بل تعدتها إلى العرب المسلمين، فإنَّ الشكوى تدل على فروض جديدة على العرب، لا تعدو

(258) الطبري، تاريخ، ج5، ص129.

(259) أن للجزية معنى عاماً ومعنى خاصاً، فيقول الماوردي، في معنى الجزية العام: ((وفي الجزية تأويلان، أحدهما، أنها من الأسماء الجملة التي لا نعرف منها ما أريد بها إلا ان يرد بيان، والثاني: انها من الأسماء العامة التي يجب أخراجها على عمومها إلا ما قد خصه الدليل)). الأحكام السلطانية، ص143. فمثلاً يقول أبو يوسف: ((... خراج رؤوسهم)). الخراج، ص122. فكلمة خراج هنا، جاءت بالمعنى العام وهي تعني الجزية.

(260) تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص132.

أن تكون أراضي خراجية تَمَلّكُوها[261]، وهذا يعني أن هناك أراضي خراجية وأخرى عشرية نتيجة طبيعة فتحها، وكذلك يدل هذا النص على ان إصلاحات الخليفة عبد الملك بن مروان الشاملة على الضرائب، قد أدخلت إلى خراسان وحاول فرز أراضي الخراج عن أراضي العشر، والتفرقة بين الجزية بوصفها ضريبة على الرأس والخراج بوصفه ضريبة على الأرض.

ويبدو أن محاولة الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف، لإصلاح الضرائب في خراسان، هي أول محاولة جدية في هذا الأقاليم، إذ أن أقاليم الدولة الأخرى، كالعراق وبلاد الشام والجزيرة ومصر، كانت قد نظمت في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ في وقت لم تفتح خراسان فيه بعد، ثم نظمت هذه الولايات للمرة الثالثة في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

ومن الجدير بالذكر أن جباية المبالغ المطلوبة (الوظيفة) من المدن والقرى، كانت بيد الدهاقين وهم المسؤولون عن جمعها وتسليمها إلى عامل الخراج أو الأمير وقد استعانت الدولة بهؤلاء الدهاقين لأنهم أبصر بالجباية وأعرف بالمنطقة وأهلها، وربما تجاوزت مسؤولية الدهاقين في الجباية إلى الأراضي كما ذكرنا سابقاً، وقد وقف هؤلاء الدهاقين والأمراء المحليون حجر عثرة في سبيل انتشار الإسلام، ليس لنقص الكمية المطلوبة من المال (الوظيفة) فحسب، وإنما حفاظاً على مراكزهم السياسية، ولأسباب دينية وعنصرية بحتة[262]، وكان سلطان هؤلاء يقوضه انتشار الإسلام بلا شك، لذلك كانوا، يأخذون الجزية من

---

(261) الدوري، نظام الضرائب في صدر الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، ج2، م49، لسنة (1974 م)، ص56.

(262) دينيت، الجزية، ص191 ؛ الدوري، نظام الضرائب، ص85، عمر، فاروق وآخرون، النظم الإسلامية، ص117.

المسلمين الجدد، ويعفون منها ابناء جلدتهم فهـم إذاً المسؤولين بالدرجـة الأولى عما حصل من أخطأ في فرض الجزية في خراسان على المسلمين الجـدد، لـذلك كثيراً ما نسمع الشكاوى من تصرف الدهاقين، الذين أسـتمروا علـى الجبايـة في غالب الأحيان طيلة الحقبة الأموية. وأستمر هذا التلاعب بالجباية بفرض الجبايـة على المسلمين الجدد وإعفـاء أهـل ديـنهم منهـا، في الفـترات اللاحقـة وبـشكل متزايد[263].

(263) ينظر الطبري، تاريخ، ج5، ص314 397 – 399 ؛ ص492 – 493.

الفصل الثالث
التنظيمات الادارية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان

1- تأسيس الديوان (الجند).
2- ديوان الخراج.
3- ديوان الرسائل والكتابة.
4- ديوان الخاتم.
5- ديوان البريد.
6- ديوان النظر في المظالم.
7- ديوان الطراز.
8- الحجابة.

قال الجاحظ:

((كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا وحزما))

ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص20.

الفصل الثالث

التنظيمات الادارية في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان

1ـ تأسيس الديوان (الجند):

كانـت المؤسـسات الإداريـة في العـصر الأمـوي، أحـدى أهـم المظـاهر الحضارية، وظهرت معظم هذه المؤسسات نتيجة حاجة ماسـة للتنظـيم الإداري، حيث بدأت بسيطة ثم نمت وتطورت حسب تطـور الظـروف والأحـوال، ويعـد عصر الخليفة عبد الملك بن مروان من أخصب فـترات التـاريخ الأمـوي تطـوراً وتنظيماً وإيجاداً لنظم إدارية جديـدة، إذ أن اغلـب هـذه الـنظم كانـت قـد نمـت وتوسعت على عصره، لذلك عُدَّ الخليفة عبد الملك بن مروان المؤسس الحقيقـي للنظام الإداري للدولة الأموية[1].

عند تأسيس الدولة العربية الإسلامية، في عصر الرسـول محمـد ﷺ لم تكـن هناك حاجة ماسة لتنظيمات إدارية واسعة ومنها الـدواوين، إذ أن الأمـوال الـتي كانت ترد إلى حاضرة الدولة قليلة لا تزيـد عـن حاجـة الدولـة والنـاس، فكـان الرسول محمد ﷺ يوزع ما يرد اليه منها وينفقه على وجوهه ولا يؤخره، فلم يكن له بيت مال[2]، وانما كان له كتاب يكتبـون المغـانم ومـا يتعلـق بـأمور القبائـل[3] حيث أمر ﷺ كتابه يوماً بتدوين اسماء المسلمين قائلاً لهم: ((أكتبوا لي من تلفـظ

(1) حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص141 ؛ عمر أبو النصر، الحـضارة الأمويـة، ص294.

(2) العسكري، الأوائل، ص123.

(3) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص12.

بالإسلام من الناس، فكتب له ألف وخمسمائة رجل))[4]. وسار الخليفة أبو بكر ﷺ على سياسة الرسول محمد ﷺ المالية نفسها، إذ ساوى بين الناس في العطاء، قائلاً: ((هذا معاش فالاسوة فيه خيراً من الاثرة))[5]. وعندما تولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ (13– 23هـ)، (634 – 643 م) كانت الظروف قد تطورت واستجدت أمور كثيرة، وظهرت حاجة ماسة للتنظيم الإداري، فقد كثرت موارد الدولة، وتوسعت أراضيها، وضمت شعوباً ذات نظم مختلفة، كما ازدادت أعداد المقاتلة بشكل كبير، ورغب الخليفة عمر ﷺ في جعل العرب أمة مجاهدة، إذ أصبح من الصعوبة ضبطهم من دون تدوين، لذلك رأى عمر بن الخطاب ﷺ أن يجعل للمقاتلة أعطيات ثابتة تكفيهم العمل والانصراف للجهاد وهذه في الواقع هي ام الأسباب التي كانت وراء تأسيس الديوان، فكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من وضعه في الإسلام[6].

ويتفق الفقهاء والمؤرخون على ان السبب المباشر لأقدام عمر ﷺ على تدوين الديوان هو قدوم أبي هريرة بـ (خمسمائة ألف) درهم من البحرين أثناء ولايته عليها... فخطب الخليفة عمر قائلاً: ((أيها الناس أنه قد جاء مال كثير فأن شئتم أن نكيل لكم كلنا، وأن شئتم أن نعد لكم عددنا، وأن شئتم أن نزن

---

(4) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص196،

(5) أبو يوسف، الخراج، ص42 ؛ العسكري، الأوائل، ص123.

(6) أبو يوسف، الخراج، ص45، ابن سعد، الطبقات، م3، ص282 ؛ البلاذري، فتوح، ص439 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص277 ؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص16 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، 423 ؛ مآثر الأنافة، ج3، ص335.

لكم وزنا لكم، وأشار احد الحاضرين فقال: يا أمير المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها))[7].

وقد استشار الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في هذا الموضوع الصحابة وكبار المسلمين، فقال له علي ﷺ: ((تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولا تمسك منه شيئاً. وقال له عثمان ﷺ: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وأن لم يحصوا حتى يعرفوا من أخد ومن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر))[8]، وقال له الوليد بن هشام ابن المغيرة[9]: ((وقد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله))[10].

وهنالك رواية مرتبكة حاولت إرجاع فكرة تأسيس الديوان إلى الفرس، إذ تقول: بأن الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك هو الهرمزان، وذلك حينما بعث عمر بعثاً فقال الهرمزان: ((هذا بعث قد أعطيت أهله

---

(7) أبو يوسف، الخراج، ص45، ابن سعد، الطبقات، م3، ص300 ؛ البلاذري، فتوح، ص439 – 440 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص277 ؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص16– 17 ؛ الماوردي، الأحكام، ص199. ويذكر اليعقوبي، أن مبلغ المال الذي جاء به أبو هريرة من البحرين هو (700) سبعمائة ألف، تاريخ، ج2، ص143.

(8) الطبري، تاريخ، ج3، ص278 ؛ الماوردي، الأحكام، 199 – 200.

(9) يرد أسم خالد بن الوليد في روايات أخرى بدل الوليد بن هشام بن المغيرة. ينظر: الماوردي، الأحكام،ص200 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(10) ابن سعد، الطبقات، م3، ص295 ؛ البلاذري، فتوح، ص435 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص278 ؛ الماوردي، الأحكام، ص199 – 200.

الأموال، فأن تخلف منهم رجل وأخل بمكانه فمن أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديواناً))[11].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرواية لم ترد عند أبي يوسف[12]، وابن سعد[13]، والبلاذري[14]، والطبري[15]، وهم ثقة، بل ذكروا رواية استشارة عمر بن الخطاب ﷺ للمسلمين، كما أن المصادر التي أوردت هذه الرواية ذكرت الاسم بألفاظ مختلفة[16]، وهذا ما يجعلنا نشك في صحة هذه الرواية إذ يبدو أنها من دسائس الشعوبية، وأعداء العرب، الذين ينكرون دورهم الحضاري، فينسبون إنجازاتهم الحضارية إلى الأمم الأخرى، وذلك لإلغاء دورهم في هذا الجانب.

أما عن تاريخ تدوين الديوان، فتختلف المصادر في تحديد سنة بدء التدوين، فيذكر الطبري[17]، في أحدى رواياته، أن التدوين كان سنة (15ه/ 636م)، بينما تجعل روايات أخرى من سنة (20ه/ 641م)، سنة

---

(11) الماوردي، الأحكام، ص199 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(12) الخراج، ص42 – فما بعد.

(13) الطبقات الكبرى، م3، ص282، و ص295 – فما بعد.

(14) فتوح، ص435 – فما بعد.

(15) تاريخ، ج3، ص278،

(16) يذكر الجهشياري أن اسمه ((الفيرزان)) الوزراء والكتاب، ص17. بينما يذكر ابن الطقطقي، أن اسمه (المرزبان)، الفخري، ص83.

(17) التاريخ، ج3، ص108 ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص83.

لتدوين الديوان[18]. ويبدو أن سنة (20هـ) هي الأرجح، إذ يقول الشعبي: ((لما افتتح عمر العراق والشام، وجبى الخراج، جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال أني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله))[19]. ولم يكن ذلك ممكناً إلا بعد سنة (15هـ)، إذ لم يكن العراق قد استكمل تحريره بعد. ثم ان عمر ﷺ قسم الغنائم على المقاتلين المسلمين بعد تحرير بيت المقدس، كما قسمها في الجابية أيضاً سنة (16هـ/ 637م)[20]، فضلاً عن أن الخليفة عمر ﷺ أستعمل أبا هريرة على البحرين واليمامة سنة (20 هـ/ 641م)[21].

ومهما يكن فأن كل التطورات تؤكد الحاجة إلى التنظيم الإداري، وأن وضع الديوان أصبح ضرورة ماسة، لذلك دعا عمر ﷺ، عقيل بن أبي طالب، ومخرمة ابن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نساب قريش، وقال: أكتبوا الناس على منازلهم، ورفض الخليفة عمر ﷺ أن يبدأ بنفسه، فبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب ففرض لهم، ثم الأقرب فالأقرب لرسول الله ﷺ، فكان القوم إذ استوو في القرابة قدم أهل السابقة[22]، ((فلما استقر ترتيب الناس في الدواوين على قدر النسب المتصل برسول الله ﷺ، فضل بينهم في العطاء على قدر السابقة في

---

(18) ابن سعد، الطبقات، م3، ص296 ؛ البلاذري، فتوح، ص436، 443 ؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2. ص143 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص202 ؛ الماوردي، الأحكام، ص200 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244 ؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص92.

(19) البلاذري، فتوح، ص435.

(20) ابن سعد، الطبقات، م3، ص283.

(21) الطبري، تاريخ، ج3، ص202.

(22) أبو يوسف، الخراج، ص44 ؛ ابن سعد، الطبقات، م3، ص295 – 296 ؛ البلاذري، فتوح، ص436- 437 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص278 ؛ الماوردي، الأحكام، ص200.

الإسلام والقربى من رسول الله ﷺ[23]، أي ان عمر ﷺ لم يتبع رأي أبي بكر ﷺ في مساواته للناس في العطاء قائلاً: ((لا اجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه))[24]، وساوى الخليفة عمر ﷺ الموالي والعرب في العطاء[25]، كما فرض للمنفوس[26] واللقيط[27]، والعبد أيضاً[28]. ولم يعط عمر ﷺ لأهل مكة عطاء ولم يضرب عليهم بعثاً[29]، ولم يفرض عمر ﷺ أقل من (ثلثمائة) درهم[30]،كما أرزق الناس جريبين من الطعام كل شهر[31].

ومن الجدير بالذكر أن لفظ (ديوان) قد تطور خلال الحقب التاريخية، فكان يعني أول الأمر، السجل أو الدفتر أو ((مجتمع الصحف والكتاب يكتب

(23) الماوردي، الأحكام، ص200.
(24) أبو يوسف، الخراج، ص43 ؛ ابن سعد، الطبقات م3، ص296 ؛ البلاذري، فتوح، ص437 ؛ الماوردي، الأحكام، ص201.
(25) أبو يوسف، الخراج، ص44 ؛ البلاذري، فتوح، ص442 – 444.
(26) أبو يوسف، الخراج، ص46 ؛ ابن سعد، الطبفات، م3، ص298 ؛ البلاذري،، فتوح، ص445.
(27) ابن سعد، الطبقات، م3، ص298.
(28) ابن سعد، الطبقات، م3، ص305 ؛ البلاذري، فتوح، ص446 – 447، الماوردي، الأحكام، ص202.
(29) البلاذري، فتوح، ص444.
(30) المصدر السابق، ص438 ؛ الماوردي، الأحكام، ص201.
(31) ابن سعد، الطبقات، م3، ص305 ؛ البلاذري، فتوح، ص446 – 447 ؛ الماوردي، الأحكام، 202. وللتفصيل، عن مقادير العطاء ينظر: ابن سعد،الطبقات، م3، ص296 فما بعد.

فيه أهل الجيش وأهل العطاء))[32]، ثم أطلق بعد ذلك على سجلات الحسابات العامة للدولة[33]، وينطبق هذا المعنى على عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، أثناء تعريب دواوين الخراج، وأخيراً صار يطلق على موضع حفظ السجلات[34] أو على مكان جلوس الكتاب[35].

وهكذا استقر ديوان الجند (العطاء) في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﵁. إلا أن العطاء بدأ يرتبط بالأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية بشكل واضح في العصر الأموي، فمثلاً عند إرسال يزيد بن معاوية (60–64ه/ 679–683م) جيشاً إلى الحجاز لمقاتلته عبد الله بن الزبير ((أمر أن يعطوا أعطيتهم كاملة ويعان كل امرئ منهم بمائة دينار))[36]، لأجل زيادة حماسة جنده في القتال.

كما ان مصعب بن الزبير كان يعطي أهل العراق عطاءين في السنة فأحبه الناس[37]، ثم أن رفض عبد الله بن الزبير أعطاء وجوه أهل العراق عندما وفدوا

---

(32) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دون) ؛ الكتاني، التراتيب الإدارية، ج1، ص225.

(33) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ديوان)، م9، ص378.

(34) يقول الماوردي: ((والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال))، ص199.

(35) يقول القلقشندي: (أما الديوان فاسم للموضع لذي يجلس فيه الكتاب) صبح الاعشا، ج6، ص89.

(36) البلاذري، انساب، ج4، ق2، ص33.

(37) المصدر نفسه، ج5، ص280،

عليه، كان من الأسباب المهمة، لتحولهم عنه، ومكاتبة الخليفة عبد الملك بن مروان[38].

وقد ادرك الخليفة عبد الملك بن مروان أهمية العطاء، إذ استفاد من سياسة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، في استرضاء الناس والتوسع في العطاء[39]. إذ أن طبيعة المرحلة التاريخية، وظروف الدولة الصعبة، وحاجتها إلى الأموال، كانت تستدعي من الخليفة اتباع سياسة مالية جديدة، وهذا ما يفسر لنا، قيام الخليفة عبدالملك بقطع ما كان يفرضه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان للمولود ((إلا عمن شاء))[40]. ومن ناحية أخرى فانه زاد عطاء الموالي من (خمسة عشر) في عصر معاوية بن أبي سفيان إلى (عشرين) درهماً[41].

وكذلك بدأ العطاء يرتبط بشكل واضح بالنواحي العسكرية والسياسية، ففي سنة (69ه/ 688م)، خرج الخليفة عبد الملك لقتال مصعب بن الزبير، فتخلف بعض من أهل الشام عن الخروج معه، فأخذ خمس أموالهم من عطاء سنة (70ه/ 689م)[42]، على الرغم من حبه العميق لهم[43].

كما كان الخليفة عبد الملك يضطر أحياناً وتحت ضغط الظروف إلى زيادة العطاء أو إدخال أناس آخرين في الديوان، كما فعل حين تمرد الجراجمة في لبنان، إذ أعلن قائده (سحيم بن المهاجر) على لسان الخليفة ((من أتانا من العبيد فهر

---

(38) ابن قتيبة، الإمامة، ج2، ص20.

(39) عمر أبو النصر، الحضارة الأموية، ص248.

(40) البلاذري، فتوح، ص445.

(41) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص400.

(42) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص262.

(43) الطرطوشي، سراج الملوك، مطبعة بولاق (القاهرة – 1289 هـ)، ص118.

حر ويثبت في الديوان فانفض اليه خلق كثير))[44]. كما استخدم سلاح زيادة العطاء أيضاً ضد عبد الله بن الزبير، حينما نادى الحجاج جنده قائلاً: ((يا أهل الشام قاتلوا على اعطيات عبد الملك))[45].

وقد حدث تطور مهم لديوان الجند في عصر الخليفة عبد الملك في العراق خاصة، وذلك حينما بدأ الجند يتقاعسون في الخروج لقتال الخوارج، فعين الخليفة عبد الملك، الحجاج أميراً على العراق، وأمره أن يعيد تنظيم ديوان الجند وتنظيم العطاء فيه على أساس المقدرة والكفاءة فأعاد الحجاج تنظيم ذلك على أسس دقيقة[46]، ثم أمر بإعطاء الناس عطائهم والتوجه لجبهات القتال، وتوعد المتخلفين منهم بالموت[47]، كما لم يقبل إعفاء جندي من الخروج للقتال مقابل تركه عطاءه[48].

وقد استخدم الخليفة عبد الملك العطاء وسيلة للقضاء على الفتنة، فقد كتب يوماً إلى الحجاج، ان يصف له الفتنة، فوصفها له... فكتب اليه عبد الملك: ((فأن اردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة واعطهم عطاء الفرقة))[49]. وكان الحجاج يصرف العطاء بأكمله لجنده في أوقات الأزمات

---

(44) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص304.
(45) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص417 ؛ زيدان، التمدن الإسلامي، ج1، ص72.
(46) طه، العراق في عهد الحجاج، ص126 – 127.
(47) الطبري، تاريخ، ج5، ص42.
(48)المصدر نفسه، ج5، ص46.
(49) المسعودي، مروج، ج3، ص126.

السياسية أو الاستعداد للقتال، كما فعل حينما أعطى الناس أعطياتهم كاملة عند تجهيز جيش الطواويس لقتال رتبيل[50].

ومن ناحية أخرى، فأن الخليفة عبد الملك بن مروان، كان يكرم من أسدى خدمة عسكرية للدولة أو أظهر بطولة وشجاعة في جبهات القتال، فقد كرم موسى ابن نصير حينما حرر أفريقية سنة (83هـ/ 703م)[51].

كما كرّم الحجاج الملهب بن أبي صفرة وأصحابه لجهودهم في القضاء على الخوارج الأزارقة، إذ ((احسن عطاياهم وزاد في أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالأموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الأعداء))[52].

أما إدارة هذا الديوان، فكان أشهر من تولاه للخليفة عبد الملك بن مروان، هو (سرجون بن منصور) الذي تولى ديواني الجند والخراج في دمشق[53]، ثم عزله الخليفة وعين بدله ((سليمان بن سعيد الخشني))[54]. وكانت غالبية الجند الأموي في عصر الخليفة عبد الملك هم من العرب، لأن الدولة الأموية كانت عربية لحماً ودماً.

ويبدو أن أعداد الجند المسجلين في الديوان لم يكن قليلاً سواء أكان في العراق أو في باقي الأقاليم الأخرى. ففي سنة (74هـ/ 693م) كان في العراق

---

(50) الطبري، تاريخ، ج5، ص140 – 141.

(51) ينظر الفصل الخامس، إدارة افريقية.

(52) الطبري، تاريخ، ج5، ص134 – 135.

(53)ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص40.

(54) الجهشياري، الوزراء، ص40 ؛ الصولي، أدب، 192.

وحدة (ستون) ألفا من أصحاب العطاء بلغت رواتبهم وأسرهم (ستين مليون) درهم سنوياً[55]، في حين كان عدد من يستلم العطاء في دمشق وحدها سنة (83هـ/ 700م) نحوا من (خمسة وأربعين) ألفاً[56]، وعددهم في حمص كان (عشرين) ألفاً[57].

وكان عطاء جند العراق في عهد الحجاج في الغالب هو (ثلاثمائة) درهم سنوياً[58].

2ـ ديوان الخراج:

يعد ديوان الخراج أهم دواوين الدولة، وذلك لأنه يتولى تنظيم الخراج وجبايته، وتسجيله، ووضع تقديرات له كما تعول الدولة في وارداتها ومصروفاتها على هذا الديوان وما يجبيه، أي أن مهمة هذا الديوان كانت مالية إدارية، لهذا وجد ديوان للخراج في كل ولاية من ولايات الدولة كما تتوقف أهمية هذا الديوان على مكانة الولاية الاقتصادية، وغزارة مواردها.

وعندما حرر المسلمون الأراضي العربية، أبقوا دواوين الخراج على ما هي عليه من حيث موظفيها ولغاتها المحلية، حتى تم تعريبها على يد الخليفة عبد الملك ابن مروان[59]، وكان الفائض من أموال دواوين الخراج المحلية يرسل إلى

---

(55) حسيني، الإدارة العربية، ص249.

(56) جلوب، إمبراطورية العرب، ترجمة خيري العمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت – 1966)، ص220.

(57) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص245.

(58) البلاذري. انساب، ص273. (طبعة أهلورت).

(59) ينظر الفصل الرابع ((تعريب الدواوين)).

العاصمة دمشق (ديوان الخراج المركزي) بعد دفع أعطيات الجند ونفقات الخدمات العامة، وما تتطلبه مصاريف الطوارئ الأخرى.

وقد حصل تطور مهم على ديوان الخراج في العصر الأموي، إذ فصلت الجباية عن إدارة الولاية، فأصبح عامل الخراج مستقلاً في أموره عن أمير الولاية الذي تركزت مهامه في الأمور الإدارية والسياسية، حيث منح هؤلاء سلطات واسعة لتسهيل إدارتها.

وكما ذكرنا قبل قليل أن سرجون بن منصور كان قد تولى إدارة ديوان الخراج والجند على عصر الخليفة عبد الملك[60]، ثم عزله وعين بدله ((سليمان بن سعد الخشني))[61]. ولا بد أنه كان يساعد صاحب الخراج عدد غير قليل من الكتاب والموظفين، إذ كان بديوان خراج مصر حوالي (أربعة وأربعين) موظفاً[62]، ويبدو أن متولي ديوان الخراج كان يحصل على أموال طائلة من عمله، مثل (اثيناس) متولي الخراج في مصر على عصر عبد الملك، إذ كان واسع السلطات عظيم النفوذ[63].

---

(60) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ المسعودي التنبيه، ص273 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص40.

(61) المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص40.

(62) ترتون، أهل الذمة، ص21.

(63) المصدر نفسه، ص21 – 22.

وكان أشهر من تولى ديوان خراج العراق هو (زادان فروخ)[64]. ثم (صالح بن عبد الرحمن)[65].

3ـ ديوان الرسائل والكتابة:

اتخذ الرسول محمد ﷺ كُتّاباً يكتبون الوحي وآخرين يكتبون الأحوال الدنيوية[66]، كما أستخدم الخلفاء الراشدون عدداً من الصحابة والخاصة كتاباً يكتبون أمور الدولة المختلفة، ومن أشهرهم زيد بن ثابت كاتب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[67]، ومروان بن الحكم الذي كتب للخليفة عثمان بن عفان ﷺ[68].

وفي العصر الأموي، أسس ديوان منظم للرسائل[69]، إذ توسعت رقعة الدولة العربية، فكثرت أعمال الخلفاء، مما كان له أكبر الأثر في شيوع المكاتبات

---

(64) زادان فروخ: تولى ديوان الخراج في العراق على عهد زياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله بن زياد، وطرد من منصبه زمن مصعب بن الزبير، ثم عينه الحجاج ثانية على الخراج، وبقي في منصبه هذا حتى قتل سنة (82 هـ) في فتنة ابن الاشعث. البلاذري، فتوح، ص298 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص26، 38.

(65) صالح بن عبد الرحمن: كان أبوه من سبي سجستان، مولى بني تميم، وهو أول من عرب دواوين العراق، كان يجيد اللغة العربية والفارسية، ولاه الحجاج الديوان بعد زادان فروخ، واستمر في عمله هذا حتى قتل في ولاية ابن هبيرة على العراق سنة (103 هـ). البلاذري، فتوح، ص298 ؛الجهشياري، الوزراء، ص38 ؛ الصولي، أدب، ص192 ؛ المبرد، الكامل، ج2، ص196 ؛ وج3، ص215،

(66) الجهشياري، الوزراء، ص12.

(67) المصدر نفسه، ص16.

(68) المصدر نفسه، ص21.

(69) حسيني، الإدارة العربية، ص168.

الرسمية التي تناولت كثيراً من الأمور الإدارية وسياسة الدولة وتنظيم أمورها المختلفة.

ويبدو ان هذا الديون قد اتخذ شكله المميز في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، فأصبح ديواناً متكاملاً، يعرف بـ (ديوان الرسائل)، ومما يؤكد هذا أن الجهشياري لا يسميه ديواناً إلا عند حديثه عن الخليفة عبد الملك بن مروان[70].

إن مهمة هذا الديوان هي تحرير رسائل الخليفة وأوامره الداخلية والخارجية، فضلاً عن تنسيق العمل بين دواوين الدولة المختلفة. وكانت ترد إلى صاحب هذا الديون رسائل الولايات فيقوم بأجراء ما يجب بصددها. ثم توسع هذا الديوان وتعددت اختصاصاته وكثر عدد من يعملون فيه، إذ وجد فيه كتاب اساسيون يقومون بالكتابة والإنشاء وآخرون يساعدونهم يقومون بالتلخيص والتبييض، وأصبح لهذا الديوان ملفات توضع فيها أصول المراسلات ونسخها، وتنظم في سجلات خاصة تسمى أضابير وتوضع عليها بطاقات تدل على محتوياتها ليسهل استخراجها واستخدامها[71].

وكان يجب على من يعمل في هذا الديوان أن يتقن اللغة العربية، ويفضل من يعرف لغة أجنبية، كما ((يجب أن يعرف الوصول والفصول والترغيب والترهيب والجوابات))[72]، وكان كاتب الرسائل يمثل ((يد الخليفة ومستودع أسراره))[73]، لذلك لا يختار لهذا العمل إلا ((من أهل نسبه ومن عظماء

(70) الجهشياري، الوزراء، ص35.

(71) ماجد، الحضارة الإسلامية، ص35 – 36.

(72) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص418.

(73) زيدان، التمدن الإسلامي، ج1، ص212.

قبيلة))[74]، وقد استمر ذلك طيلة العصر الأموي، وكان صاحب هذا الديوان لا يقل أهمية عن الوزير في العصر العباسي[75].

وقد تطور هذا الديوان كثيراً على عصر الخليفة عبد الملك وازدادت أهميته بشكل واضح، ولاسيما أثناء ولاية الحجاج للعراق، نظراً للمستجدات السياسية ووجود المتمردين والخارجين على الدولة مما استوجب متابعة أخبارهم، فكان الخليفة عبد الملك يكتب للحجاج بشأنهم، مما كان باعثاً مهماً لازدهار ديوان الرسائل والكتابة، فكانت هذه الرسائل تصدر من الديوان بشكل مستمر إلى من يهمه الأمر لمعالجة أوضاع تلك الاضطرابات[76] إذ ان الخليفة عبد الملك كان غالباً ما يلجأ إلى المكاتبات السياسية في محاولة منه أن يفت في عضد قادة التمردات والاضطرابات فراسل أصحاب مصعب بن الزبير، وابن الاشتر[77]، كما كان يرسل التوجيهات الإدارية والعسكرية إلى ولاته وقادته، وكان من الطبيعي أن تزداد مراسلات الحجاج إلى ولاته وقادته ومراسلاتهم اليه، كالمهلب بن أبي صفرة مثلاً[78]. ويلاحظ كثرة التواقيع[79]، في مراسلات الخليفة عبد

---

(74) ابن خلدون، المقدمة، ص246.

(75) طلس، محمد أسعد، تاريخ الأمة العربية، (عصر الاتساق)، ط1، دار الأندلس، (بيروت – 1958 م)، ص66.

(76) ينظر: احمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر، 1937 م)، ج2، ص143 – فما بعد.

(77) الطبري، تاريخ، ج4، ص573، ج5، ص6 ؛ الأصبهاني، الأغاني، ج19، ص123،124.

(78) الدينوري، الأخبار الطوال، ص277 – 280 ؛ النويري، نهاية الأرب، ج7، ص246– 247.

(79) التوقيع: هو الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل ومنصب خطير. القلقشندي، صبح الأعشا، ج1، ص114 – 115.

الملك مع الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي تؤكد أهمية ديوان الرسائل وتطوره وتوضح في جانب منها طبيعة سياسة الخليفة عبد الملك الإدارية. فوقع مثلاً في كتاب أتاه من الحجاج: ((جنبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب))[80]، كما وقع في كتاب للحجاج: ((أرفق بهم فأنه لا يكون مع الرفق ما تكره ومع الخرق ما تحب))[81].

ونظراً لأهمية كتاب الرسائل فأن الخليفة عبد الملك بن مروان، وكذلك الحجاج لم يستخدما في هذا الديوان إلا من هو موضع ثقة وأمانة وإخلاص، كما اختير الكتاب الحاذقون الذين يجمعون بين الخبرة الإدارية وفن كتابة الرسائل وإجادة أسلوب المخاطبة. ومن أشهر من استخدمهم الخليفة عبد الملك (قُبيصة بن ذؤيب ابن حلحلة بن عمرو) ويكنى (أبا إسحاق) وبلغ من علو مكانته أنه كان يطلع على الكتب الواردة إلى الخليفة قبل أن يعرضها على الخليفة نفسه[82]، وكذلك كتب له على ديوان الرسائل، (أبو الزعيزعة) مولاه[83]، ومن كتابه المشهورين (روح بن زنباع الجذامي) ويكنى (أبا زرعة)، وكان روح هذا على جانب كبير من العلم والأمانة إذ كان يقول فيه عبد الملك: ((ما أعطي أحد ما أعطي أبو زرعة، أعطي فقه الحجاز، ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل

---

(80) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص207.

(81) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، خاص الخاص، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت – 1966 م)، بلا. ط، ص87.

(82) البلاذري، انساب، ج5، ص356 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص34 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص168.

(83) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص25 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص35.

الشام))[84]، وكان من كتابه أيضاً (ربيعة الجرشي) الذي استشاره عبد الملك بشان تولية ابنه الوليد العهد[85]، مما يدل على مكانة كاتب الرسائل العالية في عصر الخليفة عبد الملك. وبعد وفاة قبيصة بن ذؤيب، ولّى عبد الملك مكانه (عمرو بن الحارث الفهمي) مولى بني عامر بن لؤي[86].

أما أشهر من تولى ديوان الرسائل والكتابة للحجاج، فهو (يزيد بن أبي مسلم) وكان أثيراً لديه وموضع ثقته لدرجة أنه أوصى بتوليته مكانه عند وفاته، وكان يزيد هذا يأخذ (ثلثمئة) درهم شهرياً[87]. وكان يكتب (ليزيد بن المهلب) والي خراسان، (يحيى بن يعمر العدواني) الذي أشتهر بالفصاحة[88]. ومما يلاحظ على مراسلات الحجاج مع عماله انها كانت منتظمة.

ونتيجة الاهتمام بالدواوين وإدارتها ' فقد كثر في هذه الحقبة أعداد الكتاب من العرب ومواليهم، كما يلاحظ أيضاً أنه صار هناك تخصص في الكتاب إذ ظهر خمسة أنواع من هؤلاء نتيجة لتعدد مصالح الدولة، وهم: كاتب

---

(84) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص77 ؛ التاج، ص60 ؛ المبرد، الكامل، ج3، ص169 ؛ الجهشياري، الوزراء، ص35 ؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص159 ؛ ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح، علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر (القاهرة – د. ت)، ق2 ص503.

(85) الجهشياري، الوزراء، ص37 ؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص299.

(86) الجهشياري، الوزراء، ص38.

(87) الجهشياري، الوزراء، ص42 ؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص61 – 62 ؛ إبن الأبار، اعتاب الكتاب، ص57.

(88) الجهشياري، الوزراء، ص41 ؛ غرر السير، ورقة (37 أ)، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص317.

الرسائل، وكاتب خراج، وكاتب جند، وكاتب شرطة، وكاتب قاض[89]. ومما يلاحظ على كتاب الرسائل والخاتم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أن اغلبهم من العرب أو مواليهم، لأنهم يجيدون الكتابة باللغة العربية، كما انهم موضع ثقة الخليفة، فضلاً عن أن سياسة عبد الملك استهدفت صبغ الدولة بالصبغة العربية ولا يوجد من هؤلاء الكتاب من هو من أهل الذمة، كما تولى بعضهم أكثر من وظيفة.

4ـ ديوان الخاتم:

أن الختم على الرسائل والصكوك معروف قبل الإسلام وبعده[90]، ولما تأسست الدولة العربية الإسلامية، وأراد الرسول محمد ﷺ أن يكتب إلى امبراطور الروم بعد أنصرافه من الحديبية سنة (6هـ/ 627 م)، قيل له انهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فأتخذ خاتماً من فضة، ومنع ان ينقش مثله، ونقش عليه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر، فختم به حتى توفي ﷺ، فختم به أبو بكر وعمر وعثمان لمدة (ست) سنوات فضاع فأتخذ خاتماً من وَرِق ونقش عليه ((محمد رسول الله))[91]. وكان الخاتم أو الختم في عصر رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين يعني التوقيع بالختم ليس إلا.

(89) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص418.

(90) ابن خلدون، المقدمة، ص264 ؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج2، ص231.

(91) البلاذري، فتوح، ص448 ؛ الصولي، أدب، ص139 ؛ قدامة، الخراج، ص55 – 56؛ العسكري، الأوائل، ص80، ابن خلدون، المقدمة، ص264 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص422 ؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج2، ص231.

وفي العصر الأموي تم إنشاء هذا الديوان وأول من اتخذه الخليفة معاوية بن أبي سفيان[92]. وتجمع المصادر التاريخية على أن سبب إنشائه، هو حادثة تزوير كتاب الخليفة معاوية الذي كتبه إلى عامله على العراق (زياد بن أبي سفيان) يأمره فيه أعطاء عمرو بن الزبير (مئة ألف) درهم، ففض عمرو الكتاب وصير (المئة)، (مئتي الف درهم)، فأكتشف معاوية حالة التزوير هذه فأحدث عندئذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم[93]، وأصبح ديوان الخاتم ((عبارة عن الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها أما بالعلامة أو بالحزم))[94]، وصار ديواناً معتبراً من أكابر الدواوين[95]، وولاه معاوية إلى عبد الله بن اوس الغساني[96]، وكان نقش خاتمه ((لكل عمل ثواب))[97].

---

(92) الجهشياري، الوزراء، ص24 ؛ العسكري، الأوائل، ص80 ؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص16 ؛ التذكرة الحمدونية، ج12، ورقة (25 ب)، السيوطي، الوسائل، ص98؛ ابن خلدون، المقدمة، ص265 ؛ ابن طباطبا: الفخري ص107 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج1، ص414، مآثر الأنافة، ج3، ص342.

(93) ينظر مصادر هامش رقم (3).

(94) ابن خلدون المقدمة، ص266.

(95) ابن الطقطقي، الفخري، ص107.

(96) العسكري، الأوائل، ص80 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص200 ويرد الاسم عند الجهشياري عبيد الله وليس عبد الله. ص24، أما الطبري فيورد اسمه ((عبد الله بن محصن الحميري))، تاريخ، ج4، ص244.

(97) الصولي، أدب، ص141، العسكري، الأوائل، ص85 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص82.

وفي عصر الخليفة عبدالملك بن مروان تطور ديوان الخاتم فأصبح إدارة منظمة، كما نشأت في هذه الفترة دار للمحفوظات الحكومية في دمشق[98]. ومن المحتمل ان هذا الديوان لم يقتصر على العاصمة دمشق، بل ربما وجد في باقي الولايات، خصوصاً بعد التنظيم الإداري الواسع الذي قام به الخليفة عبد الملك بن مروان، وكذلك لكثرة المراسلات مع الولايات المختلفة وأهميتها السياسية ولا سيما مع العراق.

وكان الخليفة عبد الملك لا يولي هذا الديوان إلا أوثق الناس عنده[99]، لذلك فقد قلده إلى (قبيصة بن ذؤيب الغساني)، الذي كان آثر الناس عنده، إذ أمر الخليفة حاجبه، بالا يحجب قبيصة في أي ساعة جاء من ليل او نهار، فكانت تأتيه الأخبار قبل الخليفة كما ذكرنا ذلك سابقاً ثم يأتي بها منشورة إلى الخليفة عبدالملك فيقرؤها أعظاماً لقبيصة[100]. وعندما توفي خلفه في منصبه (عمرو بن الحارث الفهمي) مولى بني عامر بن لؤي[101]، ثم توفي عمرو فخلفه جناح مولى

---

(98) حسيني، الإدارة العربية، ص169.

(99) الصولي، أدب، ص141.

(100) ابن سعد، الطبقات. م5، ص234 ؛ ابن حبيب، المحبر، ص379 ؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص273 ؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص598 ؛ الجهشياري، الوزراء،ص34 ؛ = =ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص399. يرد الاسم لدى خليفة بن خياط، (قبيصة بن ذؤيب الخزاعي) وليس الغساني، تاريخ، ج1، ص302.

(101) الجهشياري، الوزراء، ص38.

الخليفة عبد الملك[102]. وكان نقش خاتم الخليفة عبد الملك ((أمنت بالله مخلصاً))[103].

ومن الملاحظ أن أغلب من ولي ديوان الخاتم كان من العرب ومن مختلف القبائل أو من موالي الخليفة أو موالي القبائل، كما يلاحظ أن بعض هؤلاء تقلدوا الرسائل والخاتم معاً لأهمية هذين الديوانين ولارتباط عمليهما معاً.

5ـ ديوان البريد:

البريد في الإصلاح: ((أن يجعل خيل مضمرات في عدّة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكانه منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة))[104]، وقدرت مسافة البريد بـ (أربعة)[105] فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، فيكون طول المسافة بين نقطة بريد وأخرى (أثنى عشر)[106] ميلاً، واختلف في أصل تسميته[107].

---

(102) المصدر نفسه، ص38.

(103) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص90 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج6، ص354؛ مآثر الانفة، ج1، ص128.

(104) ابن الطقطقي، الفخري، ص106.

(105) يجعل الخوارزمي مسافة البريد (فرسخان)، مفاتيح العلوم، ص42.

(106) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص32 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج14 ؛ ص366 ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص106.

(107) للتفصيل ينظر: خولة عيسى محمد صالح، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير، على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد–كلية الآداب، لسنة(1985م)، ص15–20.

وقد عرف العرب البريد منذ القدم، إذ أن ورود اسم البريد في الأحاديث النبوية الشريفة يدلل على ذلك[108]، كما يلاحظ اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالبريد بشكل أوسع، إذ ((اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدة لكون أن كان))[109]، لذلك كان للبريد أثر مهم في حركات التحرير العربية الواسعة، تمثل في سرعة إيصال الأوامر والتوجيهات العسكرية، وأخبار معارك التحرير في جبهات القتال[110]، فضلاً عن كثرة استخدامه في تسيير الرسل والهدايا بين الخليفة عمر ﷺ وإمبراطور الروم[111].

وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، يبدو أن البريد توسع وازدادت أهميته[112]. وعندما تولى معاوية الخلافة سنة (41هـ)، كانت ظروف الدولة قد تغيرت كثيراً، إذ توسعت مساحة الدولة، وكثر المناوؤن، فازدادت المراسلات، فلذلك بات من الضروري، تنظيم البريد والاستفادة منه لتسهيل الاتصال

---

(108) ينظر ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، تح، طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (القاهرة - 1963)، ج1، ص115 – 116 ؛ فنسنك، المعجم المفهرس، ج1، ص168 – 169.

(109) الطبري، تاريخ، ج3،ص154 – 155.

(110) ينظر: الطبري، تاريخ، ج3، ص9–12؛ ابن الأثير، الكامل، ج2، ص412 ؛ ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج1، ص158 ؛ وللتفصيل ينظر، خولة عيسى، نشأت البريد، ص37– 46.

(111) الطبري، تاريخ، ج3، ص317 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص96، الخضري، تاريخ الأمم، ج2، ص17.

(112) الشبيبي، د. مصطفى، أصحاب الأخبار أو رجال المخابرات في التراث العربي حتى سقوط الدولة العباسية، مجلة أفاق عربية، العدد (7)، (إذار 1982 م)، ص62.

السريع بين الخليفة وعماله ونقل الرسائل والأخبار بأسرع ما يمكن، لكل ذلك نظم معاوية البريد، وكانت له الريادة في هذا الميدان(113).

وكان من يقوم على البريد يدعى بـ (صاحب البريد)، له من الصفات ما تجعله مؤهلاً لهذا المنصب فقد أوجز لنا ابن الأزرق هذه الصفات قائلاً بأنه يجب: ((أن يكون موثوقاً ومن أهل السياسة، والدلالة في الطريق والتبصر بالقبائل))(114)، ويختار صاحب البريد أصحابه وأعوانه، من أهل المعرفة بالطريق وقوة الأجسام(115).

وكانت مهمة صاحب البريد الرئيسة في هذه الحقبة هي نقل الرسائل والأخبار بين العاصمة دمشق وولايات الدولة وبالعكس، وكذلك حفظ الطرق وصيانتها من القطاع واللصوص والجواسيس والأعداء(116)، اما أهم وسائل البريد فهي، الخيل والبغال والبراذين والجمال(117). و كانت تستعمل في ذلك الخيل في العراق وفارس، والإبل في الشام ومصر(118).

---

(113) العسكري، الأوائل، ص191 ؛ الثعالبي، لطائف،ص16 ؛ السيوطي، الوسائل، ص98 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج1، ص414 ؛ ج14، ص368 ؛ مآثر الانافة، ج3، ص342 ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص106.

(114) بدائع السلك، ج2، ص520.

(115) المصدر نفسه، ج2، 520.

(116) زيدان، التمدن، ج1، ص199 – 200.

(117) الجاحظ، رسائل الجاحظ (كتاب البغال)، جمع ونشر، عبد السلام هارون، ص265 – فما بعد ؛ مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص82 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص366 ؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج2، ص520.

(118) الخربوطلي، الدولة العربية الإسلامية، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة–1960م)، ص222.

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (65ه/ 684م)، اقتدى بسياسة الخليفة معاوية ومن قبله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، في التطلع إلى سماع أخبار ولاته ورعيته[119]، فبثَّ العيون إلى الأقاليم[120] رغبة منه في تنظيم إدارة الدولة، والاستمرار في عمليات التحرير والبناء، لذلك اعتنى بشكل كبير بالبريد بوصفه وسيلة مهمة من وسائل ضبط الإدارة وانتظام أمورها، فطوره ونظمه وأرسى قواعده[121]، فلم يعد وسيلة لنقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولايات وبطريقة تبادل الخيل حسب، بل أصبح وسيلة مهمة في العمليات العسكرية، ونقل الأشخاص المهمين والمواد المختلفة، باستخدام الرحلات السريعة والمنظمة، كما أصبح عينا للخليفة في نقل أخبار الأقاليم والعمال وشكاوى الناس من عمالهم وموظفي الدولة هناك.

ومن أجل تسهيل عمل البريد وانتظامه وسرعته، قام الخليفة عبد الملك بن مروان بتنظيم طرق البريد، وتحديدها وتثبيتها، فقام ببناء الأميال في الطرقات[122] كعلامات دلالة للطريق وتحديد مسافاتها، ومما يؤكد ذلك ما وصل الينا من نقوش معاصرة للخليفة عبد الملك بن مروان (65 – 86 ه)، كُشفت

---

(119) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص143 – 144 ؛ محمد بن طلحة، العقد الفريد للملك السعيد، ورقة (47 أ).

(120) ابن حبيب، المحبر، ص341.

(121) ابن سعد، الطبقات، م5، ص176 ؛ العسكري، الأوائل، ص191 ؛ القلقشندي، صبح، ج1، ص414 ؛ مآثر الانافة، ج1، ص342.

(122) كراتشكوفسكي، افناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، بلا.ط (موسكو-1957)، ق1، ص61.

بالقرب من بيت المقدس تشير إلى أوامره بعمل هذه الأميال[123]، كما تبين النقوش المعاصرة للخليفة، عمارة أربعة طرق تخرج من بيت المقدس ومن دمشق، كذلك عُثِر على بعض الحجارة التي وضعت على طرق البريد في فلسطين[124]. وعُثِر على حجر آخر قرب تفليس[125]، وأغلب الظن أنها تعود إلى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أيضاً[126]. وبذلك فأن الخليفة عبد الملك بذل عناية فائقة في تنظيم الطرق وصيانتها، فأصبحت تخترق الدولة طرق عديدة أقيمت على طولها محطات للبريد[127].

وقد ازدادت أهمية البريد وصاحبه في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان إذ أفاد منه الخليفة في مجالات متعددة، فأصبح صاحب البريد عينا للخليفة عبد الملك، كما ذكرنا سابقاً، يستفسر منه عن أحوال الولايات وأخبارها، فيذكر الطرطوشي[128] انه: ((لما قدم البريد من بشر بن مروان، على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر فقال: يا أمير المؤمنين، هو الشديد في غير عنف، فقال عبد

---

(123) عمل الاميال: هو مسح الاراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل، بوضع حجر كبير. سيدة اسماعيل كاشف، مصر في فجر الاسلام، ص26.

(124) كاشف، سيدة اسماعيل، مصر في فجر الاسلام، ص26 ؛ الوليد بن عبدالملك، ص182 ؛ العارف، عارف باشا، تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر– 1951م)، ص52 ؛ كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق1، ص61.

(125) تفليس: قصبة كرجستان وهي في اعالي نهر الكر، ويقسمها هذا النهر نصفين. لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية، بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مط. الرابطة، (بغداد – 1954م)، ص216.

(126) كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق1، ص61.

(127) ديمومبين، النظم الاسلامية، ص156 ؛ العارف، تاريخ القدس، ص52.

(128) سراج الملوك، ص139.

الملك: ذلك الأعسر الأجود الذي كان يامن عنده البريء ويخاف لديه السقيم))، كما وأصبح بامكان الناس في بعض الحالات إيصال شكاواهم عن الولاة إلى الخليفة، كما فعل الشاعر (ثابت قطنة) وهو في خراسان، عندما أرسل برقعة شكوى مع صاحب البريد يشتكي فيها من والي خراسان (أمية بن عبد الله)[129].

وقد أفاد الخليفة عبد الملك فائدة كبيرة من البريد خصوصاً في الجوانب العسكرية، سواء أكان ذلك بإرسال الجند أو الإمدادات والأوامر إلى قادة جنده، أو في نقل أخبار المعارك والتحركات العسكرية اليه، فكان للبريد على – سبيل المثال وظيفة مهمة في قتال الخوارج – والقضاء على حركات التمرد، فيقول الطبري[130]: ((وجعل الحجاج يُسيّر إلى البراء بن قبيصة (عامله على اصبهان) الرجال على دواب البريد عشرين عشرين وخمسة عشر خمسة عشر، وعشرة عشرة، حتى سرّح اليه نحو خمسمائة))، كما استخدم البريد بحجم اكبر في تمرد ابن الاشعث فيقول الطبري[131]: ((... وأقام الحجاج بالبصرة... وفرسان أهل الشام يسقطون إلى الحجاج في كل يوم (مائة)، و(خمسون)، و(عشرون) وأقل على البرد من قبل عبدالملك)).

وعلى صعيد متابعة الخليفة لأخبار جيشه، كان عبد الملك على اتصال مستمر بقواده في جبهات القتال، إذ كان البريد لا ينقطع بينهما، فكانت الأخبار

---

(129) الاصبهاني، الاغاني، ج14، ص281-282.

(130) تاريخ، ج5، ص114.

(131) المصدر نفسه، ج5، ص149 ؛ ينظر: البلاذري، أنساب، ص338-339. (أهلورت).

تصل اليه بسرعة كبيرة وبشكل يومي تقريباً[132]، كما أن صاحب البريد نفسه كان يصاحب الحملات العسكرية، فيكون مكانه في ميمنة القلب في الجيش[133].

وإدراكاً من الخليفة لأهمية البريد وكسبا للوقت فقد جعل على هذا الديوان أخص خاصته وهو (قبيصة بن ذؤيب) وأمر بألا يحجب أي ساعة جاء من ليل أو نهار[134]، وتأكيداً لذلك فقد منع الخليفة عبد الملك حاجبه أن يحجب صاحب البريد، قائلاً له: ((وليتك ما خلف بابي إلا أربعة...، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم[135] حبسهم البريد ساعة))[136]، ونتيجة ذلك أن انتظم البريد وأصبح الخليفة يطلع بشكل يومي على تفاصيل الموقف، فيقول الطبري[137]: ((... وهو [الحجاج] في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد (ابن الأشعث) أي كورة نزل ومن أي كورة يرتحل وأي الناس إليه أسرع)). وكان الحجاج هو أيضاً دائم الصلة بقواده في جبهات القتال ويتسمع أخبارهم، ((وكانت كتب الحجاج ترد على محمد بن القاسم الثقفي وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيهما يعمل به في كل ثلاثة أيام))[138]، ووصول الكتب بهذه السرعة يدل على التنظيم الرائع للبريد، بل كان الحجاج أحياناً يرسل الخطط العسكرية والأوامر

---

(132) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص464.

(133) الهرثمي، سياسة الحروب، ص38.

(134) ابن سعد، الطبقات، م5، ص176، 234.

(135) سُنَتهم: طريقتهم. الجوهري، الصحاح، ج5، ص2138 (مادة سنن).

(136) العسكري، الاوائل، ص191 ؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ج14، ص368.

(137) تاريخ، ج5، ص149 ؛ ينظر: البلاذري، انساب، ص338-339، 344 (اهلورت).

(138) البلاذري، فتوح، ص424.

والتوجيهات لقواده بالبريد كما هو الحال مع محمد ابن القاسم اثناء فتوحه للسند[139].

وقد استخدم البريد في عصر الخليفة عبد الملك أيضاً في حمل الأشخاص ومن مختلف المستويات كالولاة[140] والكتاب[141] والشعراء[142] وغيرهم[143]، كما حمل كتب التأييد والرضى عن الخليفة من الاشخاص المهمين[144].

ومن وسائل الاتصال والمخابرة الجديدة التي استخدمها الحجاج في الأحوال العسكرية خاصة، لإيصال الأخبار بين واسط وقزوين بسرعة، هو بناء المناظر أو المنائر التي توضع على المرتفعات العالية حيث تنقل الإشارات بواسطتها عن طريق إشعال النار أو الدخان، فيصل الخبر بسرعة عن طريقة انتقاله من منظرة لأخرى وقد وضح ياقوت ذلك بقوله: ((... وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر أن كان نهاراً، وأن كان ليلاً أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل اليهم، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط)) [145].

---

(139) المصدر نفسه، ص425 ؛ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص48.

(140) الطبري، تاريخ، ج5، ص136.

(141) المصدر نفسه، ج5، ص187؛ الجهشياري، الوزراء، ص41 ؛ غرر السير، ورقة (137أ).

(142) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص360.

(143) إذ حملت جثة شبيب الخارجي على البريد، عندما سقط في نهر الدجيل ومات. ابن العماد، شذرات، ج1، ص84.

(144) الدينوري، الاخبار الطوال، ص324.

(145) ياقوت، معجم البلدان، م5، ص350.

ويبدو أن ما كان ينفقه الخليفة عبد الملك بن مروان على إدارة البريد لم يكن قليلاً، لا سيما أنه قد بذل جهوداً كبيرة لتطويره وتنظيمه، ويمكن استنتاج ذلك، من أن نفقة البريد في العراق فقط، زمن ولاية يوسف بن عمر الثقفي بلغت (أربعة) ملايين درهم سنوياً[146].

ويكمن القول بأن الخليفة عبد الملك بن مروان هو أول[147] من جعل ديوان البريد، مؤسسة إدارية منظمة مستقلة، وهذا لا يعني عدم وجود البريد المنتظم في عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان، إلا انه لم يكن ديواناً متكاملاً مستقلاً، خصوصاً أن مصادرنا التاريخية، لا تذكر البريد بوصفه ديواناً إلا في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

6ـ ديوان النظر في المظالم:

النظر في المظالم: ((وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي... وكان الخلفاء الأولون يباشرونها بأنفسهم إلى خلافة المهتدي من بني العباس))[148].

وقد دعت الحاجة إلى إيجاد النظر في المظالم، وذلك لوقف تعدى أصحاب النفوذ من ذوي الجاه والحسب، ولهذا السبب، كان يسند النظر في المظالم إلى رجل

---

(146) الماوردي، الاحكام، ص175.

(147) ينظر: هارتمان، (مادة بريد)، دائرة المعارف الاسلامية، ط1، دار الشعب، (القاهرة- د.ت).

(148) ابن خلدون، المقدمة، ص222.

جليل القدر، نافذ الأمر، له دين وأمانة وفي خليقته عدل ورأفة[149]، يعرف باسم قاضي المظالم، أو صاحب المظالم، وكانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف في الوقت الحاضر تنعقد تحت رئاسة الخليفة أو الوالي، وغالباً ما تعقد في المسجد في يوم محدد[150].

وفي عصر النبوة والخلافة الراشدة، لم تكن ولاية النظر في المظالم قد نشأت وتكونت بعد،فكان الرسول محمد ﷺ يتولى رفع المظالم بنفسه وحل المشاكل التي تواجهه، فقد نظر رسول الله ﷺ في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام، ورجل من الانصار فحضره بنفسه، فقال للزبير: ((أسق انت يا زبير ثم الانصاري))[151]. ولم ينتدب للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين،لأن الناس كانوا في هذا العصر تحت تأثير قوة الوازع الديني،فكان هذا الوازع هو الذي يقودهم إلى التناصف والابتعاد عن المظالم،ولكن الخليفة علي ابن أبي طالب ﷺ احتاج إلى الجلوس للمظالم ((حين تأخرت إمامته واختلط الناس فيها وتجوروا))[152]، فأستحدث (بيت القصص) وجلس للمظالم ينظر في شكاوى الناس[153]، لكنه لم

---

(149) قدامة، الخراج،ص63 ؛ الماوردي،الأحكام،ص77.

(150) زيدان، التمدن الإسلامي،ج1، ص207؛ حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص268.

(151) الماوردي، الأحكام، ص77 ؛ أبو يعلى الأحكام ص58.

(152) الماوردي، الأحكام، ص78 ؛ النويري، نهاية الأرب ج6،ص269.

(153) العسكري،الأوائل،ص167 ؛ ينظر: عطا سلمان جاسم،النظر في المظالم في الخلافة العربية الإسلامية حتى القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة،(جامعة بغداد – كلية الآداب 1985 م)،ص55 – 56.

يفرد يوماً خاصاً للنظر في المظالم وإنما كان إذا جاءه متظلم انصفه، أي انه ((لم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه))[154].

وفي العصر الأموي، حدثت تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة[155]، كما ضعف الوازع الديني نسبياً وأشتد الطابع الدنيوي لدى الناس، فكان من نتائجه أن، ((تجاهر الناس بالظلم والتغالب ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب، فاحتاجوا... إلى نظر المظالم))[156].

كما ويبدو أن بعض التنظيمات الإدارية في عصر الخليفة عبد الملك، ومنها الحجابة قد أثر بذاته على زيادة الحاجة للمظالم، إذ اصبح الخلفاء أقل اتصالاً بالناس ولم يعد بمقدور هؤلاء الدخول على الخلفاء في أي وقت يشاؤون، مما جرأ الناس على الظلم، ((فقد قيل لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب لأن الرعية إذا وثقت بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم))[157].

لكل ذلك بات من الضروري إيجاد ولاية النظر في المظالم وتنظيمها،فكان الخليفة عبد الملك بن مروان أول من أفرد يوماً للنظر في المظالم، حيث جلس في يوم محدد يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر فيها، فكان إذا وقف منها على مُشكل، أو احتاج فيها إلى حكم منفذ رده إلى قاضيه[158]،أبي

---

(154) الماوردي، الأحكام،ص78.

(155) ينظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(156) الماوردي،الأحكام،ص78.

(157) الابشيهي،المستطرف،ج1، ص92 ؛ النويري،نهاية الأرب، ج6، ص90 ؛ ينظر: الحجابة في هذا البحث.

(158) الماوردي، الأحكام، ص78 ؛ النويري، نهاية الأرب،ج6،ص269.

إدريس الخولاني[159]، فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال ووقوفه على السبب، فكان أبو إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر[160].

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان حين يجلس للمظالم يستعد لها، فكان يلبس جبة ورداء[161]،كما ويقام على رأسه بالسيوف[162] ويأمر شخصاً من هؤلاء القائمين على رأسه بإنشاد شعر للشاعر سَعْية بن عريض وهو:

أنا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامع للقائلِ

واصطرع القوم بألبابهم ... نقضي بحكم عادل فاصلِ

لا نجعل الباطل حقاً ولا ... نلفظ دون الحق بالباطلِ

نخاف ان تسفه أحلامنا ... فنخمل الدهر مع الخاملِ

---

(159) ابن خياط، تاريخ،ج1، ص299 ؛ المسعودي، التنبيه، ص273 ؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35 ؛ وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202 ؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص4-5 ؛ ابن عساكر،تاريخ دمشق، م2، ص50 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص90.
أبو إدريس الخولاني: هو عائذ الله بن عبد الله بن عمرو بن إدريس،فقيه أهل الشام وقاضيهم، وقاصهم، ومن عباد أهل الشام وقرائهم،ولاه عبد الملك المظالم سنة (74هـ/ 693 م)، توفي سنة (80 هـ/ 699 م). ينظر مصادر الهامش3، ولذلك فأن ما ذكره الماوردي، ومن تابعه بان اسم قاضي عبد الملك هو (أبو إدريس الأودي) خطأ. ينظر: عطا سلمان،النظر في المظالم،ص63 ؛ حاشية (5 و 6).
(160) الماوردي، الأحكام، ص78 ؛ النويري، نهاية الارب،ج6، ص269.
(161) البلاذري،أنساب الأشراف، ص195. (اهلورت).
(162) ابن كثير، البداية، ج9، ص64 ؛ كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص167.

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين[163]. وهذا يعني ان جلوس الخليفة عبد الملك للمظالم كان جلوساً منظماً متكاملاً، ولابد أن جلسات الخليفة هذه كان يحضرها كتاب يدونون هذه الجلسات وأحكامها،كما أن تحديد الخليفة عبد الملك يوماً معيناً من كل أسبوع للنظر في المظالم، وتعيين قاض لذلك، وتعيين من يقوم على رأسه بالسيوف وهم من الحماة والأعوان، وارتداء الخليفة ملابس معينة، وانعقاد هذه الجلسات في مكان محدد، وهو في الغالب يكون في المسجد[164]، كل هذا يعني وجود الأسس الحقيقية لديوان مستقل، لكل ذلك يمكننا أن نقول بأن الخليفة عبد الملك بن مروان ربما كان أول من أسس ديوان النظر في المظالم في الدولة العربية الإسلامية[165].

ومن المظالم التي ردها الخليفة عبد الملك بن مروان مظلمة اليهودي الذي وقف له، واعترضه في الطريق ثلاث مرات، طالباً منه أنصافه من احد خاصته ويدعى (هرمز)، وبعد ان عرف الخليفة الحقيقة، عزل (هرمز) وأخذ منه حق اليهودي[166]، ويستنتج من هذه الرواية، أن الخليفة عبد الملك كان ملتزماً بالمواعيد المحددة لنظره في مظالم الناس وهذا ما يفسر لنا لماذا لم يقضِ الخليفة

---

(163) الأصبهاني،الأغاني،ج22،ص124 ؛ ابن كثير،البداية،ج9،ص65.

(164) وكيع،أخبار القضاة،ج2،ص316 ؛ حسن، إبراهيم حسن،النظم الإسلامية،ص268.

(165) وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضاً: الرافعي،مصطفى صادق،التنظيم القضائي في لبنان من الناحتين القانونية والشرعية،(عبادين – 1969)، ص19، 97 ؛ حمدي عبد المنعم، النظر في المظالم،مجلة العدالة،مجلة قانونية تصدرها وزارة العدل والشؤون الإسلامية، والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة،العدد (17) لسنة 1978،ص41 – 42.

(166) الأبشيهي،المستطرف،ج1،ص101 ؛ محمد بن طلحة،العقد الفريد للملك السعيد، ورقة (27 أ).

مظلمة هذا الرجل إلا بعد أن الح عليه،كما تبين عدم التزام الناس باليوم المحدد للمظالم،وبذلك فأن ما قاله مصطفى الرافعي[167]: من أن الخليفة عبد الملك قد حصر النظر في المظالم في أضيق الدوائر وفي هوى عبد الملك ومشيئته، أمر غير دقيق. وكذلك رد الخليفة عبد الملك مظلمة روح بن زنباع الجذامي من ابنه الوليد في زراعة لهما، إذ طلب عبد الملك من ابنه الوليد أن يعطي زراعته لروح ارضاءً له[168].

وكانت ولاية العراق من أكثر ولايات الدولة اضطراباً،لذلك احتاجت أكثر من غيرها الى النظر في المظالم، فكان الشعبي على مظالم بشر بن مروان[169]. وقد أعتنى الحجاج بن يوسف الثقفي بشؤون الرعية،إذ خصص يوماً يجلس فيه للنظر في شؤون العامة، ويدخل عليه في هذا اليوم كل من رغب في الدخول[170]،وبعد انتقاله إلى مدينة واسط،أخذ يأذن للناس بالدخول عليه مرتين في الأسبوع[171].

ويظهر اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان بالمظالم في العراق،من خلال تتبع اخبار الحجاج، ورسائله وتوجيهاته المستمرة له، ففي أحدى رسائله كتب له قائلاً: ((لا تول على الناس جاهلاً بالأحكام، ولا حديداً عند الخصام ولا

---

(167) التنظيم القضائي في لبنان، ص97.

(168) ابن عبد البر،الأستيعاب، ق2،ص503.

(169) البلاذري،انساب،ج5،ص172.

(170) ابن سعد،الطبقات،م6،ص249.

(171) البلاذري،انساب،ج11، ورقة (38 أ).

طائشاً عند المخاطبة والكلام ولا طمعاً ولا هلعاً... فتنكسر بذلك قلوب ذوي الحاجة))[172].

وكان الحجاج يكتب للخليفة عبد الملك بن مروان في الأمور المتعلقة بالمظالم للاستئناس برأيه، فقد كتب اليه يوماً في قضية ميراث وقعت في اصبهان يسأله عنها فكتب اليه عبد الملك: ((أن شهد ذو عدل انه أخوه فورثه... فورثه الحجاج بعد ان شهد الشهود))[173].

وممن أنصفهم الحجاج،وفد اهل الأنبار حين قدموا عليه إلى واسط،يرأسهم رجل أسمه (حسان بن سنان)،يتظلمون من عاملهم (ابن الرُفيل)، وكان أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ في مجلس الحجاج فشجع الوفد على عرض مظلمته[174]. كما قام الحجاج بحبس (أسماء بن خارجة) وهو اخو زوجته، وذلك لخيانة ظهرت منه حين ولاه الحجاج أصبهان[175]. وحين قتل رجل كوفي، جندياً شامياً لأعتداء الأخير على زوجة الكوفي، عفا عن الكوفي، وقال لأصحاب الشامي: ((أدفنوا صاحبكم فأنه قتيل الله إلى النار لا قَوَدَ ولا عقل))[176].

---

(172) النابلسي،عثمان بن إبراهيم، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية،دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية (1958 – 1960م)،ص29.

(173) وكيع،أخبار القضاة،ج1، ص305.

(174) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج8،ص259.

(175) الأصبهاني،الأغاني،ج17،ص230.

(176) الطبري،تاريخ،ج5،ص184.

القود: القصاص، و (أقاد) القاتل بالقتيل قتله به. الرازي،مختار الصحاح، مادة (قود)، ص555.

العقل: الدية،عقل القتيل أعطاه ديته. م. ن، مادة (عقل)،ص471 – 472.

إلا ان كل هذا لا يعني عدم ارتكاب الحجاج للأخطاء او تبرئته منها،فلم يكن بعيداً عن مراقبة الخليفة عبد الملك، فعندما يتلمس منه الخليفة مثل ذلك يكتب اليه بلهجة شديدة يوبخه فيها على ذلك،فطلب منه أن يدفع الدية في القتل الخطأ والقود في القتل العمد، ورد الأموال إلى مواضعها بعد الانتهاء من تمرد ابن الاشعث[177]. وضمن هذا التوجيه أنصف الحجاج (فرعون بن عبد الرحمن)، المعروف بـ (ابن سلكة)، الذي حُرم عطائه وخُربت داره لاشتراك أحد أقاربه مع ابن الاشعث، فأنصفه بأن بنى له داره وأرجع له عطاءه[178].

وفي مصر اعتنى عبد العزيز بن مروان بالمظالم أيضاً إذ جعل عليها القاضي (عبد الرحمن بن حُجَيرة) الأكبر، وجمع له القضاء والقصص،وكان يأخذ (مائتي) دينار من القصص[179].

7ـ ديوان الطراز:

يراد بالطراز في الأصل التطريز،ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير ورجال حاشيته، لا سيما إذا كان فيها شيء من التطريز وعليه اشرطة من الكتابة، ثم اتسع مدلول الطراز،فأصبح يطلق على المصنع والمكان الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات[180]، كما أطلق لفظ الطراز على الكتابات الرسمية التي

---

(177) البلاذري،انساب،ص193 (أهلورت) ؛ المسعودي، مروج،ج3، ص133 – 135.

(178) ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج1. ص30 -31.

(179) ابن عبد الحكم،فتوح مصر وأخبارها،ص235.

(180) الزمخشري،جار الله أبو القاسم محمود بن عمر،أساس البلاغة،دار مطابع الشعب، (القاهرة–1960م)، ص581 – 582 ؛ ابن الأثير، النهاية،ج3، ص119 ؛ ناجي معروف، المدخل، ص115.

كانت تكتب في رؤوس القراطيس (الطوامير) التي كانت تنتج بكثرة في مصر[181].

وفي العصر الأموي، ارتفع المستوى المعاشي، فزادت عناية الناس بمظاهر الترف والاناقة، لذلك انشأ الأمويون عدداً من المصانع عرفت بدور الطراز[182].

وكانت دور الطراز هذه على نوعين،خاصة وعامة،فالخاصة كانت لا تعمل الا للخليفة والأمراء ورجال الدولة والحاشية،أما العامة،فكانت تتبع بيت مال المسلمين وتعمل لحساب الخليفة وأفراد الشعب[183]. وكانت دور الطراز الخاصة تقع في قصور الخلفاء أحياناً،ويسمى القائم على النظر فيها (صاحب الطراز) وواجبه النظر في آلات الطراز والحاكة والأصباغ ومتابعة اعمالهم وتوزيع رواتبهم وأرزاقهم، ويختار صاحب الطراز من أقرباء الخلفاء وحاشيتهم أو من مواليهم الثقاة [184].

وقد اعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان بالطراز،فنظمت صناعته بشكل واسع وأصبح أساساً لما حدث من نهضة في صناعة النسيج وبخاصة زمن الخليفة سليمان بن الملك[185]، وفي مصر بشكل خاص،وكثيراً ما كانت هذه المنسوجات تستعمل كملابس أو للخلع التي يخلعها الخليفة على كبار رجال دولته[186]،كما

(181) البلاذري،فتوح،ص241 ؛ الدميري،حياة الحيوان،ج1، ص71.

(182) ناجي معروف،المدخل،ص115.

(183) سيدة إسماعيل كاشف،مصر في فجر الإسلام،ص287.

(184) ابن خلدون، المقدمة،ص267.

(185) سعاد ماهر،النسيج الإسلامي،ص25.

(186) سيدة إسماعيل كشاف،مصر في فجر الإسلام،ص288.

اشتهر العراق بصناعة الطراز أيضاً فيقول المقدسي[187]: ((وكان العراق أكثر الأمصار صوفاً وقزاً))، فأنتجت دور الطراز الكثير من نسيج الحرير والديباج والأبريسم المحلى بسطور من الكتابة على حافة القماش عليها اسماء الخلفاء أو الولاة وبعض عبارات الدعاء وغالباً ما تكون هذه الكتابة بخيوط من الذهب أو لون يخالف القماش المنتج[188]، ولعل دور الطراز أنتجت أيضاً الأزياء الرسمية والأعلام في الحرب[189].

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان أول من عرب هذا الطرز،إذ كانت تكتب باللغات الأجنبية، وخاصة باللغة اليونانية[190]،إذ اشتهرت مصر بصناعة النسيج والقراطيس التي تستعمل في كل أنحاء الدولة، وتصدر أيضاً إلى الخارج وخاصة الدولة البيزنطية وكان يكتب في أعلاها (أباً، ابناً، روحاً) وبرسم الصليب[191]، وهذا يمس جوهر العقيدة الإسلامية، ويؤثر في كرامة الدولة واستقلالها، فحينما وحّد الخليفة عبد الملك بن مروان الدولة العربية الإسلامية سياسياً، بدأ يعمل لتحقيق توجهاته القومية باصلاح مؤسسات الدولة وتنظيماتها وصبغها بالصبغة العربية،فكتب إلى اخيه عبد العزيز بن مروان عامل مصر: ((بابطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر))[192]، وان

---

(187) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص33.

(188) د. حمدان عبد الجيد الكبيسي وآخرون، حضارة العراق،ج5،ص288.

(189) الدوري،النظم الإسلامي،ص197.

(190) الدميري،حياة الحيوان،ج1،ص71.

(191) المصدر نفسه،ج1،ص71.

(192) الدميري، حياة الحيوان،ج1،ص71.

يكتب بدلها شهادة التوحيد ﴿ قل هو الله أحد﴾[193]، وكتب إلى عمال الأفاق جميعاً بأبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز البيزنطينيين ومعاقبة من وجد عنده ذالك بالضرب والحبس[194]. وهذا يعني أن الطراز، من منسوجات وقراطيس كانت تطرز بكتابات غير عربية ومنتشرة في أقاليم الدولة الأموية،فمنع عبد الملك أنتاج هذه الطرز، بمختلف أشكالها، بمعنى انه سيطر على دور الطراز هذه،وأمر أن يكتب عليها باللغة العربية فقط، وهو أول من فعل ذلك ولإنجاح هذا العمل منع استعمال هذه الطرز، بل معاقبة من وجد عنده ذلك،وهذا يعني إعادة النظر في دور الطراز،من حيث عمالها وإنتاجها والكتابة عليها،لذلك فمن المحتمل أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ديوان الطراز[195] وبذلك بدأ منذ عصر الخليفة عبد الملك بن مروان،الكتابة باللغة العربية على جميع ما تنتجه دور الطراز،كما أخذت توضع شارة الخليفة، وهي أسمه أو لقبه أو نحو ذلك،على ملابس الجند ورجال الدولة، وكان لعمل الخليفة عبد الملك هذا نتائج دينية وقومية وسياسية بعيدة المدى في التاريخ العربي الإسلامي.

وقد وصلت الينا بعض الملابس المطرزة باللغة العربية، وبالخط الكوفي، ففي دار الآثار العربية في مصر،قطعة من الكتان الأبيض،عليها شريط فيه رسوم طيور ومكتوبة (نسجاً) على هذه القطعة بالخط الكوفي وبالحرير وبلون أحمر ما يأتي: ((هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من الشهور

---

(193) البلاذري، فتح، ص241 ؛ السيوطي، الوسائل، ص101.

(194) الدميري، حياة الحيوان،ج1،ص71.

(195) ينظر: الدوري، النظم الإسلامية،ص197 ؛ د. فاروق عمر فوزي، النظم الإسلامية،ط1، (العين – 1983م)، ص79.

المحمدية من سنة 88ه/ 706م))[196] كما وصلت الينا قطعة حريرية كتب عليها اسم الخليفة مروان ولا يعرف من المقصود به مروان بن الحكم أو مروان بن محمد[197]، ويبدو انه مروان بن محمد آخر خليفة أموي،وذلك لأن الطراز لم يعرب إلا في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان بن الحكم وبعد سنة (73 هـ - 692 م).

8- الحجابة:

كان الخلفاء الراشدين لا يمنعون أحداً من الدخول عليهم ويفتحون أبواب مجالسهم لأي كان ويخاطبون كل الناس بلا حجاب ولا كلفة[198].

وفي العصر الأموي تبدلت الظروف كثيراً عما كانت عليه في عصر النبوة والخلافة الراشدة، إذ حصلت بعض الاغتيالات السياسية، وانتقلت الدولة إلى طور أكثر تحضراً وتنظيماً، كما كثرت اعمال الخلفاء وتعقدت، فرغبوا في تلافي الازدحام على أبوابهم وأشغالهم عن الانصراف لمهام الدولة[199]، لكل هذه الظروف والأسباب اتخذ الخليفة معاوية ولأول مرة الحُجاب الذي أصبح وساطة بينه وبين العامة والخاصة من الرعية.

---

(196) زكي محمد حسن،الفن الإسلامي في مصر،ج1،ص86.

(197) سيدة إسماعيل كاشف،مصر في فجر الإسلام،ص285.

(198) ابن خلدون،المقدمة،ص238 ؛ ابن الأزرق،بدائع السلك،ج1،ص269.

(199) ابن خلدون،المقدمة،ص238 ؛ ابن الأزرق،بدائع السلك،ج1،ص269 – 270.

وقد نظم الخليفة معاوية بن أبي سفيان أمور الحجابة، فكان يُدخل الناس ويجلسهم عنده على حسب أقدارهم[200] فكان يأذن في الدخول عليه في اليوم والليلة خمس مرات[201]، وقد اتخذ معاوية أبا أيوب مولاه حاجباً له[202].

وأبدى زياد بن ابي سفيان،عامل معاوية على العراق،عناية كبيرة بتنظيم الإدارة ومنها الحجابة،((فقد اخذ نفسه بالتطلع إلى استعلام بواطن الأمور))[203]، فاصبح على معرفة وثيقة بكل من يدخل عليه، كما حدد زياد صلاحيات حاجبه، ومنعه أن يحجب أربعة اصناف، وهم المؤذن للصلاة، وطارق الليل، ورسول الثغر، وصاحب الطعام[204].

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (65هـ/ 684م) نظم الأمور الإدارية ومنها الحجابة إذ استقرت بشكل واضح في عصره[205]، فنظم أوقات الدخول، ورتب الداخلين عليه، وحدد طبيعة عمل الحاجب،فأزداد أهمية وأدى وظيفة مهمة في العديد من الأحداث السياسية. وتبدو أهمية الحاجب الكبيرة في

---

(200) ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،ج17،ص94 – 95.

(201) المسعودي،مروج الذهب،ج3،ص29 ؛ القلعي،أبو عبد الله محمد بن علي،تهذيب الرياسة وترتيب السياسة،تح: إبراهيم يوسف مصطفى عجو،ط1،مكتبة المنار،(الأردن – 1985)،ص253.

(202) خليفة،تاريخ،ج1،ص218 ؛ ابن حبيب،المحبر،ص259 ؛ بينما ذكر الطبري ان اسمه (سعد). ج4، ص243.

(203) محمد بن طلحة،العقد الفريد للملك السعيد،ورقة (47 أ).

(204) ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج1،ص71 ؛ النويري، نهاية الارب،ج6، ص87 ؛ القلقشندي، صبح الأعشا،ج1،ص114 ؛ ابن الأزرق،بدائع السلك،ج1،ص273.

(205) النويري،نهاية الأرب،ج4،ص19.

نظر الخليفة عبدالملك من قوله لحاجبه: ((إنك عين أنظر بها، وجنة أستلئم بها،وقد وليتك ما وراء بابي،فماذا تراك صانعاً برعيتي ؟ قال: أنظر إليهم بعينك واحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم في ابطائهم عن بابك، ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم، وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك، وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم. قال: لقد وفيت بما عليك،ولكن أن صدقت ذلك بفعلك))[206] . فالحاجب أصبح كالنائب للخليفة في تعامله مع الداخلين اليه،وترتيبهم في الدخول،إذ أن الخليفة عبد الملك رتب دخول الناس عليه،ففضل،أهل البيوتات أي أهل النسب،فإذا تساوت الأنساب فضل أهل السن،فإذا تساوت فضل أهل الأدب والعلم[207]،ولكن كان هناك أصناف من الناس لأهميتهم وأهمية أعمالهم لا يمنعون من الدخول في أي وقت جاءوا،إذ قال الخليفة عبد الملك لحاجبه: ((وليتك ما خلف بابي إلا أربعة: المؤذن فأنه داعٍ إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فإنه لو وجد خيراً لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة، والطعام إذا أدرك فافتح الباب وأرفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول))[208].

إنَّ كل هذه النصوص تؤكد تنظيم الحجابة، وارتفاع مكانة الحاجب وازدياد أهميته في عصر الخليفة عبد الملك إذ لم يعد كما قال ابن خلدون[209]:

---

(206) ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،ج17،ص94.

(207) زيدان،التمدن الإسلامي،ج1،ص218 – 219.

(208) العسكري،الأوائل،ص191 ؛ ينظر: ابن خلدون،المقدمة،ص238 ؛ حيث يجعلهم ثلاثة أصناف وليس أربعة.

(209) المقدمة، ص240.

((يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم، أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته))، بل أصبح عين الخليفة ولسانه، فهو الذي يرتب دخولهم حسب أهميتهم ويدرس طلباتهم، ويسمح لهم بالدخول إلى الخليفة والمثول أمامه، وربما يوصي بقضاء حوائجهم، كما لا يسمح بدخول أشخاص بقضايا ليست من اختصاص الخليفة أو الوالي[210]، ولا يسمح بدخول الأشخاص دون معرفة أسمائهم ولا يُستأذن بالكنى[211]. فضلاً عن أن حاجب الخليفة عبد الملك أدى وظيفة مهمة في بعض القضايا السياسية، كقضية التخلص من عمرو بن سعيد الاشدق، إذ منع دخول أصحاب عمرو بن سعيد إلى الخليفة حينما، قال له الخليفة: ((ويحك أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب ؟ قال نعم[212]، لذلك كان الحاجب يختار من أقرب الناس إلى الخليفة أو الوالي، أو من خاصته ومواليه، فقد حجب الخليفة عبد الملك (أبو يوسف مولاه)[213]، كما حجبه (أبو الزعيزعه)[214] أيضاً. كذلك اعتنى الحجاج باختيار حاجبه، إذ كان يقول: ((كاتب السلطان نصفه وحاجبه كله))[215]، لذلك اختار (يزيد بن أبي مسلم)

(210) ابن قتيبة،عيون الأخبار،ج3،ص130.

(211) غرر السير،ورقة (5 أ).

(212) المسعودي،مروج،ج3،ص110 ؛ غرر السير، ورقة (8 أ).

(213) ابن خياط، تاريخ، ج1،ص302 ؛ ابن حبيب،المحبر،ص259 ؛ المسعودي،التنبيه، ص273 ؛ ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج4،ص399.

(214) ابن خياط،تاريخ،ج1،ص302 ؛ ابن حبيب،المحبر،ص259 ؛ المسعودي،التنبيه، ص273 ؛ ابن عبد ربه،العقد الفريد،ج4،ص399.

(215) غرر السير، ورقة (23 ب).

أخاه من الرضاعة حاجباً له[216]، وكان يجله ويحترمه ويجريه مجرى الوزير[217]،وكان لحاجب الحجاج هذا مهمة كبيرة في المحافظة على الأمن والنظام،حيث كان الحجاج يكلفه أحياناً بالخروج ليلاً،للعمل على حماية الأمن والنظام في مدينته[218].

وامتدت اهتمامات الخليفة عبد الملك بالحجابة إلى أقاليم الدولة الأخرى،إذ أوصى أخاه عبد العزيز والي مصر وحدد له طبيعة عمل الحاجب وأهميته،حينما قال له: ((أنظر ما أوصيك به فاجعله لك إماماً... وأنظر حاجبك فليكن من خير أهلك فأنه وجهك ولسانك ولا يقفنّ أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له او ترده))[219]، وكذلك أوصاه في مناسبة أخرى قائلاً له: ((تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك،... فالمتوسم يعرفك بحاجبك))[220].

ويستنتج من هذا اهتمام الخليفة عبد الملك الكبير بشؤون الرعية، وتنظيم إدارة الدولة، واختيار الحاجب،الذي يكون من خيرة الأهل لأنه وجه الوالي ولسانه الناطق، لذلك طلب الخليفة عبد الملك من أخيه عبد العزيز أن يجعل هذه الوصية منهاج عمل يسير عليه. ويبدو أن حاجب الوالي عبد العزيز كان أقل

---

(216) ابن قتيبة،عيون الأخبار،ج3،ص130 ؛ الإمامة والسياسة،ج2،ص34، 39 ؛ الجهشياري،الوزراء، ص42.

(217) غرر السير، ورقة (23 ب).

(218) ينظر: البيهقي،المحاسن والمساوئ،ص517 – 518.

(219) البلاذري،أنساب،ص175 ؛ (أهلورت)،النويري،نهاية الأرب،ج6،ص90 ؛ ابن الطقطقي،الفخري، ص126.

(220) ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج1،ص44 ؛ ابن الابار،أعتاب الكتاب،ص128.

شأناً من حاجب الخليفة أو حاجب الحجاج،إذ كان عبد العزيز هو الذي يأذن أو لا يأذن بدخول الناس عليه بعد أن يخبره الحاجب بمن يقف على بابه كما أن عبد العزيز قد طبّقَ وصية أخيه الخليفة،وربما تشدد الحجاب في منع الناس من الدخول عليه،إذ يقول سعيد بن المسيب في عبد العزيز بن مروان: ((نِعْمَ الرجل عبد العزيز لولا حُجّابه))[221]، أي ان الناسَ كانوا لا يحبذون شدة الحجاب ومنعهم من الدخول إلى الخلفاء أو الولاة،فقد مُدِح بشر بن مروان لسهوله حجابه بقول القائل:

بَعيدُ مراد الطرف لم يثنِ طَرفُهُ　　حذار الغواشي بابُ دار ولا سترُ

ولو شاء بشر حلٌ من دون بابه　　طماطمُ سَودُ أو صقالبة حمرُ

وكان على حجابة بشر (أعين) مولاه[222].

كما قام الخلفية عبد الملك بن مروان بتنظيم شؤون مجلسه،فنهى الناس عن كثرة الحديث في حضرته وهو أول من فعل ذلك، وكان قبل ذلك يراجعون الخليفة في ما يقول، ويعترضون في ما يفعل، وأكثر ما كان ذلك في عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ثم معاوية بن أبي سفيان، فكان يجري في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجلُ عن وصفه، فنهاهم الخليفة عبد الملك عن الكلام بحضرته، والمنازعة في مجلسه، وتوعدهم على مخالفة ذلك[223]، ويبدو أن من جملة اسباب هذا التنظيم هو ادراك الخليفة عبد الملك لجانب اللين في سياسة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وتعامله مع الناس بالحسنى فكان يقول: ((وما خالف

---

(221) النويري، نهاية الأرب،ج6،ص90.

(222) البلاذري، انساب،ج5،ص168، 172 – 173.

(223) الجاحظ،البيان والتبيين،ج2،ص248 ؛ العسكري،الأوائل،ص203.

عثمان عمر في شيء إلا أنه لانَ لهم حتى رُكبِ))[224]، والعمل على تأكيد هيبة الخليفة.

وكذلك قام بتنظيم مسألة انصراف مجلسه، حينما قال له جلساؤه اجعل لنا علامة للانصراف من مجلسك متى ترغب في ذلك،فقال لهم وكان يحمل خيزرانة: ((إذا القيت الخيزرانة من يدي))[225]، فإذا انصرف احدهم من مجلس الخليفة مشى القهقرى ووجهه نحو مجلسه حتى يتوارى[226].

وكان الخليفة عبد الملك يحب الشعر،لذلك كان مجلسه يعج بالشعر والشعراء[227]، الذين كانوا يتبارون في الانشاد بحضرته ومدحه،فجعل الاخطل شاعراً لبني أمية[228]،إلا أنّه لم يكن يسمح لهؤلاء الشعراء بالمنازعة والتخاصم والمهاجاة في مجلسه[229]،حفاظاً على هيبة مجلسه،ثم رغبته في كبح جماح الاهواء القبلية إذ أن بعض هؤلاء ينتمون إلى قبائل متناحرة فيما بينها، فنجح الخليفة عبد الملك في أن أصبح فوق هذه الأهواء[230].

---

(224) السيوطي،الوسائل،ص101؛ابن الطقطقي،الفخري،ص122 ؛ القلقشندي،مآثر،ج3، ص344. ابن سعد،الطبقات،م3،ص233.

(225) الجاحظ،البيان والتبيين،ج3،ص38 ؛ التاج،ص119.

(226) عمر أبو النصر،الحضارة الأموية،ص315.

(227) ينظر: ابن قتيبة،الشعر والشعراء،ج1،ص393 – 395 ؛ الثعالبي،لطائف المعارف، ص116 ؛ الاغاني،ج8،ص23،27،170 – 171.

(228) الأصبهاني، الاغاني،ج8،ص294.

(229) الأصبهاني، الاغاني،ج8،ص72 – 73، ج12،ص199 –202.

(230) المصدر نفسه،ج12، ص203 ؛ ج19،ص149 – 151 ؛ ابن حزم،جمهرة انساب العرب،ص245 – 246 ؛ وللتفصيل ينظر: دكسن،الخلافة الأموية،ص139 – 178.

وكان للفقهاء والمحدثين منزلتهم،فقد أكتظ مجلس الخليفة بهم لحبه مجالستهم، فكتب إلى الحجاج يوماً يطلب منه إرسال الشَعبي[231] قائلاً له: ((... ولم يكن عندي شيء الذه إلا مناقلة الأخوان للحديث وقبلك عامر الشعبي فأبعث به الي يحدثني))[232]، وكان الخليفة عبد الملك لا يسمع من الداخلين عليه لاسيما الرسل القادمين من الافاق إلا بشروط، إذ كان يقول لمن يدخل عليه: ((أعفني من أربع وقل ما شئت،لا تطرني،فأني أعلم بنفسي منك، ولا تجبني في ما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، فإن الكذوب لا رأي له،ولا تحملني على الرعية،فأنهم إلى رأفتي أحوج))[233].

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن الخليفة يسمع من كل الداخلين ما يسره،فيذكر أن بثينة حبيبة الشاعر جميل دخلت يوماً على عبد الملك فقال لها: ((ويحكِ ما رجا منكِ جميل؟ قالت: الذي رجت منك الأمة حين ولتك أمرها))[234].

---

(231) الشعبي: هو الفقيه والمحدث الكوفي عامر بن شراحيل (19 – 103 هـ) من التابعين، ومن المحدثين الثقات، وكان وافر العلم، أتصل بالخليفة عبد الملك وكان رسوله إلى ملك الروم، وأصبح قاضياً في عهد عمر بن عبد العزيز. ابن حجر،تهذيب التهذيب،م5،ص65 – 69 ؛ ابن خلكان، وفيات،ج1،ص244.

(232) الأصبهاني،الأغاني،ج11،ص26.

(233) ينظر: البلاذري، انساب، ص169 ؛ (أهلورت) ؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج9، ص65 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص219.

(234) أبو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة،ج3،ص168 ؛ وأنظر: ابن قتيبة،الشعر والشعراء،ج1،ص360 ؛ الأصبهاني،الأغاني،ج9،ص27.

الفصل الرابع
تعريب الدواوين

أولا: أسباب تعريب الدواوين.

ثانيا: تعريب دواوين الشام.

ثالثا: تعريب دواوين العراق.

رابعا: تعريب دواوين مصر.

خامسا: نتائج تعريب الدواوين.

قال أبو الريحان البيروني:

((ديننا والدولة عربيان وتوأمان ترفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية... وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة... والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية)).

كتاب الصيدنة، ص12.

الفصل الرابع
تعريب الدواوين

بعد تحرير بلاد الشام والعراق ومصر، واستقرار العرب فيها بدأ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بتنظيم شؤون هذه البلاد، فأسس الديوان سنة (20ه/ 641م)، ليسجل فيه اسماء الجند وأنسابهم واعطياتهم وأرزاقهم[1]. وكان هذا الديوان يكتب باللغة العربية، إذ أفاد العرب من التنظيمات الإدارية والمالية في البلاد المحررة هذه، إلا أنهم أبقوا دواوين الخراج على حالها من حيث اللغة والموظفين، وذلك لانشغال العرب المسلمين بأمور التحرير والفتوح وتركيز أسس الدولة، وكذلك لقلة خبرتهم يومئذ بمثل هذه الأمور[2].

واستمر هذا الحال حتى عصر الخليفة عبد الملك بن مروان الذي بدأ بحركة الاصلاح والتعريب الشاملة لجميع أجهزة الدولة وادارتها، وكان تعريب دواوين الخراج جزءاً منها، إذ استمرت دواوين الخراج حتى عهده في البلاد المحررة تكتب بلغات أجنبية، فكانت في العراق والمشرق الاسلامي تكتب باللغة الفارسية، وفي بلاد الشام تكتب باليونانية، وفي مصر باليونانية والقبطية[3]. وهذا يعني أنه أصبح في كل ولاية ديوان للجند يكتب باللغة العربية، فضلاً عن ديوان الخراج الذي كان يكتب بغير العربية، ويؤكد ذلك الجهشياري بقوله: ((ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم، وهذا الذي كان

---

(1) للتفصيل ينظر: الفصل الثالث، تأسيس الديوان.

(2) ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ص39.

(3) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص38 ؛ الصولي، أدب الكتاب، ص192 ؛ حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، 156.

عمر ﷺ قد رسمه، والاخر لوجوه الاموال بالفارسية، وكان في الشام مثل ذلك، أحدهما بالرومية (اليونانية) والآخر بالعربية، فجرى الأمر على ذلك إلى أيام الخليفة عبدالملك بن مروان))[4].

وفي عصر الخليفة عبدالملك بن مروان، وبخاصة بعد سنة (74ه/ 693م)، استقرت أوضاع الدولة الداخلية، ودانت جميع الأطراف لمركز الدولة في دمشق، ثم اكتسب العرب بمرور الزمن الخبرة، كما ظهرت بوادر تغير في روح العصر بالانتقال من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن بساطة المعرفة إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحساب[5].

إن هذه الظروف والتحولات الجديدة أزالت العقبات، وهيأت الأجواء والأرضية الصالحة، لعملية تعريب دواوين الخراج والتي توافقت مع شخصية الخليفة عبدالملك بن مروان وتطلعاته القومية، واستعداده لبناء دولة عربية قوية.

أولا: أسباب تعريب الدواوين:

إن تعريب الدواوين هو جزء من حركة إصلاحية تنظيمية عربية شاملة، وسياسة موسومة حان وقت تنفيذها، وكانت تهدف إلى إعادة تنظيم كل أجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية، فهي إذن ليست نتيجة حالات طارئة وقتية ولمجرد الأسباب الساذجة التي أوردها كل من البلاذري والجهشياري، والتي تبدو فيها التأثيرات الشعوبية واضحة، محاولة تقليل شأنها. وسنناقش هذه الأسباب عند الحديث عن تعريب الدواوين في كل قطر على حدة.

---

(4) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص38 ؛ الصولي، أدب، ص192 ؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص202 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص244.

إن استقرار الدولة وما رافق العصر من تطور صاحبه ظهور عدد من الكُتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة إلى اللغات الأجنبية، وقبل كل هذا الرغبة الشديدة لدى الدولة في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها، لغة السياسة والدين، وعلى هدي المبادئ السماوية، كل هذا جعل التعريب وبخاصة تعريب الدواوين من اولويات أعمال الدولة، بل ضرورة تقتضيها الحال. ويمكن اجمال أسباب تعريب الدواوين بما يأتي:

1. لقد كان للعوامل الاقتصادية أثراً مهما في تعريب الدواوين، فقد كان متوليي هذه الدواوين يحصلون على أموال طائلة من عملهم هذا، فيُذكر ان صاحب ديوان خراج مصر (أثيناس) كان يأخذ عن عمله (ستين ألف) دينار سنوياً، فضلاً عن دينار واحد يأخذه من كل جندي، وكان يملك (أربعة آلاف) عبد، وكثيراً من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة، و(أربعمائة) حانوت في الرها[6]، وعلى الرغم من أن هذه الأرقام قد يكون فيها مبالغة إلا أنها تعطينا فكرة عن أوضاع متولي ديوان الخراج المادية واثر ذلك على مالية الدولة، لذلك كان تعريب دواوين الخراج، خطوة أولى باتجاه اعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الاقاليم، وبذلك يمكن ضبط أعمال تلك الدواوين والاشراف بدقة عليها، فيمنع الغش والتزوير. أي أن تعريب الدواوين هو جزء من خطة الاصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة شديدة إليه إذ ذاك[7] ولاسيما في العراق أهم أقاليم الدولة الأموية اقتصادياً، حيث حاول الحجاج بن يوسف الثقفي معالجة الأوضاع الاقتصادية، وذلك بالسيطرة

(6) ترتون، أهل الذمة، ص21-22.

(7) الريس، الخراج، ص201-202.

على الشؤون الإدارية عن طريق تعريبها، وضبط الادارة المالية ومحاسبتها عن طريق السيطرة على سجلات الضرائب.

2. إن استعمال اللغات الاجنبية في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب أو من غير المسلمين، مما يؤدي إلى بقاء هذه اللغات حية وكأنها رسمية فيتعلمها الناس لحاجة الدولة إليها لكونها طريقاً لتولي الوظائف الكبيرة ويتنج عن ذلك استمرار منافسة هذه اللغات للغة العربية، مما يُضعف من شأنها ويضعف كيان الدولة القومي، وذلك ما كان يتعارض مع سيادة الدولة العربية، أي أن التعريب كان جزءاً من سياسة الخليفة عبدالملك بن مروان في اعادة تنظيم جهاز الدولة الاداري وتحقيق شخصية الدولة واستقلالها عن النفوذ الأجنبي.

3. كان الخليفة عبدالملك يهدف من وراء التعريب إلى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها، إذ أن اختلاف لغات الدواوين، يكرس اختلاف النظم المالية، والادارية، ويعيق عملية تنظيم وتوحيد ادارة الدولة، كما أن تعريب الدواوين يعني انهاء التأثيرات الشعوبية والعنصرية مما يؤكد سيادة الدولة سياسياً على البلاد المحررة.

4. إن دخول شعوب عربية وأقوام مختلفة اللغات والديانات إلى الاسلام، يعني حاجة هؤلاء الماسة إلى التفقه بالدين وقراءة القرآن الكريم، مما شدد الصراع بين اللغة العربية واللغات الأخرى[8]، ومن ثم إلى شيوع اللحن ولاسيما بين قراء العراق، لذلك اعتنى الخليفة عبدالملك وواليه الحجاج بن يوسف الثقفي، بضبط قراءة القرآن، عن طريق تمييز الحروف المتشابهة بوضع النقط

---

(8) احمد أمين، فجر الاسلام، ص95.

عليها[9]، لذلك كان التعريب ضرورة ملحة، وكان الحرص على سلامة اللغة العربية من العوامل المهمة التي أدت إلى تعريب الدواوين في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان[10].

ثانيا: تعريب دواوين الشام:

كانت دواوين خراج الشام تكتب باللغة اليونانية، ((وكان يتقلد ديوان الشام بالرومية (اليونانية) لعبد الملك ولمن تقدمه (سرجون بن منصور) من اهل الذمة))[11].

أما اسباب تعريب دواوين الشام هذه، فقد أورد كل من البلاذري والجهشياري، أسباباً ساذجة غير مقنعة، فيعلل البلاذري ذلك بقوله: ((... أن رجلاً من كتاب الروم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة، فبلغ ذلك عبدالملك فأدبه، وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان))[12].

أما الجهشياري فيعلل ذلك، بأن الخليفة عبدالملك بن مروان أمر كاتبه (سرجون ابن منصور)، ((يوما بشيء فتثاقل عنه، وتوانى فيه، فعاد لطلبه، وحثه فيه فرأى منه تفريطاً وتقصيراً، فقال عبدالملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشني – كان يتقلد له ديوان الرسائل – أما ترى ادلال سرجون علينا ؟ قال: لو

---

(9) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص344 ؛ الزنجاني، أبو عبدالله، تاريخ القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط3، (بيروت – 1969م)، ص89.

(10) الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، ص130.

(11) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص40 ؛ الصولي، أدب، ص193، العسكري، الأوائل، ص207 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(12) فتوح، ص196-197 ؛ الماوردي، الاحكام، ص202.

شئت لحولت الحساب إلى العربية، قال: فافعل، فحوله. فرد إليه عبدالملك جميع دواوين الشام))[13]. وهو اول مسلم وليّ الدواوين كلها[14].

ومما يلاحظ عن تعليل مصادرنا التاريخية للأعمال العظيمة التي انجزها الخليفة عبدالملك بن مروان، كضرب النقود العربية الاسلامية، وتعريب الطراز، والدواوين، أنها تعلل كل عمل بشكل منفصل عن الأعمال الأخرى، ولا تربط بينها وبين سياسة الخليفة الاصلاحية وتوجهاته القومية. كما يمكن القول بأنها لم تستطع استيعاب عظم وضخامة هذه الأعمال، ولم تستطع أن ترى الأهداف البعيدة التي يتوخى الخليفة الوصول إليها من وراء هذه الأعمال، حتى إننا نرى – إن لم نتجاوز في ذلك – بأن بعض هذه المصادر تريد التقليل من أهمية هذه الأعمال الجيدة. ويبدو أن للروايات الشعوبية أثراً كبيراً في ذلك، ومع ذلك فإن تعليلات المؤرخين، لدوافع تعريب الدواوين، تعكس لنا غرور هؤلاء الكتاب وسوء سلوكهم في كثير من الأحيان، مما يدفع الخليفة عبدالملك إلى معاقبتهم التي تصل إلى الضرب أحياناً[15].

ومما يشير الى اهتمام الخليفة البالغ في عملية التعريب، أنه خصص خراج الأردن ولمدة سنة وهو (مائة وثمانون) ألف دينار، معونة لسليمان في عمله[16]، وتوكيداً لهذا الاهتمام فقد ولاه الأردن فلم تنقض السنة حتى أتم سليمان تعريب

---

(13) الوزراء والكتاب، ص40 ؛ ينظر: الصولي، أدب، ص193 ؛ العسكري، الاوائل، ص207 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص169– 170.

(14) السيوطي، الوسائل، ص101.

(15) الجهشياري، الوزراء والكُتاب، ص40.

(16) البلاذري، فتوح، ص197.

دواوين الشام، وكان ذلك في سنة (81هـ/ 700م) [17]. وبعدها صرف الخليفة عبدالملك سرجون بن منصور عن الديوان، فضعف نفوذ أهل الذمة في الديوان، وقد عبر عن ذلك سرجون عندما قال لجماعة من كُتاب الروم: ((أطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم)) [18].

ثالثا: تعريب دواوين العراق:

عربت دواوين خراج العراق على يد أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، ولابد أنه كان بأمر وتوجيه من الخليفة عبدالملك بن مروان، كما هو الحال بالنسبة لضرب النقود، ويوضح لنا البلاذري ذلك بقوله: ((لم يزل ديوان خراج السواد وسائر العراق يُكتب بالفارسية، فلمّا ولي الحجاج العراق، استكتب زادان فروخ بن بيري، وكان معه صالح بن عبدالرحمن مولى بني تميم، يخط بين يديه بالعربية والفارسية،... فوصل زادان فروخ، صالحاً، بالحجاج وخف على قلبه، فقال له ذات يوم: انك سببي الى الامير وأراه قد استخفني، ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط في نظره، فقال: لا تظن ذلك، هو أحوج إليّ منه إليك، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري، فقال: والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته، فقال: فحوّل منه شطراً حتى أرى، ففعل. ولمّا رأى

---

(17) المصدر نفسه، ص196 ؛ الماوردي، الاحكام، ص202.

(18) البلاذري، فتوح، ص197 ؛ الماوردي، الاحكام، ص202 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

زادان فروخ مقدرة صالح في الترجمة طلب منه أن يتمارض، فبعث الحجاج طبيبه[19]، فلم ير به علة، وعلم زادان فروخ بذلك فأمر صالحا أن يخرج))[20].

ويستنتج من رواية البلاذري هذه جملة أمور منها: بداية ظهور الكُتاب الذين يجيدون العربية واحدى اللغات الأجنبية سواء من العرب أو مواليهم، مثل صالح بن عبدالرحمن، والذي يبدو أنه كان ذا شخصية قوية جذابة وعلى درجة كبيرة من الذكاء والثقافة[21]، أهلته أن يصل إلى مستوى رفيع في إدارة ديوان خراج العراق، كما وصل إلى قلب الحجاج، لذلك بدء زادان فروخ يخشى منافسة صالح له[22]، وبخاصة بعد معرفته بمقدرة صالح العلمية.

أما سبب التعريب فيرجع ذلك البلاذري الى النقاش الذي دار بين زادان فروخ وبين صالح بن عبدالرحمن، وكأن عملية التعريب جاءت عرضاً وبشكل مرتجل من الحجاج، إذ يبدو واضحاً في هذه الروايات وأمثالها – عن تعريب الدواوين – النفس الشعوبي، الذي يحاول نسبة هذا العمل الكبير إلى أمور ساذجة وغير مقنعة إذ أن التعريب جاء لأسباب أعمق وأشمل.

ويبدو أن النقاش هذا كان مرحلة أولى من التعريب، ولو أن البلاذري لا يشير إلى ذلك، إذ أن فكرة التعريب تبدو مختمرة حتى في ذهن صالح ومطروقة ضمن الديوان، ويظهر ذلك من خلال قول صالح لزادان فروخ: ((والله لو

---

(19) وكان طبيب الحجاج هذا هو (تياذوق)، وهو من أهل الذمة. ينظر: ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الفكر، (بيروت – 1957م)، ص32 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(20) البلاذري، فتوح، ص298.

(21) الصولي، أدب، ص192 ؛ العسكري، الأوائل، ص207.

(22) الصولي أدب، ص192.

شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته)) [23]، كما أن طلب زادان فروخ من صالح أن يتمارض يؤكد ذلك، وإلا فما مناسبة هذا الطلب ؟

وحينما علم زادان فروخ بمقدرة صالح في التعريب أحسّ بخطره على مكانته ومكانة كُتابه من الفرس، لذلك قال زادان فروخ لكتابه الفرس: ((التمسوا مكسباً غير هذا)) [24].

وقد تكون هذه المرحلة من التعريب تعثرت بسبب فتنة ابن الاشعث، ولكن سرعان ما عادت لتأخذ طريقها ثانية، فبعد مقتل زادان فروخ في البصرة أثناء تلك الفتنة بحدود سنة (82ه/ 701م) بدأت المرحلة الثانية من التعريب، ويوضح ذلك البلاذري بقوله: ((ثم ان زادان فروخ قتل أيام عبدالرحمن بن الاشعث... فاستكتب الحجاج صالحا مكانه، فاعلمه الذي كان جرى بينه وبين زادان فروخ في نقل الديوان فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية وقلد ذلك صالحاً)) [25].

إن البلاذري يرى هنا ان تاريخ تعريب دواوين العراق، كان بعد سنة (82ه)، أما الجهشياري [26] فيرى أن ذلك كان سنة (78ه/ 697م)، ويبدو ان رأي الجهشياري أقرب إلى القبول، إذ لا يوجد تعارض بين عمل صالح في الترجمة ووجود زادان فروخ، لأن ما ترجمه صالح إلى العربية، هو الكتب الرسمية وأوراق

---

(23) البلاذري، فتوح، ص298.

(24) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص38 ؛ الصولي أدب، ص192 ؛ العسكري، الاوائل، ص207.

(25) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(26) الوزراء والكُتاب، ص38.

الحسابات، في حين بقيت سجلات المقاطعات والاقاليم كما كانت بالفارسية[27]، كما تمكن الخليفة عبدالملك ابن مروان في سنة (78ه) من القضاء على خطر الخوارج واستتبت أحوال العراق، مما دفع الخليفة للعمل على تنظيم واصلاح الاوضاع الادارية والمالية، ومنها تعريب دواوين العراق أهم اقليم في الدولة.

وعندما عزم الحجاج على تعريب الدواوين، حاول مردانشاه – والشعوبية الفارسية من ورائه – أن يشكك في مقدرة صالح، محاولا تعجيزه وثنيه عن عمله، فقال له: كيف تصنع بدهويه[28]، وششويه[29]، قال: أكتب عشر ونصف عشر، قال فكيف تصنع بويد[30]، قال أكتبه أيضاً، والويد، النيف والزيادة تزاد[31]. وعندما بدا نجاح صالح في مهمته، عبرّ مردانشاه عن موقف شعوبي حاقد تجاه عملية التعريب، وتجاه صالح بن عبدالرحمن، بقوله له: ((قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية)) [32].

---

(27) يرى الريس: بأن التاريخ الذي ذكره الجهشياري وهو سنة (78ه) خطأ، ويقول بأن هذا الرقم ربما يكون مقلوباً، والصواب كما يرى هو سنة (87ه). الخراج، ص203، حاشية رقم (7).

ويعني هذا ان التعريب كان في عصر الخليفة الوليد بن عبدالملك وليس في عصر عبدالملك. وهذا يبدو مستبعداً إذ لا تدعمه مصادرنا التاريخية، بل كل مصادرنا تذهب إلى أن دواوين خراج العراق عُربت في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان.

(28) دهويه: تعني عُشر.

Sprengling. M " From Persian to Arabic " The American Journal of semitic Languages and Literature vol. 56. 1939. P. 196.

(29) ششويه: تعمي نصف العشر .Ibid , P.196

(30) الويد: تعني الأكثر قليلاً Ibid , P.196.

(31) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303.

(32)البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303 ؛ الماوردي، الاحكام، ص203.

وبالتأكيد لم تستسلم الشعوبية الفارسية بهذه السهولة وأن تقف عند هـذا الحد، بل راحت تستعمل اسلوباً آخر مع صالح بـن عبـدالرحمن، وهـو اسـلوب الرشوة، إذ عـَرضت عليه (مئة ألف) درهم، على أن يُظهر عجزه عن التعريـب، فلم يرضخ صـالح لإغـراءات الـشعوبية هـذه، وأبـى ألا أن يُعـرب الـدواوين، فعرّبها بعد أن أمهله الحجاج فترة لذلك[33].

وبذلك أصبح صـالح بـن عبـدالرحمن رائـد حركـة تعريـب الـدواوين في الدولة العربية الاسلامية، ولاسيما في العراق والمشرق الاسلامي، إذ أصبح بمثابة مدرسة للكُتاب تخرج على يديه معظـم كُتـاب العـراق[34]، كمـا أسـدى خدمـة عظيمة للعربية وكُتابها[35].

رابعاً: تعريب دواوين مصر:

بعد تحرير مصر سنة (20هـ/ 641م)، أخذت اللغـة العربيـة تنتـشر وتـزداد أهميتها، فأصـبحت اللغتـان اليونانيـة والعربيـة مـستعملتين في دواويـن مـصر، الأولى، على أنها اللغة التي كانت تدون بها الاعمال في تلك الدواوين منـذ فـترة طويلة، والثانية لأنها لغة المحررين العرب، وتؤكد ذلـك أوراق الـبردي المكتـشفة حديثاً[36].

---

(33) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ الماوردي، الاحكام، ص203.

(34) الوزراء والكُتاب، ص39 ؛ الصولي، أدب، ص192.

(35) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303، الماوردي، الاحكام، ص203 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(36) حسن، إبراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص156 ؛ عمر، أحمد مختار، تاريخ اللغة العربية في مصر، ص30-31. ويذكر الكندي، ولاة مصر، ص80، ان لغة دواوين مصر كانت القبطية فقط.

ومنذ سنة (57هـ/ 676م) أصبح المكان الأول للعبارة العربية وتتلوها الترجمة اليونانية، في المكتبات الرسمية[37].

وقام الوالي عبدالعزيز بن مروان، أثناء ولايته، بالتدوين الثاني للديوان[38].

وفي سنة (74هـ/ 693م)، وربما بعد ذلك التاريخ بستتين طرأ إصلاح بدل الرموز غير الاسلامية وعباراتها بعبارات مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية، إذ كانت تقتصر كتابة أسماء الموظفين اليونانيين في الصكوك الرسمية على اليونانية فقط، فاستبدلت فيما بعد بكتابة يونانية وعربية، وما يقال عن الصكوك يقال عن (البروتوكولات) بل زادوا هنا فيها إذ استبدلوا اسم الحاكم الروماني (قوميس) باسم الوالي العربي، واحياناً اسم الخليفة أيضاً[39].

وكان يتولى ديوان الخراج لعبدالعزيز بن مروان (اثيناس)، وهو من اهل الرُها، وكان واسع السلطان عظيم النفوذ، وكان غالباً على عبدالعزيز بن مروان[40].

أما تعريب دواوين خراج مصر فقد تأخر، وربما كان ذلك بسبب ضعف التأثير العربي النسبي قياساً لبلاد الشام أو العراق. واختلف المؤرخون فيمن عرّب دواوين مصر، هل كان ذلك في عهد الخليفة عبدالملك أو في عهد ابنه

---

(37) محمد، صنج السكة، ص12.

(38) المقريزي، خطط، ج1، ص94.

(39) جروهمان، الاوراق البردية، المحاضرة الاولى، ص14.

(40) الكندي، ولاة مصر، ص72، 80 ؛ الجهشياري، الوزراء والكُتاب، ص34-35 ؛ ترتون، أهل الذمة، ص21.

الوليد، فيذكر القلقشندي[41] بأن: ((أول من نقل دواوين مصر... هو عبدالعزيز بن مروان في امارته على مصر)). أي في عصر الخليفة عبدالملك بن مروان. إلا أن غالبية مصادرنا الأصلية تؤكد ان تعريب دواوين خراج مصر، قد تم في خلافة الوليد بن عبدالملك(86-96ه/ 705-714م)، وفي ولاية أخيه عبدالله بن عبدالملك لمصر، سنة (87ه)[42]. لذلك فلا نرى ضرورة الاستمرار في بحث الموضوع لأنه يتعدى فترة بحثنا.

خامسا: نتائج تعريب الدواوين:

لقد حققت حركة تعريب الدواوين على يد الخليفة عبدالملك بن مروان نتائج ذات آثار عظيمة في جميع الميادين السياسية والادارية والثقافية واللغوية وما زالت نتائجها شاخصة للعيان حتى اليوم. ويمكن تحديد نتائج حركة التعريب بما يأتي:

1. تحقيق سيادة اللغة العربية وتعزيز مكانتها، وانتصارها على اللغات الاجنبية في الدولة، كالفارسية واليونانية، والقبطية، إذ اصبحت اللغة العربية لغة الادارة والثقافة، فضلاً عن كونها، لغة السياسة والدين والعلم، وأصبحت أداة التفاهم اليومي في كل أنحاء الدولة، فانتشرت الثقافة العربية التي طغت على الثقافات الاخرى وتفاعلت معها وأذابتها وحلت محلها، إذ اعتبر التعريب أعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن نظم وفق خطة شاملة[43]، فأصطبغت الدولة كلها بالصبغة العربية، حتى أصبحت كما يقول

(41) صبح الاعشى، ج1، ص423.

(42) الكندي، ولاة مصر، ص80 ؛ المقريزي، خطط، ج1، ص98.

(43) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، ص15.

البيروني في نصه الرائع: ((ديننا والدولة عربيان وتوأمان ترفرف على أحدهما القوة الالهية، وعلى الاخر اليد السماوية... وما دام الأذان يقرع أذانهم كل يوم خمساً وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفاً صفاً)) [44]. أي أصبحت اللغة العربية فيما بعد لغة الحضارة في جميع أقاليم الدولة العربية الاسلامية.

2. ظهور فئة مهمة من الكُتاب العرب أو الموالي حلوّا محل الكتاب الفرس والروم في إدارة الدواوين، إذ كان لصالح بن عبدالرحمن مهمة كبيرة في ذلك. فيقول عبدالحميد بن يحيى، كاتب الخليفة مروان بن محمد: ((لله در صالح ما أعظم منته على الكُتاب)) [45]، وبذلك كان عامة كُتاب العراق تلامذة صالح، ومن هؤلاء: المغيرة بن أبي قرّة، وقحذم بن أبي سليم، وشيبة بن ايمن والمغيرة وسعيد ابنا عطية ومروان بن اياس [46]، وغيرهم. وبذلك أصبح للانسان العربي المسلم أهمية كبيرة في ادارة الدولة، فكان عصر الخليفة عبدالملك هو النموذج الناصع للدولة العربية الاسلامية.

3. ظهور بوادر حركة الترجمة، من اللغات الأجنبية إلى العربية، إذ كانت حركة تعريب الدواوين أول عملية ترجمة منظمة أدت إلى نقل الكثير من المصطلحات الأجنبية، وظهر من اهتم بالترجمة، مثل خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان المتوفي سنة (85ه/ 705م)، فهو أول من أمر بنقل بعض كتب

---

(44) كتاب الصيدنة، ص12.

(45) البلاذري، فتوح، ص298 ؛ ابن النديم، الفهرست، ص303 ؛ الماوردي، الاحكام، ص203 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص244.

(46) الجهشياري، الوزراء والكُتاب، ص39 ؛ الصولي، أدب، ص192.

الكيمياء والطب من اليونانية إلى العربية[47]. واستمرت حركة الترجمة نشطة حتى أصبح الكُتاب يفضلون العربية على سائر اللغات، فيقول البيروني: ((... وإلى لسان العرب نُقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة... والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسية كيف ذهب رونقه وكسف باله وأسود وجهه وزال الانتفاع به))[48]. كما غلب الخط العربي على خطوط اللغات الاخرى وانعدم قسم منها كالارامية والسريانية والقبطية[49].

4. أدت حركة تعريب الدواوين إلى اثارة فئة الموظفين الاعاجم، لأن التعريب قضى على احتكارهم لمناصبهم الادارية والمالية، وكشف سوء استعمالهم لوظائفهم[50]، حيث استغنت الدولة عن هؤلاء الموظفين، واستبدلتهم بموظفين عرب أو موالي ممن يجيدون العربية، فأدى هذا إلى استياء الكُتاب الاعاجم وبشكل خاص الفرس الذين نقموا على الدولة الاموية وشوهوا صورتها[51].

---

(47) ابن النديم، الفهرست، ص303.

(48) كتاب الصيدنة، ص12.

(49) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص464.

(50) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص109.

(51) جوزي، بندلي، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، ص67-68 ؛ أبو النصر، عمر، عبدالملك بن مروان، ص273.

5. كان تعريب الدواوين سبيلا إلى تعريب الاقاليم والجاليات غير العربية، فكان هذا من أكبر العوامل في انتشار العربية[52]، كما أن أجزاء كبيرة من الدولة العربية الاسلامية ما زالت إلى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لجهود الخليفة عبدالملك بن مروان[53]. فسادت اللغة العربية أفريقية كلها، وأصبحت جزءاً مهما من الدولة[54]، فدّعم ذلك من وحدة الدولة العربية الاسلامية، وشدد من تماسكها. وعلى ذلك فان العربية هي الاداة التي جعلت مجتمع العرب يتسع رويداً رويدا حتى صارت حدوده تمتد من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً[55].

6. كان التعريب من أهم الأسس التي اقيمت في بناء القومية العربية في كل أقطار الدولة الاسلامية، وأنهى آخر مظهر من مظاهر الأعاجم، فأصبحت البلاد عربية بأوضاعها سائرة إلى التعريب بسكانها[56]، فكان للخليفة عبدالملك فضلاً لا يقدر في حفظ العربية أكبر مقومات ثقافة الأمة العربية، إذ استمرت الدولة محتفظة بهذه المميزات والمقومات حتى بعد انتهاء الدولة الأموية، فأن الدولة العباسية أنما قامت على هذه الأسس واحتفظت بهذه المقومات أيضاً[57].

---

(52) الريس عبدالملك بن مروان، ص286.

(53) عبدالمنعم ماجد، التاريخ السياسي، ج2، ص162.

(54) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ص265.

(55) عبدالمنعم ماجد، الحضارة الاسلامية، ص15.

(56) كرد علي، الاسلام والحضارة العربية، ص168 ؛ أبو النصر، عمر، عبدالملك بن مروان، ص238.

(57) الريس، عبدالملك بن مروان، ص287-288.

7. تمكنت الدولة من تحقيق الاشراف التام على النواحي المالية والادارية وضبط أعمال الدواوين وسجلات الضرائب، أي أسهم ذلك في نجاح الدولة بخطة الاصلاح المالي.

8. اتجه الموالي لتعلم اللغة العربية، كونها الطريق التي تؤدي إلى الوظائف والمناصب العالية، كما أدى من جهة أخرى إلى اشاعة اللحن في اللغة، مما دعا الحجاج إلى معالجة ذلك، ثم اندفع الموالي للتخلص من اللحن والخطأ وتعلم النحو ودراسته، فخلق نهضة لغوية واسعة، وهذا ما يفسر لنا ظهور علماء كبار من الموالي في العصر الأموي ثم العصر العباسي.

9. إيجاد نظام إداري موحد وشامل، وللدلالة على حسن هذا النظام ان اتخذه العباسيون، فقد كانت الادارة عندهم تطوراً للادارة عند الامويين(58).

(58) كاشف، الوليد بن عبدالملك، ص169.

الفصل الخامس
إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

أولا: إدارة بلاد الشام

ثانيا: إدارة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن

ثالثا: إدارة العراق والمشرق الإسلامي

رابعا: إدارة الجزيرة الفراتية وأرمينيا واذربيجان

خامسا: إدارة مصر

سادسا: ادارة افريقية

قال الخليفة عبد الملك بن مروان في احدى خطبه في الحجاز:

((أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل... اني رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس... فلابد للوالي أن يسير في كل زمان بما يصلحه)).

الذهبي، تاريخ الاسلام، ج3، ص130ـ131.

كتب الخليفة عبدالملك للحجاج في العراق قائلا له:

((لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما)).

الماوردي، الاحكام السلطانية، ص144.

الفصل الخامس

إدارة الأقاليم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان

وضع الرسول محمد ﷺ، نواة النظام الإداري في الإسلام، إذ بعد استقرار الدولة أخذ ينيب عنه عمالاً على القبائل، وبعض مدن الحجاز واليمن، لإمامتهم في الصلاة وجمع الصدقات، والفصل بينهم في المنازعات التي قد تحدث[1].

وبعيد دخول الرسول محمد ﷺ مكة سنة (8 هـ - 629 م) وليّ عليها (عتاب ابن أسيد)، وفرض له راتباً مقداره درهم واحد في اليوم[2].

ولما ولي الخلافة أبو بكر الصديق ﷺ (11 – 13هـ / 632 – 634م)، أقر عمال الرسول محمد ﷺ على أعمالهم. وقسم الدولة إلى عدة ولايات، عين عليها ولاة من كبار الصحابة[3].

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13 – 23 هـ / 634 – 643م)، اتسعت الدولة، إذ حرر العرب المسلمون، مناطق شاسعة، فقسم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، الدولة إلى ولايات كبيرة ليسهل حكمها والاشراف عليها، وعين على كل ولاية عاملاً يكون مسؤولاً أمامه مباشرة، ومن أهم واجبات هذا

---

(1) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص61 – 62، 63؛ ابن هشام، السيرة، ج4، ص173.

(2) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص50، 61؛ ابن سعد، الطبقات، م2، ص137؛ ابن هشام، السيرة، ج4، ص69، 149.

(3) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص91؛ احمد، د. لبيد إبراهيم و د. فاروق عمر، عصر النبوة والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة بغداد، بلا. ط. (بغداد – 1986 م)، ص314.

العامل: إمامة المسلمين في الصلاة، وقيادة الجند في الحروب وجباية الأموال، وحفظ الآمن والنظام في إداراتهم[4].

وقد اتبع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سياسة تستهدف تماسك بلاد العرب، وتوحيد القبائل العربية، لتكوين أمة واحدة، كما كانت ترمي إلى المحافظة على العرب بوصفهم مادة الإسلام[5].

وكان عمال عمر ﷺعرضة لكشف أحوالهم، فقد جعل (محمد بن مسلمة)[6] بمثابة مفتش على العمال، يرسله للتحقيق في الشكاوى ضد عماله[7]. وكان يقاسم عماله أموالهم، إذا ظهر انهم أساءوا الولاية وأثروا على حساب الرعية، فقد قاسم (محمد ابن مسلمة) عمرو بن العاص أمواله[8]، كما منع الخليفة عماله من الاشتغال بالتجارة[9].

وبذلك يكون الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو واضع أسس النظام الإداري للدولة العربية الإسلامية.

---

(4) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص127 – 128، ص129 – 130؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص303 – 304.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص192؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص455.

(6) محمد بن مسلمة: صحابي قاد عدة سرايا للرسول محمد ﷺ، أستعمله الرسول محمد ﷺ على المدينة سنة (11هـ)، وكان رسول عمر بن الخطاب ﷺ في الكشف عن أحوال عماله. توفي سنة (43 هـ) وقيل سنة (46 هـ). ابن هشام، السيرة، ج4، ص173؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص363 – 364.

(7) ابن حجر، الإصابة، ج3، ص363 – 364.

(8) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص147؛ العسكري، الأوائل، ص140.

(9) الطبري، تاريخ، ج3، ص287؛ كرد علي، الإسلام والحضارة، ج2، ص138.

وحافظ الخليفة عثمان بن عفان ﷺ على الأوضاع الإدارية التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[10]، فضلاً عن قيامه بتغيير في ترتيب الأقاليم، إذ الحق الخليفة إدارة فارس بالبصرة سنة (29 هـ - 649 م)[11]، كما الحق إدارة البحرين وعُمان بالبصرة أيضاً، بعد ان كانتا تابعتين لإدارة الحجاز، وصار عمالهما يعينون من عامل البصرة، وأستمر ذلك طيلة العصر الأموي[12].

وسار الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، أيضاً على طريقة من سبقوه في الإدارة. غير أن الجديد في هذا المجال هو ما أحدثه من، تغير إداري كبير، إذ نقل مقر إدارة الدولة من المدينة في الحجاز إلى الكوفة في العراق[13].

وعند تأسيس الدولة الأموية، قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41 – 60 هـ) (661 – 679 م)، بنقل مقر إدارة الدولة، من الكوفة إلى دمشق، إذ كانت الشام من أقوى مؤيدي معاوية، ومقر أنصاره لذلك كان جل اعتماده عليهم[14].

واعتنى الخليفة معاوية بن أبي سفيان بتنظيم الإدارة بصورة عامة كما سار على سياسة الخلفاء الراشدين في اختيار الولاة والعمال من العرب، كما حرص أن لا يستعمل أحداً من هؤلاء العمال إلا من ثبتت كفاءته. وفي عصره فصلت إدارة خراسان عن البصرة[15].

---

(10) الطبري، تاريخ، ج3، ص287؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص155.

(11) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص136.

(12) ابن خياط، تاريخ، ج 1، ص136، 159؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص100؛ ياقوت، معجم، م1، ص347.

(13) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص186.

(14) الطبري، تاريخ، ج4، ص239؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص87.

(15) الطبري، تاريخ، ص233 – 234.

وكانت بلاد الشام، على عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان، تتكون من أربع أجناد[16]، وهي: دمشق وحمص والأردن وفلسطين. وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة (60 – 64هـ / 679 – 683م)، جعلها خمسة أجناد، إذ فصل جند قنسرين عن حمص، وضم اليه انطاكية ومنبج والجزيرة[17].

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ / 684 – 705م)، قام بتنظيم دواوين الدولة ومؤسساتها[18]، كما نظم إدارة الأقاليم، وأعاد النظر في تقسيماتها وترتيبها، سائراً على الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، أخذاً بنظر الاعتبار تغير الحياة وتطورها بمختلف أوجهها.

وكانت الدولة الأموية مقسمة إلى عدة أقاليم، ويرأس كل إقليم أمير، يكون تعيينه وعزله من الخليفة، ويملك هذا الأمير سلطات واسعة في إدارة إقليمه، فهو الذي يعين العمال على الولايات والمدن التابعة لإقليمه، كما يعين الموظفين أيضاً، وهو المسؤول عن تنظيم الجند، وتجهيز الحملات العسكرية، وغالباً ما يقودها بنفسه أو ينيب عنه قائداً لذلك، وكان له الاشراف على سك النقود أيضاً.

---

(16) الأجناد: جمع جند، والتجند التجمع، وقيل سمي بالجند، لأنه جمع عدة كور، وقيل سميت كل ناحية لها جند يقبضون أعطياتهم بها جندا، ويذكر البلاذري بأن عبد الملك بن مروان جند الجزيرة أي أفردها بعد أن كانت الى قنسرين. البلاذري، فتوح، ص137 – 138؛ ياقوت، معجم البلدان، م1، ص103.

(17) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، (دمشق – 1951 م)، ج1، ص29، ياقوت، معجم، م1، ص103.

(18) ينظر الفصل الثالث.

وكان إلى جانب الأمير[19]، موظف له أهمية كبيرة هو (صاحب الخراج)، فالوالي يدير الشؤون السياسية للولاية، وعامل الخراج يتولى إدارة الشؤون المالية، ويكون صاحب الخراج بمثابة الرقيب على الوالي، ويعين صاحب الخراج هذا من الخليفة، وقد تحصل مواجهة وتصادم بين الوالي وصاحب الخراج.

وكذلك كان يساعد الأمير في عمله عدد من الموظفين، منهم، القاضي، وصاحب الشرطة، ورئيس الحرس، والكاتب، والحاجب.

وقد بلغت الدولة العربية الإسلامية، أقصى اتساعها في العصر الاموي إذ كانت مقسمة إدارياً في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى خمسة أقاليم كبرى (فضلاً عن بلاد الشام) هي[20]:

1. الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن.

2. مصر بقسميها: السفلى والعليا.

3. العراق: ويشمل البصرة والكوفة، وواسط، وعمان والبحرين[21] وفارس كلها، وكرمان وسجستان، وخراسان، وبلد ما وراء النهر والسند.

---

(19) كان حكّام الأقاليم يسمون في أول الأمر، (عمالاً) ثم استعملت فيما بعد كلمة (والي) ثم أطلقت عليهم كذلك كلمة (أمير) وتطور هذا اللفظ على هذا النحو، عامل، فوالي، فأمير، يدل على أن سلطة هؤلاء الحكام بدأت محدودة ثم أخذت تتسع حتى أصبح سلطانهم عظيماً فالعامل لم يكن مطلق السلطة، والوالي كان نفوذه واسعاً، والأمير كان نفوذه أوسع. د. لبيد إبراهيم محمد. عصر النبوة والخلافة الراشدة. ص315؛ حاشية رقم (1).

(20) حسن، إبراهيم حسن، تارخ الإسلام، ج1، ص458 – 459؛ الخربوطلي، د. علي حسني، الإسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت – 1969م)، ص124.

(21) البحرين: اسم جامع يطلق على الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعُمان. ومن أهم مدنه: هجر، المشقر، الصفا، الزارة. ياقوت، معجم البلدان، م1، ص347؛ ابن منظور لسان العرب، م5، ص46.

وكانت كل هذه الأقاليم تكوّن ولاية كبيرة يتولى أمرها أمير العراق وحاضرته الكوفة، ثم أصبحت واسط بعد سنة (83هـ/ 702م). ويلي خراسان وبلاد ما وراء النهر عامل من قبل أمير العراق، ومركزه مدينة مرو عادة، وكانت بلاد البحرين وعُمان تحت أشراف البصرة، وعند جمع العراق للحجاج، أصبح هو المشرف على إدارتها. وكان يلي بلاد السند عامل من قبل أمير العراق.

4. إقليم الجزيرة الفراتية: وتتبعها أرمينية وأذربيجان، وبعض بلاد آسيا الصغرى.

5. أفريقية الشمالية: وتشمل كل أفريقية الشمالية حتى غربي مصر.

اولا: إدارة بلاد الشام:

كانت بلاد الشام في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، قد استقرت إدارياً إلى خمسة أجناد، وهي جند دمشق، وحاضرتها دمشق، وجند حمص، وحاضرتها حمص، ومن مدنها تدمر، وجند قنسرين، وحاضرتها قنسرين، ومن مدنها حلب، ومرعش، وجند فلسطين، وحاضرتها اللُد، ومن مدنها تبوك، وجند الأردن، وحاضرتها طبرية، ومن مدنها عكا[22].

وكان لنظام الأجناد هذا أهمية إدارية وعسكرية كبيرة، إذ كان من أهم أسباب قوة الدولة الأموية فضمن لها الجند المستعدون دوماً للقضاء على أعداء الدولة في الداخل والخارج[23].

---

(22) البلاذري، فتوح، ص137 – 138؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص43؛ ياقوت، معجم البلدان، م2، ص170.

(23) كاشف، الوليد بن عبد الملك. ص50 – 51.

ولم يعين الخليفة عبد الملك بن مروان والياً خاصاً على بلاد الشام، لأنها كانت تحت أشرافه المباشر، إلا أنه عين على الأجناد ولاة خاصين بها.

ولا بد من القول ان المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن إدارة هذه الأجناد، لذلك فمن الصعوبة أعطاء صورة متكاملة عنها.

وكان جند دمشق يقع تحت إدارة الخليفة عبد الملك مباشرة، بوصفها حاضرة الدولة الأموية، ولكن عند خروجه من دمشق، كان ينيب مكانه أحد أفراد أسرته، أو أحد كبار موظفيه، فقد كان الوليد يلي دمشق نيابة عن أبيه أحياناً[24]، وخرج مرة من دمشق وأناب القاضي ((بلال بن أبي الدرداء)) يصلي بالناس ويقضي بينهم[25]. كما أستخلف على الشام ((بشر بن مروان)) حين قدم العراق لقتال مصعب بن الزبير[26].

أما باقي الأجناد، فكان الخليفة عبد الملك بن مروان، يعين عليها ولاة من قبله، فكان على جند حمص، ابنه ((عبد الله بن عبد الملك)) وقد أستمر في عمله هذا حتى نقله الخليفة إلى ولاية مصر بعد وفاة عمه ((عبد العزيز بن مروان))[27]، ثم ولى على حمص مكانه ((أبان بن عقبة بن أبي مُعَيط))[28]، فعزله وولى مكانه ((يحيى ابن الحكم بن أبي العاص))، وكان فيه حمق، فعزله

(24) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص21.

(25) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202.

(26) ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص260.

(27) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص58، 325.

(28) البلاذري، أنساب، ج5،ص307.

الخليفة بطلب من أهلها[29]. وكان يلي جند قنسرين ((دينار بن دينار))، مولى الخليفة عبد الملك[30]. وعلى جند فلسطين كان ((أبان بن مروان بن الحكم))[31]، وهو أخو الخليفة عبد الملك، فأستبدله الخليفة وولى مكانه ((يحيى بن الحكم))[32] ثم عزله وجعل مكانه ((سليمان ابن عبد الملك)) ابنه[33].

أما جند الأردن، فكان عليها ((أبو عثمان بن مروان بن الحكم))[34]، وهو أخو الخليفة عبد الملك.

وكان على البلقاء ((محمد بن عمر الثقفي)) أخو يوسف بن عمر الثقفي[35].

ومما يلاحظ في ولاة هذه الأجناد، ان غالبيتهم من بني أمية، ومن أسرة الخليفة عبد الملك بن مروان بالذات، أو من مواليه. ويبدوا أن ذلك راجع إلى ثقة الخليفة بهم، ولمحاولة الخليفة تدريب ابنائه وأخوته على شؤون الحكم والإدارة، كي ينقلوا إلى إدارات أوسع وأهم، إذ كانت بنو أمية لا تولي ابنائها على الأموال[36].

---

(29) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص213.

(30) البلاذري، فتوح، ص192.

(31)إبن قتيبة، المعارف، ص155؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص166.

(32) البلاذري، أنساب، ج5، ص163.

(33) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302.

(34) المصدر نفسه، ج1،ص302.

(35)ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302.

(36) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص37؛ مجهول، تاريخ الخلفاء، ص299.

وقد أعتمد الخليفة عبد الملك بن مروان، وأمراء الأجناد على عدد من المؤسسات والموظفين لإدارة بلاد الشام فكان للقضاة والشرطة والحرس وكتاب الدواوين[37]. والحاجب[38]، أثر مهم في ذلك، أما القضاء فكان على عصر الخليفة استمراراً لما كان عليه زمن من سبقه من الخلفاء، فضلاً عن إسهاماته الرائدة بتنظيم جوانب متعددة منه، فهو أول من أفرد للظلامات يوماً[39]. كما أوجب أن تقرأ عهود القضاة، أي أوامر تعيينهم، في المسجد الجامع أولاً، ثم يتجوهن إلى دار الأمير حيث يتلى أمامه عهد تولية القاضي[40]، وأخذ قضاته في مصر ينظرون بأموال اليتامى وتنظيم ذلك لأول مرة[41]، كما ((كان عبد الملك أول من قضى في الدور وسال عليها البينة، وتركها ميراثاً فأعجب الناس ذلك فأخذوا به))[42].

وكان الخليفة عبد الملك يختار من القضاة من يتصف بالتقوى والنزاهة، فقد ولى على القضاء ((بلال بن أبي الدرداء))[43]، ثم ولى مكانه أشهر قضاته (أبا إدريس الخولاني)، وذلك في سنة (74هـ/ 693 م) وكانت له المظالم أيضاً،

(37) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(38) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(39) ينظر الفصل الثالث من هذا البحث.

(40) كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ص169؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط1، مط. وزارة التربية (بغداد – 1973 م)، ص121.

(41) ينظر ص237-238 من هذا الفصل.

(42) السيوطي، الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ص107.

(43) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202 ؛ابن طولون، قضاة دمشق، ص5.

فلـم يـزل قاضـياً حتـى أعفـاه عبـد الملـك بطلـب منـه[44]، ثـم ولي ((عـامر الأشـعري))[45]، ثـم ((عبـد الله بـن عـامر اليحـصبي))[46]، وعبـد الله بـن قيس[47]، ثم ((سليمان بن حبيب المحاربي))[48].

ومن الجدير بالذكر أن المصادر لا تتفق على عدد من تولى القـضاء وعلـى ترتيبهم وفترة توليهم مناصبهم، وربما يرجع ذلك إلى قصر فترة ولاياتهم للقضاء من جهة، وإلى اختلاط اسماء قضاة الأجناد في المصادر من جهة أخرى، ولـذلك لم يصل إلينا إلا أسماء قـضاة دمـشق، وقاضـي واحـد علـى جنـد الأردن وهـو ((عبادة بن نسيء الكندي))[49].

ويبدو أن أغلب هؤلاء القضاة من اليمن، ومعظمهـم مـن الفقهـاء، ومـن رواة الحديث[50].

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يراقب قـضاته، ويتتبـع أخبـارهم، فقـد أخبر أن زوجة قاضية ((الحارث الأشعري))، كلمت زوجها، في رجل يقضي له بقضية، وأن الرجل أهدى إلى زوجة القاضي هدية. فقال عبد الملك:

إذا رشوة من باب بيتٍ تقحمت   لتسكن فيه والأمانة فيـــــــه

---

(44) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299؛ وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص202؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص5.

(45) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص16.

(46) وكيع، أخبار القضاة، ج3، ص203 ؛ابن طولون قضاة دمشق، ص5.

(47) وكيع، أخبار القضاة، ج3،ص203؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص316.

(48) وكيع، أخبار القضاة،ج3، ص210؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص22.

(49) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص264؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص262.

(50) العاني، إدارة بلاد الشام، ص132 – 133.

سعت هرباً منه وولت كأنها   حليم تولى عن جوار سفيه[51]

ونرى من المناسب أن نذكر، أن الخليفة عبد الملك بن مروان، قام بتحديد مهور النساء وجعلها (أربعمائة) دينار، حداً أعلى، وهو أول من فعل ذلك، إقتداءاً بما فعله رسول الله ﷺ، عندما خطب أم حبيبة بنت أبي سفيان[52]. وربما قام الخليفة عبد الملك بذلك، منعاً للمغالاة في المهور، وتشجيعاً للزواج والإنجاب.

أما موقف الخليفة عبد الملك من القضاء والقضاة، فأنه كان يحترمهم ولم يكن يتدخل في عملهم وأحكامهم، حتى وان صدرت من أعدائه، فقد ارسل عامله على المدينة ((ابان بن عثمان)) رسالة اليه، يطلب منه أعادة النظر في اقضية وأحكام عبد الله بن الزبير، قائلاً له: ((ان عبد الله بن الزبير قضى بين الناس باقضية، فما يرى أمير المؤمنين ؟ أمضيها ام اردها ؟ فكتب عبد الملك إلى أبان بن عثمان: أنا والله ما عبنا على ابن الزبير اقضيته، ولكن عبنا عليه ما تناول من الأمر فإذا اتاك كتابي هذا، فأنفذ اقضيته فان ترداد الاقضية عندنا يتعسر))[53].

وهذه الرسالة تبين لنا جانبا مهماً من إدارة الخليفة عبد الملك الحازمة، وحكمته في عدم التدخل في المؤسسة القضائية، إذ سد باباً على الحكام والولاة كاد فتحه أن يُعرض أحكام القضاة إلى النقض المستمر.

---

(51) البلاذري،انساب، ص238، (أهلورت)، وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص56.
(52) ابن سعد، الطبقات، م8، ص99؛ ابن هشام، السيرة، ج1، ص243.
(53) وكيع أخبار القضاة، ج1، ص130.

ومن الأجهزة المهمة التي كان لها أثر فاعل في إدارة بلاد الشام، جهاز الشرطة، وعلى رأسه ((صاحب الشرط))، ولا بد أن الخليفة عبد الملك كان لا يختار لهذا المنصب إلا من توفرت فيه شروط صعبة التوفر[54].

وعين الخليفة عبد الملك بن مروان على شرطته ((عبد الله بن هانئ الاودي))[55] ثم استبدل به ((يزيد بن أبي كبشة السكسكي))[56]، ثم عزله وولى مكانه ((أبا ناتل رياح بن عبده الغساني))، فعزله وجعل مكانه ((عبد الله بن زيد الحكمي))[57]، ثم ((زياد بن هجعم السكسكي))[58]، فعزله وولى مكانه ((يزيد بن بشر السكسكي))، فلم يزل على الشرط حتى مات، فجعل مكانه ((عب بن حامد العبسي))، فلم يزل في منصبه هذا حتى وفاة الخليفة عبد الملك[59].

وواضح أن عدد من تولى الشرط للخليفة عبد الملك كان كبيراً، وربما يرجع ذلك إلى سرعة تبدلهم، كما ويظهر أن كل هؤلاء، كانوا عرباً ومن رؤساء القبائل، ويمكن إرجاع ذلك، إلى رغبة الخليفة إلى عدم التعصب لأية جهة قبلية،

---

(54) ينظر، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص16.

(55) ابن حبيب، المحبر، ص373.

(56) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ ابن حبيب، المحبر، ص373؛ البلاذري، أنساب، ص192 (أهلورت)، اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص25.

(57) ابن خياط، تاريخ، ج1، 302؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص26؛ البلاذري، أنساب، ص192 (اهلورت)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص399.

(58) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص405.

(59) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ ابن حبيب، المحبر، ص373؛ البلاذري، أنساب، ص193 (اهلورت)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4،ص399.

وإيجاد التوازن القبلي، فضلاً عن ان الخليفة يتمكن بواسطة رؤساء القبائل هؤلاء من السيطرة على قبائلهم. ولابد أن أصحاب الشرط هؤلاء كانت تتوفر فيهم المؤهلات العسكرية لتولي هذا المنصب.

ولم تكن مهمة الشرطة، في عصر عبد الملك بن مروان، هي حفظ الأمن والنظام، وتنفيذ أوامر الخليفة ومطاردة الجناة واللصوص فحسب، بل مارست الشرطة عملاً مهماً، إلا وهو عملية تنظيم وضبط نزول جيوش الخلافة ورحيلها، أثناء الحملات العسكرية، فقد قلد الخليفة، الحجاج بن يوسف الثقفي هذه المهمة، فنجح فيها في عدة مناسبات وتمكن من ضبط جيش الخليفة وتأدية مهمته على أحسن وجه[60].

ولم تقتصر الشرطة على مقر الخلافة فقط، بل لا بد أنها وجدت في باقي الأجناد، إلا أن معلوماتنا عنها نادرة، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطة ((أبان بن مروان)) أثناء ولاية الأخير على جند فلسطين، لأخيه عبد الملك، ثم التحق بشرطة ((روح بن زنبرع الجذامي)) في دمشق[61].

واتخذ الخليفة عبد الملك بن مروان، حرساً خاصاً به[62]، ويرأس هؤلاء الحرس، رئيس، يعين ويعزل من الخليفة، وهو المسؤول عن أفراد حرسه أمام الخليفة. ويبدو أن أعدادهم لم تكن قليلة.

وكانت مهمة الحرس الأساسية، هي حماية الخليفة، والمحافظة على سلامته في حله وترحاله، وتنفيذ أوامره، ولم تقتصر مهمة حرس الخليفة عبد الملك على

---

(60) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص14؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص342.
(61) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص14؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص342.
(62) ينظر، ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ البلاذري، أنساب، ص193 (أهلورت).

ذلك فحسب، بل كانت توكل أليهم مهمات أخرى، فحين أتهم عروة بن الزبير بحيازة أموال أخيه عبد الله بن الزبير، عهد الخليفة لبعض حرسه بمهمة إيصال عروة بن الزبير، إلى الحجاج في العراق للتحقيق معه[63].

وعين عبد الملك بن مروان على حرسه ((عدي بن عياش))[64] مولى حمير ثم عزله وولى (أبا الزعيزعة) مولاه[65]، فضلاً عن توليه ديوان الرسائل، ثم عزله وولى (الريان بن خالد بن الريان) مولى بني محارب[66]، وبعد وفاته ولى مكانه (خالد بن الريان)، وبقي في منصبه حتى وفاة الخليفة عبد الملك[67].

ومن الجدير بالملاحظة أن جميع رؤساء حرس عبد الملك كانوا من الموالي، وبخاصة من موالي الخليفة نفسه، ويبدو أن ذلك راجع إلى طبيعة أعمال هؤلاء المرتبطة دوماً بالخليفة، والتي تستوجب أن يكونوا موضع ثقة الخليفة للاطمئنان على سلامته، ولا بد أن هؤلاء كانوا أصحاب خبرة في هذا المجال.

وكذلك أعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان، بتنظيم إقامته في مدن بلاد الشام، فضلاً على اهتمامه بالبناء والتعمير. فلم يكن الخليفة يقيم بدمشق طوال العام، بل كان يشتو بالصنبرة من الأردن، فإذا انتهى الشتاء نزل الجابية، وفرق الأرزاق على أصحابه، فإذا مضت أيام من اذار دخل دمشق، حتى إذا اشتد الحر

(63) الدينوري، الأخبار الطوال، ص315 – 316.

(64) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص25.

(65) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302؛ البلاذري، أنساب، ج4، ق2، ص145؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص26؛ المسعودي، مروج، ج3، ص110.

(66) ابن خياط، تاريخ،ج1، ص302؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص399.

(67) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص302.

أتى بعلبك فأقام بها حتى تهيج رياح الشتاء فيرجع إلى دمشق، فإذا اشتد البرد خرج إلى الصنبرة[68].

ومن خلال ما مر يمكننا ان نحدد الخطوط العامة لسياسة الخليفة عبد الملك لإدارة شؤون الدولة.

فقد كان يعتمد على المشاورة في أنجاز مهمات الدولة، وبخاصة في الأمور المهمة[69]، فهو القائل: ((المشاورة تفتح مغاليق الأمور))[70]، فقد أستشار أصحابه في المسير إلى مصعب بن الزبير في العراق[71]. كما قبل مشورة (روح بن زنباع) بتولية الشعبي قضاء البصرة، حينما أستشار الخليفة أصحابه بذلك[72]، وعلى الرغم من ذلك لم يكن يأخذ بكل استشارة، فكان يشاور (يحيى بن الحكم)، ثم يخالفه، ويقول من أراد صواب الرأي فليخالف (يحيى بن الحكم) فيما يشير به عليه[73].

وكان الخليفة عبد الملك يعتمد على أهل الشام لأنهم أخلصوا له، فكان يخاطبهم: ((يا أهل الشام أنما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ويتقي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر، ويكفهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم

---

(68) البلاذري، أنساب، ص200 (أهلورت).

(69) الجاحظ، التاج، ص130؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص10؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص20؛ المسعودي، مروج، ج3، ص117؛ العسلي، بسام، عبد الملك القائد، ط1، دار النفائس (بيروت - 1986 م)، ص119 – 121.

(70) ابن الطقطقي، الفخري، ص126؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص226.

(71) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص335.

(72) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص20.

(73) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص335.

من الذئاب، يا أهل الشام انتم الجبه والرداء وانتم العدة والجداء[74]، ولا غرابة في ذلك، إذ كانت الشام مسكن القبائل العربية، التي ناصرت الأمويين، كما كانت مقر القوات العسكرية الضاربة للدولة العربية الإسلامية، التي كان لها دور كبير في المحافظة على سلامة الدولة وأمنها.

وقد حرص الخليفة عبد الملك بالسير على مبدأ الشخص المناسب في الموقع المناسب، إذ كان يوكل المهمات لأصحابها ففي رسالة جوابية أرسلها الخليفة عبد الملك إلى خالد بن عبد الله أمير البصرة سنة (72هـ/ 691م) قال له فيها: ((... فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب إلى جنبك يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابنائها... فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل برأي حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه))[75]. كما كان يحسن معاملة قادته وحاشيته ويكرمهم ويمن عليهم، ويواسيهم ويزورهم إذا مرضوا[76].

وجرى الخليفة عبد الملك على طريقة عمر بن الخطاب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان، في أخذ نفسه، بالتطلع إلى استعلام بواطن الأمور، إذ كان يتابع أخبار عماله وولاته، ويعاقب من قبل الهدية منهم، فقد بلغه أن أحد عماله قبل هدية فأرسل اليه، وحين أعترف هذا العامل قال له: ((إن كنت قبلت ولم تعوض أنك للئيم، ولئن كنت أنلت مهديها من غير مالك أو استكفيته ما لم يكن مثله

---

(74) الطرطوشي، سراج الملوك، ص118؛ ينظر: العسلي، عبد الملك القائد، ص132.
الجداء: الغناء. ابن منظور، لسان العرب. م4،ص135؛ (باب الوالو والياء من المعتل).
(75) الطبري، تاريخ، ج5، ص18،
(76) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص56؛ البلاذري، أنساب، ص21، 84. (أهلورت).

مستكفاه أنك لخائن جائر، وما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع، وأمر بصرفه من عمله))[77].

وكان الخليفة عبد الملك، في اختياره لعماله، قد حبذ أقرباءه من أفراد البيت الأموي بالدرجة الأولى، وأستعملهم في المناصب المختلفة، إلا أنه كان يراقبهم مراقبة دقيقة، ويعزل من أظهر عجزاً أو أخفق في عمله. كما أنه استخدم ولاته على الأقاليم في الأغلب من قبائل عرب الشمال (مضر)، بينما اختار موظفي إدارته إلى حدٍ كبير من قبائل عرب الجنوب (اليمن)، ويبدو أن هذه كانت أحدى الوسائل التي أتبعها الخليفة لحفظ التوازن القبلي[78]، وربما لأن عرب الجنوب كانوا أيضاً ذوي أصول حضارية وخبرة في مجال الإدارة أوسع مما لدى عرب الشمال.

وقد ادرك الخليفة عبد الملك معنى السياسة بشكل دقيق وأستوعب دروسها، كما أدرك السبل العلمية لساسة الناس ومن مختلف منازلهم فحين سأله الوليد يا أبت ما السياسة قال: ((هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع))[79].

---

(77) الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص376 – 377؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص125؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص43 – 44. إلا أن الجهشياري، يذكر أن هذا كاتب وليس عامل.

(78) دكسن، ملاحظات حول سياسة عبد الملك بن مروان في أختيار عماله. مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد (15) لسنة (1972، ص253.

(79) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص9؛ البلاذري، أنساب، ص181 (أهلورت).

وكان عصر الخليفة عبد الملك عصر تسامح مع أهل الذمة، فلم يحاول الخليفة الاستيلاء على كنيسة يوحنا عندما رفض أهل الذمة تسليمها إليه[80]. كما أنه سمح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بحرية، وبناء الكنائس والأديرة، فقد شيد ((أثيناس)) كتاب ديوان خراج مصر على عصر عبد العزيز كنيسة ((أم الإله)) في الرها، كما شيد في مصر أيضاً كنيستين وديراً، فضلاً عن أشغالهم مناصب عالية في إدارة الدولة[81]، إذ كان الخليفة يثق بهم[82].

أما السياسة المالية فقد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الخليفة الإداري، فقد كان يراقب سياسة ولاته المالية مراقبة شديدة[83]. وقد سعى إلى تنظيم ماليته تنظيماً دقيقاً، فقد كان له بيت مال لا يدخله إلا مال طيب لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد فقد عرفت وجوهه، فهو لا يستحل إلا طيباً [84].

وقد أراد التشبه بالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، بمقاسمة بعض عماله أموالهم، فقد جعل ((الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري)) بمثابة المسؤول عن

---

(80) البلاذري، فتوح، ص131؛ قدامة، الخراج، ص294.

(81) ابن البطريق، التاريخ المجموع، ص41؛ ترتون، أهل الذمة، ص21 – 22؛ أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص85.

(82) المعارف، عارف باشا، تاريخ القدس، ص52.

(83) البلاذري، أنساب، ص217 (أهلورات)، المسعودي، مروج، ج3، ص141؛ الماوردي، الأحكام، ص144.

(84) البلاذري، أنساب، ص195 (أهلورت).

((وكان مما جرت به عادة بني أمية إذ جاءتهم جبايات الأمصار أن يأتيهم مع كل جباية (عشرة) أو (أربعين) رجلاً من وجوه البلد، فلا يدخل شيئاً من المال حتى يحلف الوفد ما منها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه)). كرد علي، مميزات بني أمية، مجلة المجتمع العلمي العربي السوري، م16، ج9، 10 لسنة (1941م)، ص452.

مراقبة ومتابعة القضايا المالية في الإقاليم، فقد أرسله إلى الجزيرة الفراتية لدراسة وإصلاح الضرائب هناك[85]. كما قاسم (أثيناس) كاتب ديوان خراج مصر أمواله[86]، وبذلك أتبع نظاماً دقيقاً للاستخراج أو التكشيف، حيث كان يحقق مع الجباة وعمال الخراج - المشكوك في أمرهم - عند اعتزالهم عملهم ويستنطقون حتى يعترفوا بما ارتكبوا من مخالفات، وكان التحقيق مع هؤلاء يتم في أماكن خاصة تسمى (دار الاستخراج)[87].

ثانيا: إدارة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية واليمن:

أـ الحجاز:

يعد الحجاز من أقاليم الدولة العربية الإسلامية المهمة، فهو المكان المقدس الأول للمسلمين، وفيه ظهرت الرسالة الإسلامية، ومنه انطلقت جيوش التحرير والفتح، كما بقي فيه أعداد كبيرة من الصحابة والتابعين، وفيهم الإداريون وقادة الجيوش، لكل ذلك كانت الحجاز مركز الثقل السياسي والإداري، طيلة عصر النبوة والخلافة الراشدة، عدا خلافة علي ابن أبي طالب ﵁، حيث بدأت تتضاءل أهمية الحجاز الإدارية وذلك لنقل مقر الدولة من المدينة إلى الكوفة.

ولما انتقلت الخلافة إلى الأمويين، حصلت تطورات سياسية وعسكرية عنيفة، كان لها أثر واضح على مكانة الحجاز الإدارية والسياسة، كثورة الحسين بن علي ﵁، وحركة عبد الله بن الزبير، والتي كانت في جوانب منها رد فعل

---

(85) ينظر الفصل الثاني، الجزيرة الفراتية، وينظر العسلي، عبد الملك القائد، ص122.

(86) الجهشياري، الوزراء، ص34 – 35.

(87) حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص196.

لانتقال مركز الحكم والادارة من الحجاز إلى دمشق[88]، وكذلك خروج أعداد كبيرة من الحجاز واستيطانهم في الأمصار الجديدة التي أخذت أهميتها تتزايد، كل ذلك كانت له آثار كبيرة في تناقص أهمية الحجاز الإدارية والسياسية[89].

وبعد نجاح الخليفة عبد الملك في القضاء على عبد الله بن الزبير سنة (73ه/ 692م) ومبايعة قريش وكبار الصحابة والتابعين له[90]، أخذ يوجه عنايته نحو الاهتمام بإدارة البلاد.

ففي المدينة المنورة، تمكن (طارق بن عمرو) مولى عثمان بن عفان، في سنة (72 ه/ 691م)، من طرد عامل عبد الله بن الزبر، والسيطرة عليها، فأقره عبد الملك عليها لمدة (خمسة أشهر)[91].

وفي سنة (73 ه/ 692 م)، حدث تطور إداري مهم، إذ جمع الخليفة عبد الملك أعمال الحجاز واليمن للحجاج بن يوسف الثقفي[92]، فكان الحجاج

---

(88) الفراجي، عدنان علي، الخلافة الأموية، (96 – 105 هـ)، رسالة ماجستير مكتوبة على الألة الكاتبة (جامعة بغداد – كلية الاداب – قسم التاريخ – 1987 م)، ص70.
(89) العلي، صالح احمد، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت، الاجزاء (2، 3، 4) السنة (21)، 1968 م، ص23.
(90) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص266؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص34؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص400؛ البلاذري، ج5، ص359؛ وكيع، أخبار، ج1، ص124.
(91) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص265، 294؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص14.
(92) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص174؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35.

يستخلف على المدينة إذا أتى مكة (عبد الله بن قيس بن مخرمة)، الذي ولاه قضاء المدينة أيضاً[93].

كما كان يستخلف على مكة حين خروجه من الحجاز((عبدالرحمن بن نافع))[94].

ويبدو أن الحجاج خلال ولايته للحجاز لم يحسن السيرة مع بعض أهل المدينة، إذ أشتد معهم وعاملهم معاملة قاسية فأساء معاملة بعض من أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم، ((جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي))[95].

ومن جهة أخرى فقد أدرك الخليفة عبد الملك، أهمية الحجاز المعنوية، والمؤثرة، فأنتهج لذلك سياسة حكيمة أدت بالتالي إلى نجاحه في الحصول على بيعة كبار أهله، فحين بايع محمد بن الحنفية لعبد الملك، أعطاه الخليفة ميثاقاً، وكتب اليه: ((أنك عندنا محمود... فلك العهد والميثاق وذمة الله ورسوله أن لا تهاج ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه)) كما قضى حوائجه[96]. وكتب الخليفة إلى الحجاج: ((لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه))[97]. فلم يتعرض الحجاج لأحد من آل أبي طالب خلال ولايته للحجاز. وكذلك بايع

---

(93) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294، 299؛ وكيع،أخبار القضاة، ج1، ص124؛ المسعودي،، مروج الذهب، ج3، ص122؛ القلقشندي، مآثر، ج1، ص131.

(94) البلاذري،أنساب، ج5، ص374.

(95) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص17 – 18؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص359.

(96) ابن سعد، الطبقات، م5، ص111 – 112.

(97) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص400.

عبد الله بن عمر لعبد الملك والحجاج[98]. كما عزز الخليفة عبد الملك الصلات مع آل العباس، فكان يكرم ((علي بن عبد الله بن العباس)) ويعرف لهُ حقه ويستوصي به خيراً[99]. وكانت كتبه ترد إلى الحجاج يأمره فيها أن لا يسيء إلى عروة بن الزبير[100]. وبذلك نجح الخليفة عبد الملك في الاحتفاظ بصلات حسنة بين الأمويين وبين بني هاشم – علويين وعباسيين – فلم يقتل أحد من العلويين في عصره، فكانت هذه ثمرة حسن سياسته وبعد نظره.

وكان الخليفة عبد الملك يراقب سياسة الحجاج في الحجاز، فحين بلغه أنه أساء معاملة خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، غضب غضباً شديداً، وكتب للحجاج رسالة قال فيها: ((من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف، أما بعد، فأنك عبد طمت بك الأمور فطغيت، وعلوت فيها حتى جزت قدرك وعدوت طورك... وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك... وايم الله لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً، وانتهكت له عرضاً فيما كتب به إلى أمير المؤمنين، لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك، فيحكم فيك بما أَحَبَ))[101].

---

(98) المصدر نفسه، ج4، ص400.

(99) المبرد، الكامل، ج2، ص219؛ الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد، الديارات، تح: كوركيس عواد، مطبعة المعارف (بغداد – 1956 م)، ص137 – 138؛ مجهول، أخبار العباس وولده، ص131، ص154؛ الحميري، الروض المعطار، ص199.

(100) الدينوري، الأخبار الطوال، ص315 – 316؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص119؛ الذهبي، تاريخ، ج3، ص280.

(101) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص362؛ ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص330 – 331؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص386.

كما حرص الخليفة عبد الملك على أداء فريضة الحج، كركن من أركان الإسلام من جهة، وكمحاولة لتقوية الصلات مع أهل الحجاز وكسب رضاهم، من جهة أخرى، فتوجه في سنة (75هـ/ 694م) لأداء فريضة الحج، فخطب في مكة، وأمر لجابر بن عبد الله بـ (خمسة الاف) درهم[102]. ثم توجه إلى المدينة المنورة، فخطب في الناس أيضاً، وكانت خطبة بمثابة إعلان لبرنامج سياسته الجديدة في الدولة عامة وفي الحجاز خاصة.

فقال في أحدى خطبه: ((أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلاً على كل))[103].

وقال في خطبة ثانية: ((وما خالف عثمان عمر في شيء من سيرته إلا باللين، فان عثمان لان لهم حتى ركب،... أني رأيت سيرة السلطان تدور مع الناس.. فلا بد للوالي أن يسير في كل زمان بما يصلحه))[104]. وبلا ريب فأن هذه الكلمات تنم عن عقلية كبيرة مستوعبة لظروف عصرها، ومدركة لقوانين التطور والتغير في المجتمعات، وهذا الادراك يعد من أعظم اسرار نجاح القادة في قيادة دولهم. وخطب خطبة ثالثة فقال: ((أما بعد فلستُ بالخليفة المستضعف

---

(102) ابن سعد، الطبقات، م5، ص229 – 231؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص270، ص301.

(103) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص262؛ الذهبي، تاريخ لإسلام، ج3، ص130 – 131.

(104) ابن سعد، الطبقات، م5، ص233؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص130 – 131.

ولا الخليفة المداهن[105] ولا الخليفة المأفون (ويقصد الخلفاء عثمان ومعاوية ويزيد بن معاوية على الترتيب)، ألا وأني لا اداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف... الا وأنا نحتمل لكم كل شيء إلا وثوباً على منبر أو نصب راية))[106]. وتدل هذه الكلمات على أن الخليفة عبد الملك أدرك تماماً سياسة من سبقه من الخلفاء، فأستخلص منها الدروس والعبر، وأستوعبها، وأنه سيستخدم سياسة الحزم والقوة المقترنة بالحكمة والنابعة من عقله لا وجدانه.

وفي سنة (75ه/ 694م) نقل عبد الملك بن مروان الحجاج من الحجاز وولاه العراق[107]. ويبدو أن نجاحه في القضاء على حركة عبد الله بن الزبير، واعادة الأمن والنظام إلى الحجاز، كان أحد الأسباب المهمة التي شجعت الخليفة على نقله إلى ولاية العراق المضطربة.

ثم ولى الخليفة عبد الملك بن مروان بعد ذلك علي المدينة عمه (يحي بن الحكم ابن أبي العاص)، وذلك في سنة (76 ه/ 695م)[108]، وولى يحيى علي قضاء المدينة ((نوفل بن مساحق العامري))[109].

ويبدو ان يحيى هذا لم يكن إدارياً ناجحاً يحسن الولاية، فقد خرج مرة إلى الخليفة عبد الملك في الشام – بعد أن أستخلف أبان بن عثمان بن عفان – وافدا

---

(105) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص270؛ العسكري، الأوائل، ص202؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص6.

(106) العسكري، الأوائل، ص202؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص391.

(107) الطبري، تاريخ، ج5، ص40؛ ينظر: إدارة العراق من هذا الفصل.

(108) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص40،

(109) الطبري، تاريخ، ج5، ص162.

عليه، بغير إذن منه، فأقاله ومنعه من الرجوع إلى المدينة[110]، فأقر الخليفة عليها ((أبان بن عثمان)) وذلك في سنة (76ه/ 695م)، فعزل أبان (عبد الله بن قيس بن مخرمة) عن القضاء وولى بدله (نوفل بن مساحق) وهو تابعي[111]، وولي على الديوان (ابن خارجه الأنصاري)[112]، ويبدو أن ولاة المدينة هم الذين كانوا يعينون القضاة وولاة الديوان في الاعم الأغلب.

وقد سبق أن اشرنا إلى رسالة أبان هذا إلى الخليفة عبد الملك فيما يتعلق بأقضية عبد الله بن الزبير[113].وحج أبان في الناس سنة (76ه/ 695م) وسنة (77ه/ 696م)[114].

وفي سنة (82ه/ 701م) عزل الخليفة عبد الملك أبان بن عثمان عن ولاية المدينة[115]، وقيل سنة (83ه/ 702م)[116] وولى مكانه، ((هشام بن إسماعيل

---

(110) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص160، 374.

(111) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294، 299؛ وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص152.

(112) ابن حبيب، المحبر، ص378، ((ومن الجدير بالذكر أن الديوان أقتصر ذكره على المدينة فقط وذلك لاقتصار العطاء عليها دون مكة)).

(113) ينظر: ص189 من هذا الفصل.

(114) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص83.

(115) وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص130؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص162؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299.

(116) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299.

المخزومـــي))[117]، وولى هـــشام علـــى قـــضاء المدينـــة ((عمـــر بـــن خلـــده الزرقي))[118]، الذي بقي في منصبه حتى وفاة الخليفة عبد الملك.

وفي ولاية (هشام بـن إسماعيـل) جـرت محـاولات لإصـلاح المكاييـل في المدينـة، حيـث وضـع لهـم هـشام صـاعاً يكيلـون بـه الأرزاق ويـدفعون بـه الكفارت[119].

ويبدو ان هشام بن إسماعيل كان شديداً في ولايته للمدينة المنورة، فحينما كتب اليه الخليفة عبد الملك، يدعوه لأخذ البيعة لابنيـه الوليـد وسـليمان، بايعـه أهل المدينة، عدا (سعيد بن المسيب) فأنه أبى، فضربه هشام ضرباً مبرحاً وطـاف به، فبلغ ذلك الخليفة عبد الملك، فأنكر عليه وقـال: ((مالـه ولـسعيد، مـا عنـد سعيد خلاف))[120]. وظل هشام في ولايته على المدينة حتى وفـاة الخليفـة عبـد الملك بن مروان.

ومن الجدير بالملاحظة أن الولاة الذين عينهم الخليفة عبد الملك بن مروان، على المدينة، أما من أفراد الأسرة الأموية، أو ممن لهم صلة عائليـة بالأسـرة مثـل (هشام بن إسماعيل المخزومي). ويبدو أن هذا الاختيار كان الهدف منـه ضـمان الولاء والإخلاص التأمين للخليفة، لا سيما أن المدينة كانت من مراكز المعارضة القوية للأمويين. كما يلاحظ طول مـدة ولايـة هـؤلاء الـولاة، قياسـاً بمـدة ولاة

---

(117) ابن سعد، الطبقات، م5، ص152؛ ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299، وكيع، أخبار، ج1، ص130.

(118) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299؛ وكيع، أخبار، ج1، ص130.

(119) الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قريش، نشر: ليفي بروفنسال، (القاهرة – 1953 م)، ص328.

(120) ابن سعد، الطبقات، م5، ص244؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص421.

مكة، فقد ولي المدينة في خلافة عبد الملك (خمسة) ولاة، في حين ولي على مكة (احد عشر) والياً[121]. ثم أن بعض هؤلاء كان يتولى ولاية مكة أولاً ثم ينقل إلى ولاية المدينة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الوظائف الأخرى في المدينة تبدو المعلومات عنها قليلة، كالشرطة مثلاً، ويمكن إرجاع قلة تردد ذكر روايات عن الشرطة إلى أنها كانت اداة بيد الأمير، كما لم تذكر في المدن الأخرى من الحجاز، وربما يرجع ذلك إلى عدم وجودها في تلك المدن، وأن الوالي في بقية المدن كان يستخدم حرسه الخاص للقيام بأعمال الشرط[122].

اما مكة، فبعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة (73 هـ / 692م)، ولّى الخليفة عبد الملك بن مروان ابنه (مسلمة بن عبد الملك) والياً عليها[123]، وفي السنة، نفسها جمع الخليفة عبد الملك الحجاز وأعماله واليمن للحجاج كما ذكرنا ذلك سابقاً حتى سنة (75ه/ 694م) حين نقله إلى ولاية العراق، فولى مكانه (الحارث بن خالد المخزومي)[124]، وكان ذا مكانة كبيرة في قريش، وتذكر المصادر في سبب تعيين الحارث هذا، أنه وفد على الخليفة عبد الملك، في دين له، فلم يأذن له الخليفة في الدخول عليه، فقال: (الحارث) في هذا الموقف شعراً – وكان شاعراً

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة   فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

---

(121) العلي، إدارة الحجاز، ص52 – 53.

(122) العلي، إدارة الحجاز، ص27.

(123) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص171؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص42.

(124) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص171؛ البلاذري، أنساب، ص203 – 205 (اهلورت).

حبست عليك النفس حتى كأنما بكفيك يجري بؤسها ونعيمها

ورحل إلى مكة، وهو في الطريق أرجعه عبد الملك، وخيره بين ولاية مكة، أو قضاء دينه، فأختار ولاية مكة، فولاه أياها[(125)].

ويبدو أن ولاية الحارث لمكة كانت قصيرة، وكان سبب عزل الخليفة له هو تقصيره في واجباته الدينية، فقد حج، وحجت معه (عائشة بنت طلحة) عامئذ وكان يهواها، فأرسلت اليه أن يؤخر الصلاة حتى تفرغ من طوافها، ففعل ذلك حتى فرغت من طوائفها، وأنكر الحُجاج ذلك وعظموه، فبلغ ذلك، الخليفة عبد الملك فعزله، وكتب اليه يؤنبه فيما فعل[(126)]. وهذا يدل بشكل واضح التزام الخليفة بواجباته الدينية، وحرصه على متابعتها[(127)]، واحترام مشاعر الناس من جهة، وعلى إدارة عبد الملك الحازمة من جهة أخرى.

كما كان الخليفة عبد الملك يتودد إلى أهل مكة ويتقرب إليهم، ففي سنة (78ه/ 697م) حج الوليد بن عبد الملك، وأكرم بعض الصحابة، ولكنه أغلظ الكلام لأهل مكة، لأنهم لم يخرجوا خارج مكة لاستقباله، وبلغ ذلك الخليفة عبد الملك، فأشتد عليه وأغتم به، فكتب الى الوليد وهو في الطريق يؤنبه ويقول له: ما كان حقك أن تفعل هذا بهم، وكان حقك ان تلين لهم وتقبل عذرهم[(128)].

---

(125) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص283؛ الأصبهاني، الأغاني، ج3، ص317.

(126) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص23 – 24؛ الأصبهاني، الأغاني، ج3، ص318، ج11، ص191.

(127) ينظر أيضاً، ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد – الدكن، الهند 1964 م) ص510 – 502.

(128) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص323 – 325.

ومن جهة أخرى اعتنى الخليفة عبد الملك بن مروان بتعمير الكعبة والمحافظة على سلامة مكة، فبعد القضاء على عبدالله بن الزبير مباشرة كتب الى الحجاج يأمره بهدم ما استحدثه عبد الله بن الزبير من بناء الكعبة فحمل اليها السواري من مصر وبناها على شكلها الأول كما كانت على بناء قريش[129]، ثم كسا البيت الحرام ديباجا، إذ كان الخليفة يبعث بالهدايا والديباج اليها كل سنة[130]، كما أنشأ عدة سداد على شعاب مكة[131] ففي سنة (80ه/ 699م) جاء سيل (الجحاف والجراف) وكان موسم حج، فأغرق الحجاج وأمتعتهم وأحاط بالكعبة، فبعث الخليفة بأموال طائلة إلى عامله على مكة (عبد الله بن سفيان المخزومي)، يأمره بعمل سداد للدور القريبة والمساجد والطرق لحمايتها من الغرق[132].

ومن ولاة مكة المشهورين ((خالد بن عبد الله القسري))، الذي أعتنى بحفر الآبار وبخاصة في المسجد الحرام، كما اعتنى بإنارته أيضاً[133].

---

(129) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص268؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص137؛ البلاذري، فتوح، ص59؛ ابن الفقيه، أبو بكر احمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ط. دي غويه. (ليدن– 1885م)، ص20؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ القزويني، زكريا بن محمد ابن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، بلا.ط (بيروت – 1960 م)، ص113

(130) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص20؛ العسكري، الأوائل، ص44؛ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص67؛ السيوطي، تاريخ، ص33 – 34.

(131) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص277 – 278.

(132) المصدر نفسه، ج2، ص172؛ البلاذري، فتوح، ص65؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص138.

(133) الأزرقي، أخبار مكة، ج2، ص171، 173.

ولا بد من القول انه تعاقب على مكة ولاة تختلف المصادر في تسميتهم وسني حكمهم، وربما يرجع ذلك إلى كثرة عددهم من جهة، وإلى قصر فترة ولاية بعضهم من جهة أخرى.

ومن الجدير بالذكر أن معلوماتنا عن الوظائف الأخرى في الحجاز – عدا المدينة – في عصر عبد الملك قليلة، فمثلاً لا تذكر مصادرنا شيئاً عن القضاء، وربما كان السبب في ذلك أن ولاة هذه المدن نفسها هم الذين يقضون بين الناس في ما يعرض عليهم من مشاكل.

ب- أواسط الجزيرة العربية:

وأما أواسط الجزيرة العربية، فكانت أهم مناطقها (اليمامة)، ((وربما ضمت اليمامة إلى المدينة وربما أفردت هذا كان في أيام بني أمية))[134] وكانت اليمامة ومنذ سنة (65هـ/ 684م) مقراً لنجدة الحنفي زعيم فرقة (النجدات) الخارجية[135]، الذي بدأ تحركاته العسكرية منطلقاً من اليمامة حتى تمكن من تأسيس أشبه بدولة للنجدات في اليمامة والبحرين[136].

وقد حاول الخليفة عبد الملك استخدام الأساليب الدبلوماسية مع نجدة، إذ وعده أن يوليه على اليمامة مقابل الدخول في طاعته[137]، فكان هذا أحد أسباب

---

(134) ياقوت، معجم، م1، ص347.

(135) النجدات: أحدى فرق الخوارج التي تكونت بعد اختلاف الخوارج في ما بينهم في شأن عبد الله ابن الزبير، وسميت النجدات نسبة إلى (نجدة بن عامر الحنفي) الذي بايعه أصحابه وسموه (أمير المؤمنين) ثم اختلفوا عليه فقتلوه، فافترقوا بعده. الشهرستاني، الملل والنحل، ط1، (القاهرة – 1948 م)، ج1، ص193 – 194.

(136) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص201 – 203.

(137) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص205.

انشقاق النجدات بعد ذلك إلا أن اليمامة ظلت خارج سيطرة الدولة الأموية حتى تمكن الخليفة عبد الملك من القضاء على (النجدات) في اليمامة والبحرين سنة (73هـ/ 692م)[138] فولى الخليفة عبد الملك (يزيد بن هبيرة المحاربي) ثم عزله وولاة مكانه (إبراهيم بن عربي) الذي استمر على ولايته طيلة المدة المتبقية من حياة الخليفة عبد الملك[139]. ويبدو أن موقف إبراهيم بن عربي في المحافظة على سلامة حياة مروان بن الحكم يوم مقتل عثمان بن عفان ﷺ، ثم موقفه في المحافظة على حياة الوليد بن عبد الملك، أثناء مقتل عمرو بن سعيد كان له أثر كبير في توليته على اليمامة[140].

وأدى إبراهيم بن عربي هذا مهمة كبيرة في القضاء على تمرد بني محارب على العامل الأموي في البحرين (محمد بن صعصعة الكلابي) سنة (78ه / 697م) وذلك عندما أمره الخليفة عبد الملك، بالزحف نحو البحرين فتمكن من هزيمة المتمردين، ثم عاد إلى اليمامة[141].

جـ اليمن:

اما اليمن، فقد تمكن نجدة الحنفي من دخول صنعاء سنة (65 هـ/ 684 م) فبايعه أهلها[142].

(138) الطبري، تاريخ، ج5، ص34؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص362.
(139) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ البلاذري، أنساب، ج1، ص22، ج5، ص79.
(140) ينظر البلاذري، أنساب، ج1، ص22؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص600.
(141) البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (42 أ).
(142) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص203.

ويبدو ان لبعد اليمامة واليمن عن مقر الخلافة، وأنشغال الدولة بأمورها الداخلية كان له اكبر الأثر في نجاح النجدات فيها.

وفي عصر الخليفة عبد الملك بن مروان أصبح لليمن وآل واحد بعد أن كانت مقسمة إلى عدة أعمال، في الحقب السابقة[143]. وكان يلي اليمن للخليفة عبد الملك (عروة بن الزبير) وهو أخو عبد الله بن الزبير، وكان الحجاج قد أتهمه باحتجان أموال أخيه (عبد الله) فطلبه الحجاج فهرب إلى الخليفة عبد الملك، فأرسل الحجاج كتاباً للخليفة يطلب منه إرساله اليه لمحاسبته، إلا أن الخليفة أمنه ولم يرسله[144].

ثم وليّ عليها (محمد بن يوسف الثقفي) وهو أخو الحجاج بن يوسف، وظل محمد على ولاية اليمن إلى ما بعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان[145].

ويبدو أن محمد هذا لم يحسن السيرة مع أهل اليمن[146]، كما زاد ضريبة الخراج على الأراضي الزراعية[147]، ومع ذلك فأن اليمن كان هادئاً ولم يحدث فيه ما يعكر صفوه.

---

(143) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص62، 158، 294.

(144) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص44 – 45.

(145) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص294؛ ابن عبد المجيد اليماني، تاريخ اليمن، ص17.

(146) البلاذري، أنساب، ص194 (أهلورت).

(147) البلاذري، فتوح، ص84؛ أنساب، ص194 (أهلورت).

ثالثا: إدارة العراق والمشرق الإسلامي:

أ- العراق:

يعد العراق أهم أقاليم الدولة الأموية، إذ أنه أغنى ولايتها وذو موقع إداري ممتاز، فهو يسيطر على المشرق الإسلامي كله، وفيه قبائل عربية قوية يخشاها الأمويون[148]، فضلاً عن وجود مصري البصرة والكوفة، قاعدتي التحرير في المشرق، لكل هذه الأسباب وجه الخليفة عبد الملك جل اهتمامه نحو العراق، ومما شجعه على ذلك، أن العراقيين ملوا من سياسة آل الزبير عامة، ومن مصعب خاصة[149]. لذلك راسلوا عبدالملك وأبدو ترحيبهم بقدومه[150]، فوعد وجوه أهل العراق ومنّاهم الأموال والأعمال[151]، كما راسل عبد الملك قادة مصعب بن الزبير أيضاً[152]. وقد أدرك عبد الملك أوضاعه جيداً فكان يقول: ((الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاذه وقد كتب إليّ أشراف أهل العراق يدعونني إليهم))[153]. وبعد أن تمكن عبد الملك من قتل مصعب سنة

---

(148) كب، دراسات في حضارة الإسلام، ص11؛ ولها وزن، تاريخ الدولة، ص218.

(149) الطبري، تاريخ، ج4، ص558 – فما بعد؛ المسعودي، مروج، ج3، ص106 – 107.

(150) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص20؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص333؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، ج1، 196؛ الذهبي، تاريخ، ج3، ص108.

(151) البلاذري، أنساب، ج4، ق2، ص157 – 158، ج5، ص337؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص98.

(152) البلاذري، أنساب، ج5، ص340؛ ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص557.

(153) البلاذري، أنساب، ج5، ص335.

(72ه/ 691م)[154] بايعه أهل الكوفة، ووفى للناس ما وعدهم به، وخلع وأجاز وأقطع ورتب الناس على قدر مراتبهم[155].

وولي عبد الملك على الكوفة أخاه (بشر بن مـروان) وأمـره بـاللين لأهـل الطاعة والشدة على أهل المعصية[156]، وفرق العمال على المدن، أما البصرة فقد ولى عليها (خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد)[157]، الذي فشل فشلاً ذريعاً في قتال الخوارج في البحرين والعراق، فبلغ ذلك الخليفة عبـد الملـك فوبخـه وعزلـه عن البصرة[158]. لذلك جمع الخليفة عبد الملـك العـراق لبـشر بـن مـروان فقـدم البصرة أواخر سنة (74 ه/ 693 م) وأستخلف على الكوفة (عمرو بن حريـث المخزومي)، فأقام بشر بالبصرة شهراً ثم مات[159].

---

(154) ابن سعد، الطبقات، م5، ص183؛ ابن خياط تاريخ، ج1، ص264؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص351. إلا أن الطبري ينفرد بجعل مقتل مصعب سنة (71هـ). تاريخ، ج5، ص11.

(155) المسعودي، مروج، ج3، ص117.

(156) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص265، 295؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص354؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص12 – 13.

(157) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص295؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص16، 23.

(158) البلاذري، أنساب ج4، ق2، ص159، الطبري، تاريخ، ج5، ص17 – 18، 20؛ ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص314؛ إلن الأثير، الكامل، ج4،ص345.

(159) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص268، 295؛ البلاذري، أنساب، ج4، ق2، ص159؛ ج5، ص178؛ ابن أعثم، الفتوح، ج6، ص313.

وقد ولى الخليفة عبد الملك على قضاء الكوفة حين دخوله اليها شريحاً(160)
أما على قضاء البصرة فقد ولى بشر (عبيد الله بن أبي بكرة)(161).

وولى بشر على شرطة الكوفة (عكرمة بن ربعى)(162).

ولم يتمكن بشر خلال فترة ولايته من القضاء على الخوارج حتى وفاته المفاجئة، فأزداد خطرهم على البصرة والكوفة(163). أن وفاة بشر المفاجئة، تركت منصب إدارة العراق المهمة شاغراً كما هربت أعداد كبيرة من الجند الذين كانوا يقاتلون الخوارج، وتقاعس الناس عن نصرة ولاتهم، فضلا عن ازدياد مشاعر العداء للأمويين، كل ذلك زاد الموقف حراجة، حتى كتب المهلب – الذي تولى حرب الازارقة – إلى عبد الملك ((انه ليس عندي رجال أقاتل بهم، فأما بعثت الي بالرجال، وأما خليت بينهم وبين البصرة))(164). كل ذلك جعل الخليفة عبد الملك يسند ولاية العراق إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ذي المقدرة العالية والكفاءة الإدارية الفذة، وهو الذي تمكن من قتل عبد الله بن الزبير، واستعادة

---

(160) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص298؛ وكيع، أخبار، ج2، ص397.
شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قضاء الكوفة كما ولاه الخليفة عبد الملك قضاء الكوفة ثانية، بعد القضاء على مصعب بن الزبير، وبقي في منصبه حتى سنة (78 هـ). ابن خياط، تاريخ، ج1، ص129، ص298؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص45؛ وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص189 – فما بعد.
(161) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص298؛ وكيع، أخبار، ج1، ص302.
(162) البلاذري، أنساب، ج5، ص177.
(163) ينظر الطبري، تاريخ، ج5، ص36 – 38؛ ابن اعثم، الفتوح، ج6، ص313 – 322.
(164) المسعودي، مرواج، ج3، ص133.

الآمن والاستقرار إلى الحجاز، فضلاً عن ضبط إدارته، فولاه العراق سنة (75ه/ 694م)[165]، فكان هذا التعيين بمثابة اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب[166].ثم أوصاه الخليفة بأن يطأ الكوفة وطأة يتضائل منه أهل البصرة، وبين له أن العراق ليس كالحجاز، وأن أهله ليسو كأولئك[167]. فدخل الكوفة، وخطب خطبة مليئة بالتهديد والوعيد، مبينا لهم الخطوط العامة لسياسته المبنية على القسوة والعنف التي سيتبعها معهم وبخاصة مع المتخلفين عن قتال الخوارج إذ توعدهم بالموت[168].

ووجه الحجاج (الحكم بن ايوب الثقفي) أميراً على البصرة، فلم يزل عليها حتى خروجه أثر دخول عبد الرحمن بن الأشعث سنة (82ه/ 701م)، إلا أنه عاد اليها ثانية بعد هزيمة ابن الأشعث[169]، وفي السنة نفسها أي سنة (75ه/ 694م) خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، وأستخلف على الكوفة (أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة)، وخطب في أهل البصرة خطبة تشبه خطبته في الكوفة[170]، وخلال وجود الحجاج في البصرة وقعت حركة (عبد الله بن

---

(165) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص296؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص40.

(166) فاروق عمر، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، دار واسط، مطبعة الدار العربية، ط2، (بغداد – 1985 م)، ص105.

(167) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص18.

(168) ينظر خطبة الحجاج مثلاً في: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص94 – 97؛ المبرد، الكامل، ج1، ص380 – 383؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص41 – 42؛ ابن اعثم، الفتوح، ج7، ص4 – 11.

(169) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص295؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص45.

(170) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص295؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص45 – 46؛ ابن الأثير، الكامل ج4، ص380.

الجارود) سيد قبيلة عبد القيس، لأن الحجاج أراد أن ينقص من أعطيات المقاتلة، الزيادة التي زادها مصعب بن الزبير، وأقرها بعده بشر بن مروان،... فتمكن الحجاج من القضاء على الحركة[171].

وكان الحجاج في إدارته للعراق، يقيم في الكوفة بعض السنة، وفي البصرة بعضها الأخر وهو الذي يُعيّن عُمالاً على الأقاليم والمدن لولايته في الغالب.

ويبدو أن الحجاج لم يكن يتعصب لأقربائه في تعيين العمال والولاة إذ أنه كان لا يعين على قرابة ولا دالة ولا وسيلة[172]، بل يعتمد في اختياره لهؤلاء على ثقته بهم، وما يتوسمه فيهم من مقدرة وكفاءة، وكان يراقب عماله وولاته ويتابع أعمالهم، فمثلاً حين عزل (الحكم بن أيوب الثقفي)، عامله على البصرة، بعض عماله، لأسباب غير مهمة، لم يرض الحجاج عن عمله هذا[173]، كما لم يُرضه تعيينه لإعرابي على أحدى المناطق فكتب اليه: ((وليت اعرابياً جلفاً جافياً))[174]. وكان يعاقب عماله المسيئين مهما كانت درجة قرابته منهم، فقد عاقب (مالك بن اسماء) على الرغم من أنه أخو زوجته[175].

أن شروط الحجاج في اختيار صاحب الشرطة، تلقي ضوءاً مهماً على سياسته في اختيار عماله، فأشترط أن يكون صاحب الشرطة هذا: ((دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الامانة، أعجف الخيانة، لا يحنق في الحق على

---

(171) الطبري، تاريخ، ج5، ص46؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص381 – فما بعد.
(172) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ص156؛ (جمع ونشر: حسن السندوبي).
(173) البلاذري، أنساب، ج11، ورقة (40 أ).
(174) المصدر نفسه، أنساب، ج11، ورقة (40 ب).
(175) الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص230 – 231.

حر أو حرة، يهون عليه سؤال الأشراف في الشفاعة))[176] فقيل له عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي، فقال له عبد الرحمن: ((لست أقبلها إلا أن تكفيني عمالك وولدك وحاشيتك، فنادى منادي الحجاج: من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة))[177]. وقد ولى الحجاج عبد الرحمن هذا على شرطة الكوفة، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى اليه بأحد[178]، فضم اليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة، فكان يستخلف نائباً عنه إذا خرج من أحد المصرين، حتى عزله الحجاج وولى (زياد بن جرير بن عبد الله البجلي)[179].

وعندما اتخذ الحجاج مدينة واسط مقراً لإدارته، جعل على شرطته أربعة من أهل الشام[180].

ويبدو أن معظم من اختير لهذه الوظيفة كانوا من رؤساء القبائل، كي يضمن السيطرة على هذه القبائل عن طريق هؤلاء الرؤساء، وبالتالي يتم حفظ الأمن والنظام.

ويبدو أن أعداد أفراد شرطة الحجاج لم يكن قليلاً، كما أن مهمتهم لم تقتصر على حفظ الأمن والنظام فحسب، بل كانت لهم مهمة القضاء على الاضطرابات الداخلية، إذ كان لهم أسهام مؤثر في القضاء على تمرد الزنج بقيادة (رياح) في البصرة سنة (75 هـ / 694 م)[181].

---

(176) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص19.

(177) المصدر نفسه، ج5، ص19.

(178)ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص19.

(179) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312.

(180) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312.

(181) ينظر البلاذري، أنساب، ص305. (أهلورت).

وكان للحجاج أيضاً حرس خاص يقوم بحراسته وحمايته، وعليهم رئيس هو (صاحب الحرس) يختاره الحجاج، وأشهرهم (سفيان بن الأبرد الكلبي) و (أبو السكن مولاه)[182].

أما القاضي، فكان هو أيضاً جزءاً مهماً من إدارة العراق، فكان في كل من الكوفة والبصرة، وواسط قاض ينظر في القضايا التي تعرض أمامه، محتفظاً بسجلات خاصة لتدوين القضايا، وغالباً ما يمارس عمله في المسجد[183].

وكان اختيار هؤلاء القضاة يتم، على أساس الكفاءة والنزاهة، دون النظر إلى الاعتبارات القبلية أو الإقليمية.

وكان ممن تولى قضاء الكوفة على عصر الحجاج، (شُريح) كما ذكرنا سابقاً، وظل في منصبه حتى استعفاه فأعفاه سنة (78 هـ / 697 م) فولى مكانه ((أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري))[184]، ثم أستعفاه، فأعفاه وولى مكانه (أبا بكر بن أبي موسى الأشعري)، فلم يزل حتى مات، فولي بدله ((عامر بن شراحيل الشعبي))[185].

أما في البصرة، فقد أقر الحجاج (عبيد الله بن أبي بكرة)، ثم ولى الحجاج بعده (هشام بن هبيرة الليثي) ثم ولي بعده ((عبد الرحمن بن إذينه العبدي))[186].

---

(182) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص312 – 313.

(183) وكيع، أخبار، ج2، ص316؛ وينظر الكندي، الولاة والقضاة، ص313.

(184) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص129، 298؛ وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص397.

(185) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص298؛ وكيع، أخبار القضاة، ج2، ص413.

(186) المصدر نفسه، ج1، ص298، وكيع، أخبار القضاة، ج1، ص304.

ومن جهة اخرى فقد وجه الخليفة عبد الملك اهتماماً متميزاً للقضاء على خطر الخوارج فتمكن بحماسة وشدة واليه الحجاج ويقظة قائده المهلب وعسكريته، وبمساعدة جند الشام من القضاء على كل الحركات الخارجية في الدولة الأموية، سواءً منها التي في المناطق الشرقية من العراق[187]، أو التي في شمال العراق وغربه في أرض الموصل والجزيرة[188]، فلم يعد يسمع بعد ذلك بخروجهم طوال عصر الخليفة عبد الملك بن مروان.

وفي سنة (78 هـ / 697 من)، قام الخليفة عبد الملك بن مروان، بتغير إداري كبير، وذلك عندما عزل، (أمية بن عبد الله) عن ولاية خراسان وسجستان، وضمهما إلى ولاية العراق للحجاج بن يوسف الثقفي[189]، فأصبح تحت إدارته فضلاً عن العراق، كل أقاليم المشرق الإسلامي والخليج العربي، يعين عليها الولاة في غالب الأحيان من قبله.

ويبدو أن الخليفة عبد الملك بن مروان بعد استقرار الدولة اتجه نحو اللامركزية الإدارية، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تخفيف أعباء أشرافه على الأقاليم البعيدة، ولتسهيل وصول الإمدادات بسرعة إلى المناطق البعيدة، ولسرعة البت في الأمور الإدارية، كما كان لثقة الخليفة بمقدرة الحجاج الإدارية، مع

---

(187) ينظر الطبري، تاريخ، ج5، ص120 – فما بعد؛ ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص7 – 45؛ معروف، د. نايف محمود، الخوارج في العصر الأموي، دار الطليعة، ط1، (بيروت – 1977م)، ص157 – 162.

(188) الطبري، تاريخ، ج5، ص93 – فما بعد، ص106 – فما بعد؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص425 – فما بعد؛ معروف، المصدر نفسه، ص162 – 170.

(189) الطبري، تاريخ، ج5، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص448.

صدق وشدة اخلاصه للبيت الأموي، فضلاً عن الظروف الداخلية التي تتعلق بهذه الولايات وولاتها، أثر واضح في هذا التغيير.

وفي سنة (81 هـ / 700م) وقعت تمرد ((عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث))[190] والذي كان في جوانب منه، نتائج لسياسة الحجاج بن يوسف الثقفي الشديدة[191]. وقد كشف هذا التمرد عن جوانب مهمة من سياسة الحجاج الإدارية وعلاقته بالخليفة. فقد كان الحجاج محاطاً بعدد من الرجال يستشيرهم في كثير من أموره، ومنها قتاله لابن الأشعث[192]، كما كان يعتمد على أهل الشام بشكل كبير ويقربهم فكان يقول فيهم: ((يا أهل الشام أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه،.... يا اهل الشام انتم العدة والعدد، والجُنة في الحرب، إن نحارب حاربتم، أو نجانب جانبتم))[193].

ولم يكن الحجاج بعيداً عن مراقبة الخليفة عبد الملك في هذا القتال، فحين بلغه إسرافه في القتل، والتبذير في الأموال، كتب إليه الخليفة: ((اما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء الدية، وفي العمد القَوَد، وفي الأموال ردها إلى مواضعها،.... وظن بأن أمير المؤمنين كل

---

(190) للتفصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص145 – فما بعد، ابن لأثير، الكمال، ج4؛ ص461 – فما بعده،

(191) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص86. ولهاوزن. تاريخ الدولة، ص224 – 226.

(192) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص34.

(193) المصدر نفسه، ج1، ص10؛ المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص140.

شيء إلا احتمالك على الخطأ))[194]. فأجاب الحجاج الخليفة بكتاب قال فيه: ((أما بعد... فلعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله، وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه))[195].

وهذه الرسالة تبين لنا ميزة أساسية من مميزات سياسة الحجاج، وهي التطرف في العقاب والثواب.

والحقيقة أن الحجاج لم يكن يرجع في كل أعماله إلى الخليفة عبد الملك، فقد سأل الخليفة بعد انتهاء فتنة ابن الأشعث عن (عمران بن عصام العنزي) فقيل له أن الحجاج قتله فقال الخليفة: ((قطع الله يد الحجاج))[196]، وهذا يدل أيضاً على سعة سلطان الحجاج.

وبعد انتهاء تمرد ابن الأشعث كتب الخليفة إلى الحجاج، في اخذ البيعة له من الناس قائلاً: ((أن أدعوا الناس إلى البيعة، فمن أقر بذنبه وندم على فعله فخل سبيله، إلا رجل خرج على أمير المؤمنين أو شتمه)) [197].

وعند ذلك أمر الخليفة عبد الملك الحجاج بإعطاء الناس عطائهم، فكتب اليه الحجاج: ((أنهم نكثوا العهد ونقضوا البيعة وفارقوا الجماعة، وطعنوا على الأئمة، فكتب اليه الخليفة: إنما تجب طاعتنا عليهم بأن نعطيهم حقوقهم))[198].

---

(194) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص141 – 142.

(195) المصدر نفسه، ج3، ص141 – 142.

(196) الأصبهاني، الأغاني، ج17، ص275.

(197) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص281؛ الابشيهي، المستطرف، ج1، ص52.

(198) البلاذري، انساب، ص193. (أهلورت).

وحين حاول الحجاج أن يأخذ فضول (فروق العملة) أموال السواد، كتب الخليفة إليه يمنعه من ذلك قائلاً له: ((لا تكن على درهمك المأخوذ احرص منك على درهمك المتروك وأبقِ لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً))[199].

ومن انجازات الحجاج العمرانية والإدارية المهمة، هو بنائه لمدينة واسط، أواخر سنة (82 هـ / 701 م)، والتي أصبحت مقراً لأمراء العراق، ومركزاً لإدارته وإدارة المشرق الإسلامي كله حتى نهاية الدولة الأموية[200].

وفضلاً عن تنظيمات الحجاج المختلفة والتي ذكرناها في الفصول السابقة، قام الحجاج بتنظيم إداري اقتصادي مهم وهو توحيد وإصلاح الموازين والمكاييل، إذ كان الناس قبل هذا الاصلاح ((لا يعرفون الوزن إنما يزنون بعضها ببعض، فلمّا وضع لهم سُمَير السنج كف بعضهم عن غبن بعض))[201]، كما كانوا يتعاملون بالعدد أيضاً فوضع سُمَير الأوزان، وزن (ألف وخمسمائة) و (ألف)، و(ثلاثمائة) إلى وزن ربع قيراط، فجعلها حديداً ونقشها[202].

كما أصلح الحجاج المكاييل أيضاً، ومنها الصاع، الذي كان يكال به أرزاق الناس الشهرية التي توزع عليهم[203]، وكان هذا الصاع زمن الخليفة عمر بن

---

(199) الماوردي، الأحكام، ص144.

(200) المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص79.

(201) العسكري، الأوائل، ص206؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص417.

(202) العسكري، الأوائل، ص206؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ج1، ص425، ج2،ص146.

(203) أبو عبيد، الأموال، ص314-316؛ البلاذري، فتوح، ص447.

الخطاب ﷺ، يزن (ثمانية) أرطال، ثم قام سعيد بن العاص[204]، بانقاصه، وجعله (خمسة أرطال وثلثاً)[205]، فأحدث عمله هذا تذمراً[206]. فلمّا جاء الحجاج بن يوسف الثقفي، اتخذ مكيالاً على صاع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، أي بوزن (ثمانية) أرطال وسمي بـ (الحجاجي)[207]، وأكد ذلك أحد الرواة بقوله: ((قدم علينا الحجاج من المدينة فقال اني اتخذت لكم مختوماً على صاع عمر بن الخطاب))[208].

ب: الولايات التابعة للعراق في شرق الجزيرة العربية:

كانت الاجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والمطلة على الخليج العربي، تابعة إدارياً في العصر الأموي إلى أمير العراق، وهو الذي يعين عليها ولاة، يتولون إدارتها، كما ذكرنا ذلك سابقاً، وأهم هذه الأقاليم هي: البحرين وعُمان.

---

(204) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، وكان يلي الكوفة (30-34هـ) للخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وكما ولي المدينة المنورة للخليفة معاوية بن أبي سفيان. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص74.

(205) الطبري، تاريخ، ج3، ص330-331؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص98-99.

(206) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص99.

(207) أبو عبيد، الأموال، ص622-623؛ ابن آدم، الخراج، ص137-138. وقد أيد ذلك الطبري بقوله: ((ان القفيز الحجاجي مثل الصاع الذي كان على عهد الرسول محمد ﷺ)). اختلاف الفقهاء، ص223.

(208) أبو عبيد، الأموال، ص622.

تشمل البحرين الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي، بين البصرة وعُمان فهو يشمل ما نعده اليوم، الكويت والاحساء وقطر وجزر البحرين الحالية، المعروفة قديما باسم (أوال) [209] ودولة الامارات العربية المتحدة.

شهدت البحرين خلال السنوات الأولى لخلافة عبدالملك بن مروان، نشاطاً واسعاً للحركة الخارجية المتمثلة بفرقة (النجدات) إذ تمكن نجدة الحنفي من اخضاع الاجزاء الشمالية من البحرين سنة (67هـ/ 686م)، ثم السيطرة بعد ذلك على البحرين كله[210]. وكان لظروف الدولة الداخلية غير المستقرة من جهة، وانقسام أهل البحرين على أنفسهم من جهة أخرى، فضلاً عن بُعد البحرين عن مركز الخلافة نسبياً، أكبر الأثر في سيطرة الخوارج عليها. ونتيجة لذلك فقد راسل الخليفة عبدالملك بن مروان نجدة الحنفي[211] متوخيا من وراء ذلك هدفين، الأول: هو محاولة كسب لنجدة إلى جانبه وضمان ولائه، أما الثاني، فهو محاولة احداث خلاف بين نجدة واتباعه[212]. وقد تحقق الهدف الثاني فعلاً[213].

(209) النجم، عبد الرحمن عبد الكريم، البحرين في صدر الإسلام واثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، مط. الجمهورية، (بغداد – 1973م)، ص17.

(210) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص201-202.

(211) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص205.

(212) دكسن، الخلافة الاموية، ص280.

(213) ابن الاثير، الكامل، ج4، ص205-206.

وفي سنة (73ه/ 692م) أرسل والي البصرة (خالد بن عبدالله) حملة عسكرية بقيادة أخيه (أمية بن عبدالله) إلى البحرين لقتال النجدات، ولكنها أخفقت أمام صمود الخوارج[214].

وأرسل الخليفة حملة جديدة قوية بقيادة (عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي) سنة (73ه) والتقى جيش الخلافة بابي فديك – الذي أعقب نجدة على زعامة النجدات- فتمكن جيش الخلافة من سحق فرقة النجدات بصورة كاملة[215]، فعادت البحرين إلى حضيرة الدولة الأموية.

ومما يلاحظ عن ولاة البحرين في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، ومنذ سنة (73ه)، أن عددهم كان كبيراً وأن فترة توليهم كانت قصيرة[216]، مما يعكس اضطراب أحوال هذه المنطقة، واستمرار حركات التمرد الخارجية فيها.

لقد هدأت الحركة الخارجية نسبياً بعد القضاء على النجدات سنة (73ه) إلا أنها عادت ثانية، وبخاصة بعد أن بدأت قبيلة عبد القيس تؤيد الحركة الخارجية منذ ان انتقلت من اليمامة حيث جعلت البحرين مقرها الجديد[217]. ففي سنة (78ه/ 697م) وفي ولاية (محمد بن صعصعة الكلابي)، ثار بنو محارب في البحرين، ولم يتمكن (محمد ابن صعصعة) من القضاء عليهم فانجده الخليفة بـ (إبراهيم بن عربي) والي اليمامة، فتمكن من هزيمة الخوارج[218].

---

(214) الطبري، تاريخ، ج5، ص20؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص345.
(215) الطبري، تاريخ، ج5، ص34؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص362.
(216) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299-300.
(217) فاروق، عمر، تاريخ الخليج العربي، ص109.
(218) البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (42 أ).

وفي سنة (79هـ/ 698م) تحرك الريان النكري ضد (محمد بن صعصعة) وانظم إليه متمرد خارجي اسمه (ميمون) جاء من عُمان، وفشل (محمد بن صعصعة) في القضاء على الخوارج، فهرب خارج البحرين بعد مقتل قائد جيشه[219]، لذلك اضطر الحجاج إلى إرسال (يزيد بن أبي كبشة السكسكي) على رأس جيش، تمكن من اخماد الحركة، ورجع إلى العراق[220]. فولى الحجاج (قطن بن زياد بن الربيع الحارثي)، الذي تحرك في عصره الخوارج بقيادة (داود بن عامر) فتمكن (قطن) من القضاء على الخوارج وقتل داود. وقد استمر قطن في ولايته على البحرين حتى وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان[221].

أما عُمان، فكانت قبل استرجاع عبد الملك للعراق، هي أيضاً هدفاً لفرقة النجدات الخارجية، فبعد نجاح الدعوة في البحرين، بعث نجدة جيشاً إلى عُمان بقيادة (عطية بن الأسود الحنفي)، الذي تمكن من قتل حاكمها (عباد بن عبدالله الجلندي)، واستولى على البلاد، ثم خرج منها، وعين نائباً عنه لإدارة عُمان، إلا أن سعيد وسليمان ابني عباد، تمكنا من قتل النائب الخارجي، وأعادا الأمر إلى آل الجلندي، وحاول عطية الحنفي العودة ثانية إلى عُمان، إلا أن مقاومة أهلها حالت دون ذلك[222].

وبعد سنة (73هـ/ 692م) ازدادت عناية الخليفة عبد الملك بن مروان بعُمان، وبخاصة بعد تعيين الحجاج أميراً على العراق، إذ بعث (طفيل بن حصين

---

(219) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276-277، 300؛ البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (42أ).

(220) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص278، 300؛ البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (42 أ).

(221) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص278، 300، 315.

(222) البلاذري، أنساب، ج6، ورقة (16 أ)؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص203.

البهراني) فتمكن من اخراج (سعيد وسليمان) ابني الجلندي، فكتب إليه الحجاج أن يستخلف ويرجع إلى العراق فاستخلف (حاجب بن شيبة) فمات الأخير بها، فتمكن آل الجلندي من السيطرة على عُمان ثانية. ثم أرسل الحجاج جيشاً كبيراً بقيادة (القاسم بن سعر السعدي) إلا أنه قتل وصلب من قبل آل الجلندي، فأرسل الحجاج أخو القاسم (مجاع ابن سعر السعدي) فتمكن من استعادة عُمان، وعاقب قتلة أخيه، ثم صرف الحجاج (مجاع) عن عُمان[223].

وفي سنة (79هـ/ 698م)، جمع الحجاج عُمان مع البحرين، وولى عليهما (محمد بن صعصعة الكلابي)، إلا أنه هرب أثر حركة (الريان النكري) ضده[224]، ثم بعث الحجاج بعد ذلك (سورة بن الحر) فتمكن من السيطرة على عُمان، فولاها الحجاج (سعيد بن حسان الاسيدي)[225].

ويبدو واضحاً في عُمان في عصر عبد الملك، ان قوة نفوذ آل الجلندي كانت كبيرة، لأنهم ينتمون إلى قبائل الأزد القوية المساندة لهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان قوة تأثير الإدارة الأموية المتمثلة بولاتها كان ضعيفاً وغير مستقر وبخاصة في النصف الأول من فترة خلافة عبد الملك بن مروان، ويعود ذلك لانشغال الدولة بامورها الداخلية والخارجية، وكذلك بُعد عُمان عن مركز الدولة الاموية. لكل ذلك فلم يكن الوالي الأموي يتمتع بنفوذ كبير في المناطق الداخلية خاصة حيث تتمركز القبائل القوية هناك، بل اقتصرت السلطة الحقيقية للولاة على المناطق الساحلية. ولكن يلاحظ ازدياد قوة تأثير الادارة الاموية بعد

---

(223) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص300؛ ابن حبيب، المحبر، ص484.

(224) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276-277، 299-300؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص127.

(225) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص300.

سنة (78هـ) في كل اقاليم الخليج العربي بسبب القضاء على حركات التمرد الخارجية في الدولة واستتباب أمر الدولة العربية الإسلامية.

ج: خراسان والمشرق الإسلامي:

بعد أن تمكن الخليفة عبدالملك من قتل مصعب واسترجاع العراق سنة (72هـ/ 691م) بدأ يخطط لاسترجاع خراسان أيضاً، فبدأ بالأساليب الدبلوماسية -كعادته مع كل منافسيه- فكتب إلى عبدالله بن خازم[226] ان لك خرسان سبع سنين على ان تبايع لي، فرفض عبدالله ذلك، مما دعا الخليفة أن يكتب إلى (بكير بن وشاح)، عامل ابن خازم على مرو بعصره على خراسان، ووعده ومناه، فخلع بكير بن خازم، وعبدالله بن الزبير، ودعا إلى عبد الملك، فأجابه أهل مرو، فترك ابن خازم خراسان، إلا أنه قُتل بعد ذلك. فولى الخليفة عبد الملك (بكير بن وشاح) على خراسان لسنتي، (73و74هـ/ 692- 693م)[227].

غير أن بكير في ولايته هذه لم ينجح في القضاء على الصراع القبلي وإيجاد التوازن بين القبائل، فقد حبس بكير (بحير بن ورقاء الصريمي)، فاختلفت تميم بينها، فصارت طائفة مع بكير وطائفة مع بحير[228]، لذلك خاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويغزوهم عدوهم من المشركين فكتبوا إلى الخليفة

---

(226) عبد الله بن خازم: يقال له صُحبة، كان شجاعاً، نزل خراسان، ووليها (عشر) سنين، وبعد سيطرة ابن الزبير على الحجاز، كتب إلى ابن خازم فأقره على خراسان، وبعد مقتل مصعب،= =بعث إليه عبد الملك يطلب منه بيعته، فرفض، ثم قتل بعد ذلك من قِبل وكيع بن الدورقية سنة (72هـ) ابن حجر، الاصابة، ج2، ص292-293.

(227) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص296-297؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص16-17؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص21، 38.

(228) الطبري، تاريخ، ج5، ص38-39؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص367.

عبد الملك ((أن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه)) [229]، فقال عبدالملك: ((خراسان ثغر المشرق وقد كان بها من الشر ما كان، لذلك فقد عزل الخليفة عبدالملك (بكير بن وشاح) وولى مكانه (أمية بن عبد الله) سنة74ه/ 693م)) [230]

ولمّا بلغ (بكير بن وشاح) قدوم أمية واليا على خراسان، صالح (بحير) وأخرجه من السجن. ونزل أمية في مدينة (مرو) وجعل (بكير) نائبه وجعل (بحير) على شرطته، ثم خرج مجاهداً الترك، وغَنِمَ أموالاً، ثم رجع، وكان بكير على مقدمة جيشه، فسبقه ودخل مرو وتحصن بها، ومنع أمية من دخول المدينة إلا أنهما تصالحا بعد أن أعطى أمية لبكير مبلغاً من المال وسوغه ما أخذه من أموال خراسان فدخل أمية مرو [231].

ولم يستطع أمية حل مشاكل خراسان الرئيسة، فقد استمر الصراع القبلي هناك، إذ أخبر صاحب الشرطة (بحير)، الوالي أمية، بأن بكير يريد الخروج عليه، فأرسل إليه أمية، وأقام البينة عليه بذلك، وسلمه إلى بحير فقتله، واستولى أمية على أمواله [232]، وبذلك عاد الصراع القبلي من جديد.

وكذلك فإن أمية لم يتمكن من تنفيذ سياسة الجهاد، فيذكر ابن اعثم أن أمية أحب الراحة والرفاهية وترك الغزو ولم يغزو أحداً، وأضر ذلك بأهل

(229) الطبري، تاريخ، ج5، ص3؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص367.
(230) الطبري، تاريخ، ج5، ص3؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص367.
(231) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص16-17؛ ابن اعثم، الفتوح، ج6، ص289-291.
(232) ابن اعثم، الفتوح، ج6، ص291-293؛ ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص40

خراسان فكتبوا إلى الخليفة عبد الملك يخبرونه بقعود أمية عن الجهاد[233]، كما كتبوا بمثل ذلك الى الحجاج ايضاً[234].

كما أن أمية كان مبذراً متلافا للأموال، فكان يقول: ((ان خراج خراسان لا يفي لمطبخي)) [235]، فضلا عن ان سياسته المالية كانت غير ناجحة[236]. لكل هذه الاسباب فقد عزل الخليفة عبدالملك أمية عن ولاية خراسان، وضمها مع سجستان وكل المشرق الإسلامي إلى ولاية العراق للحجاج بن يوسف سنة (78ه/ 697م) كما ذكرنا ذلك سابقاً، فولى الحجاج على خراسان (المهلب بن أبي صفرة)، سنة (79ه/ 698م)[237].

ويبدو أنّ نجاح الدولة في القضاء على كل منافسيها في الداخل، وَجّه الاهتمام نحو جهاد العدو في الثغور، فكانت خراسان بحاجة إلى رجل عسكري قوي كالمهلب، يمكن أن يحقق أهداف الدولة هناك، ومما يؤكد ذلك بقاء المهلب في ولايته حتى وفاته كما يمكن اعتبار هذا التعيين بمثابة تكريم لجهوده العسكرية.

---

(233) ابن اعثم، الفتوح، ج6، ص293.

(234) المصدر نفسه ج7، ص16.

(235) الطبري، تاريخ، ج5، ص132؛ الاصبهاني، الاغاني، ج4، ص281-282.

(236) البلاذري، أنساب، ص210-211 (اهلورت)؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص132.

(237) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ البلاذري، أنساب، ص210-211 (اهلورت)؛ اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص17، 21؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص135؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص448.

وفي ولاية المهلب هذه نشطت حركة الفتوحات، ففي سنة (80هـ/ 699م) عبر المهلب إلى ما وراء النهر فنزل على كش[238] وفتحها، ثم أرسل ابنه (يزيد) إلى قلعة السبل، وصالحه ملك الخُتل على فدية ورجع إلى المهلب[239]. كما وجه المهلب ابنه (حبيب) إلى بخارى وأخذ بعض القرى ورجع إلى ابيه[240]. ويبدو أن المهلب لم يكن راغباً في التقدم نحو السغد حيث طالت مدة اقامته في كش سنتين بعد أن صالح أهلها على فدية معينة، وظل هناك إلى أن وافاه الأجل سنة (82هـ/ 701م)، فخلفه ابنه (يزيد) بأمر من الحجاج وذلك سنة (83هـ/ 702م)[241]، وكان يزيد مسرفاً في الأموال مبذراً لها[242]، كما كان صلفاً تيها[243].

وتمكن يزيد هذا من فتح قلعة نيزك بباذغيس[244] وذلك سنة (84هـ/ 703م)[245]. وفي سنة (85هـ/ 704م) أمره الحجاج بفتح خوارزم، إلا أنه

---

(238)كش: قرية من قرى أصبهان، وتقع على ثلاثة فراسخ من جرجان. ياقوت، معجم، م4، ص462.

(239) الطبري، تاريخ، ج5، ص139-140؛ قدامة، الخراج، ص407؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص453.

(240) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص453.

(241) الطبري، تاريخ، ج5، ص139-140؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص473، 474-475.

(242) ينظر: الابشيهي، المستطرف، ج1، ص162، ج2، ص243.

(243) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص21.

(244)باذغيس: وهي من أعمال هراة ومرو الروذ، تشتمل على عدة قرى. ياقوت، معجم،م1، ص318

(245) الطبري، تاريخ، ج5، ص186؛ ابن الاثير، الكامل، ج4، ص498.

اعتذر عن ذلك قائلا: ((انها قليلة السلب شديدة الكلب)) [246]. مما أدى إلى غضب الحجاج، وربما خاف يزيد بعد ذلك عاقبة هذا، فكتب إلى الحجاج يستأذنه في فتح خوارزم، ففتحها على الرغم من عدم موافقة الحجاج[247].

ويبدو ان عدم تنفيذ يزيد بن المهلب لأوامر الحجاج، وسوء سياسته المالية، فضلاً عن ازدياد نفوذ آل المهلب في خراسان، كانت وراء عزل يزيد عن ولايته، فولى مكانه أخاه (المفضل) سنة (85هـ)، الذي تمكن من فتح (باذغيس) وأصاب منها مغنماً، ثم توجه إلى آخرون[248] وشومان[249] فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس، إذ لم يكن للمفضل بيت مال[250]. وظل المفضل يلي خراسان تسعة أشهر، حتى عزل وولي مكانه (قتيبة بن مسلم الباهلي)، فوصل إلى خراسان سنة (86هـ/ 705م) [251]، وهو القائد الشهير الذي سيكون له نصيب كبير في فتوح بلاد ما وراء النهر على عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك.

أما سجستان فقد ولّى عليها الخليفة عبد الملك (عبدالله بن علي بن عدي بن حارثة)، ثم عزله، وضمها مع خراسان إلى (أمية بن عبدالله) سنة

---

(246) الطبري، تاريخ، ج5، ص193.

(247) الطبري، تاريخ، ج5، ص193.

(248) آخرون: بلدة تقع في خراسان قرب باذغيس. البلاذري، فتوح، ص409.

(249) شومان: بلدة بالصغانيان، من وراء نهر جيحون، وهو من الثغور الإسلامية. ياقوت، معجم، م3، ص373، 374.

(250) الطبري، تاريخ، ج5، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص505.

(251) الطبري، تاريخ، ج5، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص505.

(74هـ/ 693م)، فولاها أمية ابنه (عبد الله) نحواً من ثلاث سنوات[252]. أي ان والي سجستان في هذه الفترة يُعين إما من الخليفة مباشرة أو من والي خراسان.

وقد بدأ (عبد الله بن أمية) ولايته بجهاده للترك، فكان (رتبيل) ملك كابل يخشى المسلمين فحاول مصالحتهم، بارساله الهدايا، فأبى عبد الله قبول ذلك، فخلى رتبيل البلاد لعبد الله، وذلك سنة (76هـ/ 695م)، حتى إذا أوغل أخذ عليه الشعاب والمضايق، مما اضطر عبد الله إلى مصالحته، بعد أن دفع لرتبيل (ثلاثمائة ألف درهم)، وتعهد له بعدم الهجوم على بلاده[253].

ويبدو أن فشل عبد الله بن أمية في جهاده ضد رتبيل، كان السبب في عزله فولى عبد الملك مكانه (محمد بن موسى بن طلحة) لكن قتله الخوارج بالاحواز قبل وصوله إلى سجستان، وذلك سنة (77هـ/ 696م)[254]. ثم ضم الخليفة عبد الملك خراسان وسجستان إلى الحجاج، فولى الحجاج على سجستان (عبيد الله بن أبي بكرة) وذلك سنة (78هـ/ 697م)[255]، وكان عبيد الله هذا مسرفاً في الأموال، لذلك كتب الخليفة عبد الملك إلى الحجاج: ((لا تستعمل عبيد الله بن أبي بكرة على الخراج والجباية فأنه أريحي))[256] (أي مسرف في البذل والعطاء) وهذا يعني أن الحجاج أصبح هو الذي يعين الولاة على الأقاليم

---

(252) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ البلاذري، فتوح، ص390.

(253) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص273؛ البلاذري، فتوح، ص390؛ قدامة، الخراج، ص396.

(254) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ أما الطبري فيجعل ذلك سنة (76 هـ). تاريخ، ج5، ص76.

(255) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص135.

(256) البلاذري، أنساب، ج1، ص499، 505.

التابعة لولايته كخراسان وسجستان في الغالب، وهي جزء من سياسة الخليفة عبد الملك في الاتجاه نحو اللامركزية الإدارية.

وعندما أمتنع (رتبيل) ملك الترك في سنة (79ه/ 698م) عن دفع مال الصلح إلى الحجاز أمر الحجاج وَالِيَهُ (عبيد الله بن أبي بكرة) بالتوجه لقتاله، إلا انه لم يوفق في حملته هذه، إذ استشهد عدد كبير من جيشه فمات عبيد الله كمدا، بعد أن استخلف ابنه (أبا برذعة). ثم أمر الحجاج الملهب أن يوجه رجلاً من قبله إلى سجستان فوجه، ((وكيع بن بكر بن وائل الأزدي))[257].

وكان لفشل (عبيد الله) في قتال الترك، وقعه الكبير في نفس الحجاج، فيقول الطبري: ((أن ذلك بلغ من الحجاج كل مبلغ))[258]، فكتب إلى الخليفة يستطلع رأيه في أن يجهز جيشا كبيرا، فإذن له فجهز الحجاج جيشا كبيرا بلغ أكثر من (أربعين) ألفا، وجعله تحت قيادة (عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث) الذي ولاه سجستان أيضاً سنة (80ه/ 699م). ودخل (ابن الأشعث) أراضي رتبيل وفتح أراضي واسعة لكنه أختلف مع الحجاج، وأعلن عصيانه وتمرده على الخليفة عبد الملك والحجاج، وأتجه نحو العراق، بعد أن استخلف على سجستان رجلاً من قبله[259].

---

(257) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص136 – 138؛ ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص112 – 114.

(258) تاريخ، ج5، ص138.

(259) ينظر: التفاصل في ابن خياط، تاريخ، ج1، ص279 – 289، 297؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص140 – 142، 145 – فما بعد، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص454 – 456، 461 – فما بعد.

تمكن الحجاج من هزيمة ابن الأشعث، فهرب إلى سجستان ومنها إلى رتبيل فمات هناك[260].

وبعد ذلك صالح الحجاج رتبيل، وولى على سجستان عدداً من الولاة، لا تذكر المصادر لهم أعمالاً إدارية مهمة[261]، ثم ضمها الحجاج بعد ذلك مع خراسان إلى (قتيبة ابن مسلم الباهلي)، فولى قتيبة عليها أخاهُ (عمرو بن مسلم) ثم ولى عليها بعده (عبدربه بن عبد الله بن عمر الليثي) فوليها سنة (86ه/ 705م) وبعض سنة(87ه/ 705م)[262].

اما السند ففي سنة (75ه/ 694م) استعمل الخليفة عبد الملك عليها (سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي)[263]، فخرج عليه (معاوية ومحمد) ابنا الحارث العلافيان فقتلاه، وغلباً على البلاد[264]، فولي الحجاج ((مجاعة بن سعر التميمي))[265]، فغلب على ذلك الثغر وفتح أماكن من قندابيل، ومات مجاعة بعد سنة من ذلك، ثم ولاها الحجاج (محمد بن هارون بن ذراع النميري) فلم يزل عليها حتى توفي الخليفة عبد الملك[266].

---

(260) ينظر مصادر الحاشية رقم (1).

(261) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص297 – 298.

(262) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص298؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص192.

(263) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276، 299؛ إلا أنه يذكر انه ولي سنة (78 هـ / 697م)، اليعقوبي. تاريخ، ج3، ص21؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص380.

(264) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص299؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص380.

(265) ابن خياط، تاريخ، ج1، 299؛ قدامة، الخراج، ص416؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص380.

(266) ابن خياط، تاريخ، ج1، 299؛ قدامة، الخاراج،ص416.

رابعا: إدارة الجزيرة الفراتية وأرمينيا واذربيجان:

تقع الجزيرة الفراتية بين نهري دجلة والفرات، وتشتمل على ديار ربيعة وديار مضر، وديار بكر، وتمتد على نهر الفرات من شمال ملطية بمسيرة يومين شمالاً إلى الأنبار جنوباً وعلى دجلة من تكريت جنوباً إلى شمال جزيرة ابن عمر شمالاً[267].

وتقع أرمينيا وأذربيجان إلى الشرق والشمال الشرقي للجزيرة الفراتية[268].

وتقسم أرمينية إلى قسمين، قسم داخلي هو (أرمينية الداخلة) وآخر خارجي هو (أرمينية الخارجة) وقصبة أرمينيا دبيل التي تقع في أرمينية الداخلة، وفي دبيل دار الإمارة، ومسجد جامع[269]. ومن مدن أرمينيا المهمة: شمشاط، وقاليقالا، وأرجيش، وباجنيس، والبسفرجان، وجرزان، والسيسجان[270].

وأما أذربيجان، فيحدها من الشمال والشمال الشرقي نهر الكر، ومن الشرق كيلان وموقان، ومن الجنوب إقليم الجبال[271]. وأهم مدن أذربيجان هي: تبريز والمراغة، وادربيل[272].

---

(267) الاصطخري، المسالك والممالك، ص52؛ ابن حوقل،صورة الأرض، ج1، ص208.

(268) لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص114.

(269) ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص342، 343.

(270) البلاذري، فتوح البلدان، ص197.

(271) لسترانج، بلدان، ص114 – 115.

(272) قدامة، الخراج، ص174، 378 – 381؛ لسترانج، بلدان، ص195 – فما بعد.

وكانت الموصل في خلافة عبد الملك بن مروان، أيضاً جزءاً من ولاية الجزيرة الفراتية[273]، وكانت شهرزور وحديثة من أعمال الموصل[274].

تُعد الجزيرة الفراتية، ذات اهمية متميزة بالنسبة للدولة الأموية، فهي تشكل موقعاً استراتيجياً في مواجهة أعداء الدولة الخارجيين من الخزر والبيزنطيين خاصة بأعتبارهم العدو الدائم، والخطر المستمر على الدولة فضلاً عن أن سواحل الدولة الطويلة كانت مكشوفة أمام الأسطول البيزنطي، وقرب العاصمة دمشق من الدولة البيزنطية. ومن جهة اخرى كانت تشكل حلقة الوصل بين شرق الدولة الإسلامية وغربها، وتقع على طريق التجارة الرئيس القديم، فضلاً عن أهمية الجزيرة الاقتصادية ذات الانتاج الوافر.

وقد ادرك الخليفة عبد الملك أهمية الجزيرة هذه فعمل جاهداً على تنظيمها لتقف بمواجهة الاعداء، فشجع استيطان العرب هناك وأقطعهم الأراضي[275]، فأمر بنقل بعض القبائل القيسية إلى هناك [276]، كما نقل بعضاً من قبائل الأزد وربيعة من البصرة إلى الموصل وحديثة[277]، كما نظم الإدارة فيها، إذ فصلها عن قنسرين وجعلها فضلاً عن أرمينيا وأذربيجان، إقليم إدارياً مستقلاً[278]. ولاهيمتها فقد عين على إدارتها أخاه (محمد بن مروان) سنة (73هـ / 692م)

---

(273) البلاذري، فتوح، ص327؛ قدامة، الخراج، ص282.

(274) البلاذري، فتوح، ص328، 329.

(275) البلاذري، فتوح، ص181 – 182؛ قدامة، الخراج، ص303 – 304، 307.

(276) E.i: vol.I (New edition). P.76.

(277) اليعقوبي، تاريخ، ج3، ص17؛ الحميري، الروض المعطار، ص190.

(278) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ البلاذري، فتوح، ص137 – 138؛ ياقوت، معجم، م1، ص103.

والذي يُعد من أقدر الولاة الأمويين، واوكل اليه مهمة مقاتلة الأعداء من البيزنطيين والخزر، والقيام بفتح المناطق المحادة للجزيرة[279]، لذلك قطع الخليفة ما كان يدفعه من أموال للبيزنطيين[280]. اما الخطوة التنظيمية الأخرى التي قام بها الخليفة هناك فكانت، اصلاح وتنظيم الضرائب، والذي كان في بعض جوانبه يهدف إلى أعادة تنظيم الإدارة المالية لتعزيز صمود الجزيرة الفراتية بوجه الأعداء[281].

وكانت هذه الولايات (الجزيرة، وأرمينيا، وأذربيجان) فضلاً عن الموصل غالباً ما تجمع تحت أمرة أمير واحد، ولا سيما في عصر عبد الملك بن مروان، إلا أن المصادر لا تزودنا بالمعلومات الوافية عن إدارة هذا الإقليم.

ويبدو أن محمد بن مروان، هو الذي كان يعين ولاة على أرمينيا[282]. أما الموصل فأن الخليفة عبد الملك بن مروان، هو الذي كان يعين ولاتها في الغالب[283].

وقد شهدت الأراضي الشمالية والشرقية لهذا الإقليم نشاطاً عسكرياً وعمرانياً واسعاً، تمثل في فتح العديد من المدن والحصون، وبناء وتعمير البعض

---

(279) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص301؛ البلاذري، أنساب، ج5، ص185 – 186؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص35؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص361، 363.

(280) ينظر الفصل الأول ((أسباب ضرب النقود)).

(281) ينظر الفصل الثاني ((الجزيرة الفراتية)).

(282) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص292.

(283) البلاذري، فتوح، ص328؛ أنساب، ص189. (أهلورت)، قدامة، الخراج، ص382.

الأخر.فقد بدأت الصوائف تخرج بشكل منتظم إلى الأراضي البيزنطية، بقيادة (محمد بن مروان) وغيره من الأمراء.

ففي سنة (75هـ/ 694م) توجه محمد بن مروان يقود جيش الصائفة لمواجهة الروم في مرعش فهربت الروم منه[284]. وفي سنة (77هـ/ 696م) قاد الخليفة عبد الملك ابن مروان الجيش بنفسه، وفتح مدينة هرقلة من بلاد الروم[285]. وفي سنة (81هـ/ 700م) وجه الخليفة عبد الملك جيشاً بقيادة ابنه عبد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقالا[286]، كما تمكن في سنة (82هـ/ 701م) من فتح حصن (سنان) من ناحية المصيصة[287]. وفي العام نفسه بعث الخليفة عبد الملك أخاه (محمد بن مروان) إلى أرمينية فلقيه أهلها فهزمهم ثم سألوه الصلح، فصالحهم وولى عليهم (نبيح بن عبد الله العنزي) فغدروا به وقتلوه[288]، وفي السنة التالية (83هـ/ 703م) بعث الخليفة أيضاً أخاه (محمد بن مروان) إلى أرمينية فصالحوه وأستعمل عليهم (أبا شيخ بن عبد الله الغنوي)، و (وعمرو بن الصدى الغنوي) فغدروا بهما وقتلوهما[289]. وفي سنة (84هـ/ 703م) توجه إلى الصائفة (عبد الله بن عبد الملك) ففتح (المصيصة) وبنى حصنها وأسكن بها (ثلثمائة)

---

(284) البلاذري، أنساب، ج5، ص185 – 186؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص40

(285) ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص310، ابن العماد، شذرات، ج1، ص84.

(286) الطبري، تاريخ، ج5، ص143؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص457.

(287) ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص185.

(288) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص288 – 289.

(289) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص290.

مقاتل، ولم يكن المسلمون قد سكنوها قبل ذلـك، كمـا بنـى مـسجدها[290]. وفي سنة (85هـ/ 704م) توجه (محمـد بـن مـروان) إلى أرمينيـة فـصاف بهـا وشـتى ورجع فولى عليها (عبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي)، فمـات عبـد الله هـذا، فولى محمد بن مروان مكانه أخاه (عبدالعزيز بن حاتم) الذي بنى، مدينة أردبيـل، وبرذعه، والنشوى[291].

ولّـى الخليفـة عبـد الملـك علـى الموصـل ((يوسـف بـن الحكـم بـن أبـي العاص))[292]. ثم ولاها ابنه (سعيد بن عبـد الملـك) وهـو الـذي حفـر النهـر، المسمى (نهر سعيد)، كما بني سور الموصل، وفرش بعض أرضها بالحجارة[293].

ومن الجدير بالملاحظة أن فتوحات العرب المسلمين في أطـراف الجزيـرة في هذه الحقبة كان يرافقها عمليات بناء للمدن والحصون، وإسكان الناس فيها، ممـا يدلل على اعتناء الخليفة بهذا الإقلـيم مـن جهـة، وأن العـرب المـسلمون كـانوا يهدفون إلى فتح البلاد وبنائها حضارياً، من جهة أخرى.

ومما يؤكد اهتمام الخليفة بهذا الإقليم وشؤونه، أنـه كـان يختـار أمـراءه، – حين يوجههم لقتال العدو – ممن يتصفون بالفطنـة والـذكاء، ومعرفـة الأوضـاع قبل التوجه إليها، كما يزوده بالتعليمات والوصايا التي يجب إتباعها، فقد أوصى أحد أمرائه قائلاً له: ((انـت تـاجر الله لعبـاده فكـن كالمـضارب الكـيّس... ولا

---

(290) البلاذري، فتوح، ص169؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص185؛ قدامة، الخراج، ص307.

(291) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص292؛ ابن قتيبة، المعارف، ص215؛ الذهبي، العبر، ج1، ص95.

(292) البلاذري، أنساب، ص189. (أهلورت).

(293) البلاذري، فتوح، ص327 – 328؛ قدامة، الخراج، ص382.

تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك))[294].

خامساً: إدارة مصر:

كانت مصر بعد تحريرها: مقسمة إدارياً إلى قسمين رئيسين هما: مصر العليا، ومصر السفلى، وكان هذان القسمان بدورهما يقسمان إلى أقسام أو كور[295]، وكان في مصر حينذاك (ثمانون) كورة، والكورة هي الأخرى مقسمة إلى قرى[296].

وعندما آلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان سنة (65ه/ 684م) أقر أخاه (عبد العزيز بن مروان) على ولاية مصر على صلاتها وخراجها، كما أقر (عابس بن سعيد المرادي) على الشرط والقضاء[297]. وقد أوصى الخليفة أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر بوصية تنم عن عقلية إدارية كبيرة، وسياسة حكيمة، مبيناً له الأسس الناجحة لإدارة ولايته وكيفية اختيار موظفيه، قائلاً له: ((أبسط بشرك وألف كنفك وآثر الرفق في الأمور فانه أبلغ بك، وأنظر حاجبك فليكن من خير أهلك... وإذا خرجت إلى مجلسك فأبدأ بالسلام... وإذا انتهى اليك

---

(294) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص109؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص132.

(295) الكورة: المدينة والصقع، والجمع كور، ابن منظور، لسان العرب، م5، ص156؛ حرف (الراء)، مادة (كور).

(296) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص152 – 153؛ سيدة، مصر في عصر الولاة، ص24.

(297) الكندي، ولاة مصر، ص70؛ الولاة والقضاة، ص48 – 49.

مشكل فأستظهر عليه بالمشاورة فأنها تفتح مغاليق الأمور، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته))[298].

وقد أعتمد عبد العزيز بن مروان، في إدارته لمصر، على عدد من الموظفين، ومنهم صاحب الشرطة، فكان يعين ويعزل من قبل عبد العزيز، وكثيراً ما كان صاحب الشُرَط في مصر يجمع له مع الشُرَط القضاء، وأحياناً وظائف أخرى[299]، أي أن هذه كانت أحدى الميزات الإدارية المهمة في مصر في عصر عبد الملك، وربما كان عبدالعزيز يفعل ذلك رغبة منه في تسهيل سير أعمال الإمارة وسرعة تنفيذ الأحكام. وكان عبد العزيز بن مروان حين خروجه من الفسطاط، يجعل صاحب الشرطة نائباً عنه، فيحكم الولاية بغيابه، وأكثر من هذا كان بإمكانه القيام بأعمال مهمة فحين وفد عبد العزيز إلى الشام على الخليفة أستخلف صاحب الشرطة (عابس بن سعيد المرادي) مكانه، ففرض عابس هذا الفرائض وزاد في عطاء الجند، فأقر عبد العزيز عند رجوعه هذه الزيادة، إذ قال له: ((ما كنا لنرد عليك شيئاً فعلته))[300].

وكذلك حين خرج عبد العزيز خرجته الثانية إلى الشام سنة (75ه/ 694م) استخلف على مصر، صاحب الشرطة ((زياد بن حناطة بن يوسف التجيبي))[301].

(298) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب، ص126.

(299) ينظر الكندي، الولاة والقضاة، ص313 – 327.

(300) الكندي، الولاة والقضاة، ص313؛ ولاة مصر، ص70 – 71.

(301) الكندي، الولاة والقضاة، ص51؛ ولاة مصر، ص73.

وبهذا يظهر لنا واضحاً الأهمية الكبيرة لصاحب الشرطة في مصر، إذ كان بمثابة نائب للأمير، وبخاصة حين يجمع له الشرط والقضاء.

وكان للقضاة نصيب مهم في إدارة مصر، إذ يتم تعيينهم وعزلهم من قبل الأمير وأول من تولى القضاء في ولاية عبد العزيز هو (عابس بن سعيد) وكان على الشُرط أيضاً، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة (68ه/ 687م)[302]، ثم ولي بعده (بشير بن النضر) حتى وفاته سنة (69ه/ 688م)[303]، وولي بعده (عبد الرحمن بن حجيرة) وهو اشهر من تولى قضاء مصر على عصر عبد العزيز، وكان من أفقه الناس، دَوَّنَ أقضيته في سجلات خاصة، وجمع له القضاء، والقصص وبيت المال وكان رزقه في السنة (ألف) دينار، وبقي في منصبه حتى وفاته سنة (83هـ/ 702م)[304]، ثم ولي بعده (مالك بن شراحيل الخولاني) ثم عزل سنة (84ه/ 703م) وولي مكانه (يونس بن عطية)[305]، ثم عزله عبد العزيز، وولى مكانه (عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج) وهو ((أول من نظر في أموال اليتامى وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيل، وكتب بذلك كتاباً))[306].

لقد أتخذ عبد العزيز حرساً خاصاً به يتكون من (ثلثمائة) رجل، وجعل عليه ((جناب بن مرثد بن هاني الرعيني))[307]، كما كان عبد العزيز هو المسؤول عن الجيش في مصر وشؤونه ويعين قادته، ويرسل الحملات، ثم أمتد

---

(302) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص233 – 234؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص313.
(303) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص235؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص313.
(304) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص235؛ الكندي، الولاة والقضاة، ص 314 – 317.
(305) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص236؛ الكندي، الولاة والقضاة، 320 – 324.
(306) الكندي، الولاة والقضاة، ص325.
(307) الكندي، ولاة مصر، ص71.

دور عبد العزيز العسكري إلى خارج مصر، حيث أسهم بشكل واضح في قتال عبد الله بن الزبير إذ ارسل سنة (72هـ / 691 م)، بعثاً في البحر يتكون من (ثلاثة آلاف) رجل، وجعل عليهم (مالك بن شراحيل الخولاني) وفيهم عبد الرحمن بن بحنس، قاتل عبد الله بن الزبير، لذلك فرض له عبد العزيز في الشرف(308). وكذلك كان عبد العزيز مسؤولاً عن مرابطة الجند في الأسكندرية، وهو الذي يعين القادة عليهم(309).

ولم تقتصر مسؤولية عبد العزيز الإدارية على مصر فقط، بل امتدت إلى أفريقية أيضاً، فهو المسؤول عن إدارة أفريقية، كما كان يعين عليها الولاة ويعزلهم في بعض الأحيان، كما فعل حين عزل حسان بن النعمان سنة (78 هـ / 697م) وولى مكانه ((موسى بن نصير))(310)، فأقر الخليفة هذا التعيين وكتب إلى عبد العزيز: ((أما بعد... وعلم الأمر الذي له عزلته... وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فأستوص بحسان خيراً فأنه ميمون الطائر والسلام))(311).

وهذا يعني ان صلاحيات عبد العزيز الإدارية كانت واسعة، فكان شبه مستقل في ولايته، وربما كان ذلك بسبب كون عبد العزيز هو أخو الخليفة، وولي عهده، كما كان عبد الملك يرغب في أبقاء حسن العلاقة مع أخيه، لأن مصر كانت مفتاح الطريق إلى أفريقية وما بعدها.

---

(308) الكندي، ولاة مصر، ص72.

(309) الكندي، ولاة مصر، ص72 – 73، ص74، 75.

(310) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276؛ الكندي، ولاة مصر، ص74.

(311) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص52 – 53.

وحين ولي عبد العزيز مصر، كان ((خراجها وجابيتها له))[312]، أي انه لم يكن يرسل شيئاً من خراج مصر إلى بيت المال في دمشق، بل كان يصرف أكثره على أمور الولاية، لذلك تمكن بالقيام بالعديد من الأعمال الإدارية والعمرانية المهمة، كما كان ينفق أموالاً طائلة لإطعام الناس، فكانت له: ((ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مئة جفنة يطاف بها على القبائل، تحمل على العجل إلى قبائل مصر))[313].

وقد بني الدار المذهبة سنة (67 هـ / 686 م) وهي التي تدعى بسوق الحمام وتقع غربي المسجد الجامع[314]، وبنى قنطرة على خليج أمير المؤمنين على نهر النيل، ويقال أنه أنفق على ذلك (مليون) دينار[315]، كما بنى مدينة حلوان واتخذها حاضرة لإمارته وذلك بعد حدوث الطاعون سنة (70 هـ / 689 م) فجعل بها الحرس والأعوان والشرط، كما بنى الدور والمساجد وأحكم المدن، وغرس أنواع الأشجار[316]. واعاد تعمير وبناء المسجد الجامع في مصر وذلك سنة (77 هـ / 696 م)[317]، لكل ذلك فقد عمرت مصر في ولاية عبد العزيز عمراناً كبيراً[318].

---

(312) الكندي، ولاة مصر، ص77.

(313) الكندي، ولاة مصر، ص73.

(314) المصدر نفسه، ص70؛ القلقشندي، صبح الأعشا، ج3، ص331؛ مآثر، ج1، ص130.

(315) ابن البطريق، التاريخ، ص40؛ القلقشندي، مآثر، ج1، ص130.

(316) الكندي، ولاة مصر، ص71؛ المقريزي، خطط، ج1، ص302؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص185.

(317) الكندي، ولاة مصر، ص73.

(318) كرد علي، الإسلام والحضارة، ص163.

وتوفي عبد العزيز في جمادي الأولى سنة (86هـ/ 705م)، فدامت ولايته أكثر من عشرين عاماً[319] فولى الخليفة عبد الملك على مصر ابنه (عبد الله) وجعله على صلاتها وخراجها ودخل مصر في جمادي الآخر سنة (86 هـ)[320].

وأوصى الخليفة عبد الملك ابنه أن يستبدل عمال عبد العزيز وأصحابه فأستبدل بهم آخرين، لموقف عبد العزيز من ولاية العهد[321]. وجعل على الشرط (عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة) وجمع له القضاء والشرط[322].

ومن الانجازات الكبيرة التي تمت في ولاية عبد الله على مصر هي تعريب دواوين الخراج فيها بأمر من الخليفة عبد الملك، إذ عزل (أثيناس) عن الديوان، وعين بدله عربي من أهل حمص وهو (ابن يربوع الفزاري) فعرب الأخير دواوين خراج مصر[323]. كما قام عبد الله ببناء المسجد المعروف بمسجد عبد الله[324].

---

(319) الكندي، ولاة مصر، ص77؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص302.

(320) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص122؛ الكندي، ولاة مصر، ص79؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص302.

(321) الكندي، ولاة مصر، ص79؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص302؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص210.

(322) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص237 – 238؛ الكندي، ولاة مصر، ص79.

(323) الكندي، ولاة مصر، ص80؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص98، 302؛ ابن تغردي بردي، النجوم، ج1، ص210.

(324) الكندي، ولاة مصر، ص80؛ ابن تغردي بردي، النجوم، ج1، ص210.

ويذكر الكندي بأن أوضاع مصر الاقتصادية في ولاية عبد الله لم تكن حسنة فيقول: ((وفي ولايته غلت الأسعار بمصر... فتشاءم الناس وهي أول شدة رأوها))[325].

وبعد اشهر من ولاية عبد الله توفي عبد الملك، فخلفه ابنه الوليد، فأقر أخوه عبد الله على ولاية مصر[326].

سادسا: ادارة افريقية:

كانت أوضاع افريقية الادارية والسياسية، قبل تولي عبد الملك الخلافة، مضطربة نتيجة عدم استقرار الاحوال السياسية في الحجاز والعراق خاصة، فارتد عن الإسلام قسم من البربر في أفريقية[327]، كما تمكن كُسيلَه ومن معه من البربر والروم من دخول القيروان، فسيطر كسيله على شمال أفريقية[328].

لذلك فقد اجتمع أكابر المسلمين، وسألوا الخليفة عبد الملك تخليص القيروان والمسلمين من يد كسيلة والروم، واتفق رأيهم على تولية (زهير بن قيس البلوي)، (62-69هـ/ 681-688م)، الذي كان آنذاك مقيماً ببرقة مرابطاً مع أهل أفريقية[329]. فأمر عبد الملك زهيراً بالخروج سنة (69هـ) إلى أفريقية، لينقذ القيروان، وامده بأشراف العرب وافرغ عليهم أموال مصر، فتمكن زهير

---

(325) الكندي، ولاة مصر، ص80، المقريزي، الخطط، ج1، ص302؛ ابن تغردي بردي، النجوم، ج1، ص210.

(326) الكندي، ولاة مصر، ص80.

(327) الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص75.

(328) القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص46.

(329)القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص47؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص18-19.

من قتل كسيله، ودخول القيروان، ثم تركها بعد تنظيم إدارتها، لكن زهيراً استشهد في السنة نفسها (69ه)، أثناء عودته إلى برقة[330]، فأهم ذلك الخليفة عبد الملك والمسلمين، كما شغل عن أفريقية أيضاً بسبب ظروف الدولة الداخلية، فاضطرب أمر أفريقية واشتعلت الفتن وظهرت الكاهنة[331].

وبعد عام الجماعة (73ه/ 692م)، تفرغ الخليفة عبد الملك لأمر أفريقية، فطلب المسلمون منه النظر فيمن يرسله لها، فقال لهم: ((ما أعرف أحداً كفوءاً لأفريقية كحسان بن النعمان الغساني))[332]، فعقد له على أفريقية وجهزه بجيش قوامه (اربعون) ألف مقاتل، لم يدخل أفريقية جيش مثله، وأمره بالنهوض إلى أفريقية قائلاً له: ((اني أطلقت يدك في أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك، واعط الناس واخرج إلى بلاد أفريقية على بركة الله))[333]، وتمكن حسان من دخول قرطاجنة وتدميرها، وطارد الروم في صطفورة وبنزرت وهزمهم فعاد إلى القيروان، ((ثم التقى بالكاهنة فخسر النزال معها، فسيطرت على كل أفريقية، وأساءت السيرة مع أهلها، فكتب الخليفة لحسان بالمقام حيث يأتيه أمره

---

(330) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص201-203؛ المالكي، رياض النفوس، ص29-30؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص57-58؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص81-83.

(331) المالكي، رياض النفوس، ص29-30 ؛ القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص47-53؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص21.

(332) القيرواني، تاريخ أفريقية، ص54؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص22.

(333) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص369؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص332؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص22.

فأقام ببرقة (خمس سنوات)، وبنى فيها القصور المعروفة باسم (قصور حسان))[334].

وبعد أن فرغ عبد الملك من أمر الخوارج سنة (78هـ/ 697م)، سيرّ الجنود والأموال إلى حسان فأمره بقتال الكاهنة، وتمكن من تحرير مدن: قابس، وقفصة، وقسيطلة، ونفزاوة، ثم قتل الكاهنة، فحرر شمال أفريقية كلها، وعمل جاهداً على نشر الإسلام فيها[335]، كما دوّن الدواوين، ونظم الضرائب على أهل البلاد، وبنى مدينة تونس، وأسس فيها المسجد الجامع، ودار الامارة، وثكنات للجند[336]. كما أنشأ بتوجيه من الخليفة عبد الملك أول دار لصناعة السفن والآلات البحرية في الإسلام، في مدينة تونس[337].

ويقول خليفة بن خياط: ((وفي سنة (78هـ/ 697م) قفل حسان بن النعمان الغساني وقدم على عبد الملك فردّه إلى أفريقية وزاده طرابلس))[338]، فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لطرابلس فأبى حسان ذلك، فعزله عبد العزيز،

---

(334) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص370؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص332؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص26.

(335) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص370-372.

(336) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص201؛ المالكي، رياض النفوس، ص36؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص83-84؛ القيرواني، تاريخ أفريقية، ص64.

(337) المالكي، رياض النفوس، ص32؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص83-84.

(338) تاريخ، ج1، ص276؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص57.

وولى بدله (موسى بن نصير)، مولى لخم آمر أفريقية كلها[339]. فأقر الخليفة عبد الملك هذا التعيين[340].

ويبدو ان اضافة طرابلس لولاية حسان، كان بمثابة تكريم من الخليفة لجهود حسان وانتصاراته العسكرية في تحرير شمال أفريقية وقتل الكاهنة. كما كان سبب سؤال عبد العزيز لحسان ان لا يعرض لطرابلس، لأنه كان عليها مولى لعبد العزيز بن مروان[341].

ويستنتج من هذا عظم مكانة عبد العزيز، وقوة نفوذه وتأثيره في أفريقية.

وعمل موسى بن نصير في ولايته على أفريقية باتجاهين الأول تحرير الأراضي هناك، والثاني العمل على نشر الدين الإسلامي بين السكان. فقد بدأ موسى جهوده العسكرية بتحرير مدينة (زغوان) ونواحيها، فكتب بذلك إلى عبد العزيز بن مروان فكتب عبد العزيز بدوره إلى الخليفة عبد الملك واجابه الخليفة، ثم أرسل من يتسلم الغنائم[342]. كما تمكن موسى من تحرير (هوارة) و (رناتة) و(كتامة) و(صهناجة)[343]، فسكّن ذلك من عبد الملك بعض ما كان يجده على موسى[344]. ثم كرّم الخليفة موسى لجهود العسكرية في التحرير، فكتب إليه يعلمه أنه قد فرض لجميع أولاده فيء (مائة) دينار، كما زاد عطاء موسى نفسه

---

(339) الكندي، ولاة مصر، ص74.

(340) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص276؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص52-53.

(341) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص49.

(342) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص32.

(343) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص203-204؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص52-54؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص34.

(344) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص203-204.

إلى المتين، وفرض في مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه (خمسمائة) رجل، ثلاثين، ثلاثين، وكتب إليه ان أمير المؤمنين أمر لك بـ (المائة ألف) التي أغرمها[345] لك فخذها من قبلك من الأخماس[346].

أما الاتجاه الثاني الذي عمل فيه موسى بن نصير والذي لم يكن أقل شأناً من التحرير، بل استكمالا للهدف، فهو نشر الإسلام بين السكان وتعميق جذوره فيهم عن طريق تعليمهم القرآن وفرائض الإسلام حيث ((ترك خلقاً كثيراً من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الإسلام))[347]، فنجح في جلبهم إلى حظيرة الإسلام والدولة العربية. وظل موسى بن نصير على ولاية أفريقية إلى ما بعد وفاة عبد الملك، فاستخلف ابنه الوليد، فأقر موسى على ولاية أفريقية[348].

---

(345) كان الخليفة عبد الملك قد جعل موسى بن نصير، معاوناً ومستشاراً لبشر بن مروان حين ولاه العراق، ثم اتهمه بعد ذلك باختلاس أموال البصرة، لذلك فقد أغرمه الخليفة (100) ألف درهم. ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص48-49.

(346) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج2، ص56.

(347) ابن خلكان، وفيات، ج4، ص403.

(348) ابن خياط، تاريخ، ج1، ص316.

الخاتمة

تناول هذا الكتاب ((الدولة العربية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 684-705م) وهو دراسة في الاصلاحات المالية والتنظيمات الإدارية))، ذلك العصر الذي يُعد من العصور التاريخية المتميزة لِما تحقق فيه من انجازات كبرى ضمن حركة التاريخ العربي الاسلامي ذات نتائج كبيرة لا زالت مؤثرة وفاعلة إلى اليوم، بذلت جهدي في تبيانها، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

1. لقد نجح الخليفة عبد الملك بن مروان، في إصلاح وتعريب النقود. وبذلك قضى على طريقة التعامل بالنقود الأجنبية، وأوجد نظاماً نقدياً عربياً إسلاميا خالصاً، وخاليا من المؤثرات الأجنبية، فحقق بذلك السيادة الاقتصادية والسياسية للدولة العربية الإسلامية.

2. إنَّ عملية إصلاح وتنظيم الضرائب (الجزية والخراج)، كان الهدف الأساس منه هو معالجة النقص في مالية الدولة، نتيجة حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق، وظهور مستجدات سياسية مؤثرة، إلا أنه خلال عملية الإصلاح والتنظيم هذه، حصلت أخطاء، وبخاصة في خراسان والعراق، قبل ولاية الحجاج وأثناءها، إذ فرضت الجزية على بعض المسلمين الجدد المهاجرين إلى المدن والأمصار، ولكن هذه الحالات كانت استثنائية، لا قواعد عامة وسياسة متبعة، كما كان للدهاقين دور كبير فيها، فضلاً عن أن بعضها جاء ضمن خطة الدولة لتنفيذ إصلاح زراعي واسع، مثلما حاولت الدولة إعادة فرض ضريبة الخراج على الأراضي التي كانت في الأصل خراجية وحُولت إلى عشرية بغض النظر عن مالكها، أي أن سياسة الدولة لم تكن موجهة ضد الموالي وأهل الذمة، بل كانت سياسة عامة، الهدف منها

زيادة موارد بيت المال لدولة بناء وحرب. كما رافق هذا الإصلاح والتنظيم، إصلاح زراعي واسع، وبخاصة في العراق والجزيرة الفراتية ونواحي الموصل، تمثل في حفر العديد من الأنهار وشق القنوات والترع وإقامة السدود والجسور والخزانات، وتسليف الفلاحين الأموال، بدون فائدة.

3. حصول حركة تنظيم وتطوير شاملة وعميقة لجميع الدواوين والمؤسسات الإدارية في الدولة، فتم تدوين (إحصاء الناس) في أقاليم الدولة، مثل مصر والجزيرة الفراتية، والعراق وغيرها، كما تعددت الدواوين وتطورت وازداد التخصص فيها، فازدهرت دواوين الرسائل والكتابة، والخاتم، والبريد، والطراز، فزادت الأمور استقراراً والأعمال تسلسلاً والعمال رغبة ورهبة، والرعايا أمناً ودعة، لذلك أصبحت هذه المؤسسات أداة فعالة في إدارة شؤون الدولة. واعتنى الخليفة بشكل كبير بالبريد، حيث مهدّ ونظّم شبكة واسعة من الطرق تربط العاصمة بأقاليم الدولة المختلفة، كما نجح في استخدامه في مجالات متعددة وخاصة في الجوانب العسكرية، فضلاً عن استخدامه وسائل اتصال جديدة، عن طريق بناء المناظر. واعتنى الخليفة أيضاً بالحجابة والحاجب الذي كثرت مهامه وازدادت أهميته، كما نظم مجلسه، ورتب الداخلين عليه وصنفهم.

4. وقد أولى الخليفة عبد الملك القضاء عناية خاصة، فلم يكن يتدخل في أحكام القضاة، أو يحاول نقضها. كما كان له إسهامات رائدة في القضاء، فهو أول من أفرد يوماً للنظر في المظالم، يتصفح فيه قصص المتظلمين، ولدينا ما يشير إلى أن الخليفة عبدالملك، يُعد مؤسس ديوان النظر في المظالم. كما كان أول من نظر في الدور وجعلها ميراثاً. وفي عهده أصبحت عهود القضاة –ولأول مرة– تقرأ في المسجد الجامع أولاً ثم تقرأ أمام الوالي بعد ذلك، وصار في

عهده –ولأول مرة أيضاً – ينظر في أموال اليتامى في مصر خاصة. وأصبحت عهود القضاة تدون في سجلات خاصة. ولمهـور النسـاء خـصوصيتها أيـضاً، لأول مرة يقوم الخليفة عبد الملك بتحديدها حيث جعلـها (400) أربعمائـة دينار حداً أعلى، إقتداءً بما فعله رسول الله ﷺ.

5. اعتنى الخليفة عبد الملك بالطراز كثيراً، فهو أول من عرّبه، كما طوّر صـناعته ونظمها، وجعله تحت سيطرة الدولة، وربما كان هو المؤسس لديوان الطـراز، الذي بدء ينتج في عصره، مختلف المنتوجات المحلاة بعبارات إسلامية مكتوبـة باللغة العربية.

6. إن الميزة الكبرى لعصر الخليفة عبد الملك بن مروان، هي أنه عـصر تعريـب، إذ قاد الخليفة بنفسه حركة التعريب الكبرى، التي شملت تعريـب الـدواوين (الخراج) والنقود، والطراز، والوثائق الرسمية، ثـم الكتـب الدينيـة في مـصر خاصة.

ويمكن القـول إن التعريـب كـان أول عمليـة ترجمـة منظمـة وجبـارة إذ كـان ضرورة عملية لتأكيد كيان الدولة وصبغها بالصبغة العربية، وعاملاً أساساً في توحيد ثقافته ونشرها، لذلك كانت هذه الحركة، مرحلة حاسمة مـن مراحـل التطور الإداري والثقافي والسياسي والاقتصادي للدولة، ونتيجـة ذلـك فقـد تحققت سيادة اللغة العربية وتعززت مكانتها، إذ أصبحت لغة الإدارة، فضلاً عن كونها لغة السياسة والـدين والعلـم. كمـا أن أجـزاءً كـبيرة مـن الدولـة احتفظت بعروبتها إلى يومنا هذا. ومن جهة أخـرى أدى إلى ظهـور فئـة مـن الكُتاب والمثقفين العرب، أسهموا بشكل فاعل في تنشيط حركة الترجمة، ومن ثم بناء أسس حضارة عربية إنسانية راقية.

7. لقد اتبع الخليفة عبد الملك في إدارته للدولة سياسة ناجحة، إذ تمكن من الإبقاء على علاقات حسنة مع معظم الأطراف المختلفة من علويين وعباسيين، كما تمكن من تحقيق التوازن القبلي، لذلك خلا عصره – على وجه الخصوص – بعد سنة (78ه/ 697م) من أية حركة أو تمرد داخلي، عدا تمرد ابن الأشعث.

أما عماله فكان جلهم من أسرته إلا أنه كان يراقبهم مراقبة شديدة، وكان مستعداً باستمرار لإقالة أي عامل قصّر في عمله.

ومن جهة أخرى أعاد الخليفة عبد الملك، النظر في ترتيب بعض أقاليم الدولة، مستهدفاً تنظيمها بالدرجة الأولى، فقد فصل الجزيرة الفراتية، وجعلها فضلاً عن أرمينيا وأذربيجان إقليما إدارياً مستقلاً، كما فصل اليمن عن الحجاز وجعله ولاية مستقلة قائمة بذاتها.

وفي هذه الفترة اتجه الخليفة عبد الملك بشكل واضح نحو اللامركزية الإدارية، إذ أعطى ولاته قسطاً لا بأس به من الاستقلالية الإدارية، لكي يخفف من أعباء إشرافه على الأقاليم البعيدة، وليسهل مهمة البت في الأمور الإدارية وبخاصة الثانوية منها.

وبذلك يمكن القول أن الخليفة عبد الملك بن مروان، سار في سياسته المالية والإدارية على الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، مع تعديلات اقتضتها عوامل التطور والتغير، وظروف الدولة، وليس كما صوّرها المستشرقون بأنها سياسة يراد بها إرهاق الموالي وأهل الذمة، وهي في عمومها، السياسة التي سار عليها العباسيون فيما بعد.

لكل ذلك يمكن القول أن الخليفة عبـد الملـك بـن مـروان، يُعـد المؤسـس الحقيقي للنظام الإداري والسياسي للدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المخطوطات:

* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت279ه/ 892م).

1- أنساب الأشراف، (11) جزء، نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (1634 -1644) عن النسخة الأصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط رقم (68).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت597ه/ 1200م).

2- المنتظيم في تاريخ الامم والملوك، (12) جزء، رقيقة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، (ج6) تحت رقم (1128). عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول.

* ابن حمدون، محمد بن الحسن بن حمدون (ت562ه/ 1166م).

3- التذكرة الحمدونية، ج12، نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (1282)، عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث باسطنبول.

* الدويهي، اسطيفانوس يوسف بن صالح (ت1171ه/ 1758م).

4- تاريخ المسلمين، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (13).

* السنامي، عمر بن محمد بن عوض.

5- نصاب الاحتساب، مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (5789).

* ابن طلحة، محمد بن طلحة القرشي (ت652هـ/ 1254م).

6- العقد الفريد للملك السعيد، مخطوطة مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (639).

* الغساني، أبو العباس اسماعيل بن العباس (ت803هـ/ 1400م).

7- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك وطبقات الخلفاء والملوك، نسخة مصورة بالفوتستات، محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، برقم (35)، عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية برقم (2189).

* ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ/ 819م).

8- المثالب، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة بغداد، تحت رقم (205).

* مؤلف مجهول، (من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

9- غرر السير، نسخة مصورة عن أصل مخطوطة مكتبة البودليان في أكسفورد، تحت رقم (1787)، نسخة الدكتور عبدالأمير دكسن.

* مؤلف مجهول، (من القرن الثالث الهجري).

10- رسالة في الأموال، مخطوطة في مكتبة وزارة الأوقاف العراقية، تحت رقم (2/ 13754).

ثانيا: المطبوعات:

1ـ المصادر العربية الأولية:

* ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت658ه/ 1260م).

11- اعتاب الكتاب، تح، د. صالح الاشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (دمشق – 1961م).

12- الحلة السيراء، (جزءان)، تح، حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1963م).

* الأبشيهي، الشيخ شهاب الدين محمد بن احمد (ت850ه/ 1446م).

13- المستطرف في كل فن مستظرف، (جزءان)، مطبعة الاستقامة، (مصر- 1379ه).

* ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت630ه/ 1232م).

14- الكامل في التاريخ، (12) جزء، دار صادر – دار بيروت، (1965- 1966م).

* ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد (ت606ه/ 1209م).

15- النهاية في غريب الحديث، (5) أجزاء، تح، طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط1، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة – 1963م).

* ابن الاخوة، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت729ه/ 1329م).

16- معالم القربة في احكام الحسبة، نشره، روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، (كيمبرج – 1937م).

* ابن آدم، يحيى بن آدم القرشي (ت203ه/ 818م).

17- الخراج، تصحيح وشرح، أحمد محمد شاكر، ط2، المطبعة السلفية، (القاهرة – 1384ه).

* الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت233ه/ 847م).

18- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط، (بيروت – 1964م).

* ابن الازرق، أبو عبدالله (ت896ه).

19- بدائع السلك في طبائع الملك، (جزءان)، تح، د. سامي علي النشار، منشورات وزارة الاعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، (بغداد – 1977م).

* الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356ه/ 966م).

20- الأغاني، (24) جزء، ج1-ج16، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مطابع كوستا توماس، (القاهرة – 1963م). والأجزاء الباقية نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة – 1970-1973م).

* الاصطخري، أبو اسحق ابراهيم بن محمد (ت346ه/ 957م).

21- المسالك والممالك، تح، محمد جابر، ومحمد شفيق، (القاهرة-1961م).

* ابن ابي اصيبعة، أحمد بن القاسم، (ت668ه/ 1269م).

22- عيون الأنباء في طبقات الاطباء، دار الفكر، (بيروت – 1957م).

* ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت314ه/ 926م).

23- الفتوح، (8) أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعـارف، (حيـدر آبـاد – الهنـد- 1392هـ/ 1972م).

* ابن البطريق، سعيد، (ت، القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي).

24- التـاريخ المجمـوع علـى التحقيـق والتـصديق، مطبعـة الآبـاء اليـسوعيين، (بيروت – 1909م).

* ابن بعرة، منصور الذهبي الكاملي، (ت635هـ/ 1237م).

25- كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تح، د. عبـدالرحمن فهمـي، لجنة احياء التراث الاسلامي، (القاهرة – 1966م).

* ابن بكار، الزبير بن عبدالله بن مصعب بن ثابت، (ت256هـ/ 869م).

26- الاخبار الموفقيات، تح، د. سامي مكي العاني، مطبعـة العـاني، (بغـداد- 1972م).

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت279هـ/ 892م).

27- أنساب الاشراف:

ج1، تح، محمد حميد الله، دار المعارف، (مصر-1959م).

ج4، طبـع باشـراف (Max Schlossinger)، مطبعـة الجامعـة، (القدس-1938م)

ج5،طبع باشراف (S.D.F. Goiten)، مطبعة الجامعة،(القدس-1936م).

ج11، طبع باشراف(W.Ahaiwardt)، (غريفزولد- 1883م).

28- فتوح البلدان، باعتناء، رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية بالازهر، (مصر – 1932م).

* البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد، (ت430ه/ 1048م).

29- الجماهر في معرفة الجواهر، ط1، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد – الدكن – 1355ه).

30- الصيدنة، تح، الحكيم محمد سعيد، و د. رانا احسان إلي، مؤسسة همدد الوطنية، (باكستان- 1973م).

* البيهقي، ابراهيم بن محمد، (ت470ه/ 1077م).

31- المحاسن والمساوئ، دار صادر، دار بيروت، (1960م).

* ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي، (ت874ه/ 1469م).

32- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (12) جزء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة – 1963م).

* التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد بن العباس، (ت414ه/ 1023م).

33- الامتاع والمؤانسة، تح، أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت – د.ت).

* الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت429ه/ 1037م).

34- خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، (بيروت-1966م).

35- لطائف المعارف، تح، إبراهيم الابياري، وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة – 1960م).

* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255ه/ 869م).

36- البيان والتبيين، (4) أجزاء، تح، حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة-1947م).

37- التاج في أخلاق الملوك، تح، أحمد زكي باشا، ط1، المطبعة الأميرية، (القاهرة – 1914م).

38- رسائل الجاحظ، جمع ونشر، حسن السندوبي، (مصر – 1933م).

39- رسائل الجاحظ، جمع وشرح، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة – 1964م).

* الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس، (ت331ه/ 942م).

40- الوزراء والكتاب، تح، مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة – 1938م).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، (ت597ه/ 1200م).

41- صفة الصفوة، (4) أجزاء، تح، محمود فاخوري، مطبعة الأصيل، (حلب- 1969م).

* الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت393ه/ 1003م).

42- الصحاح، تح، أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، (القاهرة- 1956م).

* حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، (ت1067ه/ 1656م).

43- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط3، المطبعة الاسلامية، (طهران-1387ه).

* ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، (ت245ه/ 859م).

44-المحبر، باعتناء، د. ايلزة ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد- الدكن – 1942م).

45- المنمق في أخبار قريش، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد- الدكن – 1964م).

* ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت852ه/ 1448م).

46- الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة مصطفى محمد، (مصر–1358ه/ 1939م).

47- تهذيب التهذيب، (12) جزء، دائرة المعارف النظامية، (حيدر آباد- الدكن – 1326 / 1327ه).

* ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد، (ت656ه/ 1258م).

48-شرح نهج البلاغة، (20) جزء، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة – 1967م).

* ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد، (ت456ه/ 1063م).

49- جمهرة أنساب العرب، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر- 1948م).

50- جوامع السيرة، تح، احسان عباس، وناصر الدين الأسد، (مصر-د.ت).

* الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، (ت749ه).

51- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح، حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد-1960م).

* الحميري، محمد بن عبدالمنعم، (ت900ه).

52- الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، د. احسان عباس، ط2، (بيروت-1984م).

* الحنبلي، أبو اليمن عبدالرحمن، (927ه).

53- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، (جزءان)، المطبعة الحيدرية، (النجف-1968م).

* ابن حوقل، ابو القاسم بن حوقل النصيبي، (ت367ه/ 979م).

54- صورة الأرض، (جزءان)، ط2، (ليدن - 1938-1939م).

* ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله بن عبدالله، (ت نحو 300ه/ 912م).

55- المسالك والممالك، (بريل-1889م)، اعادت طبعه مكتبة المثنى في بغداد.

* الخطيب البغدادي، الحافظ ابو بكر أحمد بن علي، (ت463ه/ 1070م).

56- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (14) جزء، دار الكتاب العربي، (بيروت-د.ت).

* ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت808ه/ 1405م).

57- العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1976م).

58- المقدمة، دار احياء التراث العربي، (بيروت – د.ت).

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681ه/ 1282م).

59- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (6) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة-1948م).

* الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف، (ت387ه/ 997م).

60- مفاتيح العلوم، نشرته إدارة الطباعة المنيرية، (القاهرة- 1342ه).

* ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط العصفري، (ت240ه/ 854م).

61- تاريخ خليفة بن خياط، (جزءان)، تح، أكرم ضياء العمري، (النجف – 1967م).

* الدميري، محمد بن موسى، (ت808ه/ 1405م).

62- حياة الحيوان الكبرى، (جزءان)، دار الطباعة، (القاهرة – د.ت).

* الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، (ت- 982ه/ 1574ه).

63- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، (جزءان)، (بيروت-1382ه).

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت282ه/ 895م).

64- الاخبار الطوال، تح، عبدالمنعم عامر، ط1، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة – 1960م).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت748ه/ 1347م).

65- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، مطبعة السعادة، (مصر- 1367-1369ه).

66- العبر في خبر من غبر، (5) أجزاء، (ج1، 4، 5)، تح، صلاح الدين المنجد، (الكويت -1960-1966م)، (ج2، 3)، تح، فؤاد سيد، (الكويت- 1961م).

* الرازي، محمود بن أبي بكر بن عبدالقادر، (كان حيا سنة 666ه/ 1267م).

67- مختار الصحاح، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – 1960م).

* ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، (كان حياً سنة 290ه/ 902م).

68- الاعلاق النفيسة، (ليدن – 1891م).

* ابن الرفعة، أبو العباس نجم الدين الانصاري، (ت710ه/ 1310م).

69- الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تح، د. محمد احمد الخاروف، مطبعة دار الفكر، (دمشق – 1980م).

الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب،(ت236ه/ 850م).

70- نسب قريش، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، (القاهرة – 1953م).

* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت538ه/ 1143م).

71- أساس البلاغة، دار مطابع الشعب، (القاهرة-1960م).

* ابن سعد، محمد بن سعد، (ت 230ه/ 844م).

72- الطبقات الكبرى، (8) مجلدات، دار صادر، دار بيروت، (لبنان- 1957م).

* السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911ه/ 1505م).

73- تاريخ الخلفاء، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط2، مطبعة السعادة، (مصر - 1959م).

74- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (القاهرة- 1967م).

75- الوسائل الى مسامرة الاوائل، تح، د. أسعد طلس، مكتبة الزوراء، (بغداد- 1950م).

* الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت388ه/ 988م).

76- الديّارات، تح، كوركيس عواد، ط2، (بغداد- 1966م).

* الشافعي، أبو عبدالله محمد بن ادريس، (ت204ه/ 819م).

77- الام، المطبعة الاميرية، (بولاق، القاهرة – 1321ه).

* ابن شداد، أبو عبدالله عزالدين بن محمد بن علي، (ت648ه/ 1250م).

78- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، سورديل، (دمشق- 1953م).

* الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن احمد، (ت548ه/ 1153م).

79- الملل والنحل، (3) أجزاء، تح، الشيخ أحمد فهمي محمد، ط1، مطبعة حجازي، (القاهرة – 1948م).

* الصولي، أبو بكر أحمد بن يحيى، (ت335ه/ 946م).

80- أدب الكتاب، ياعتناء، محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، (مصر- 1341ه).

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت310ه/ 922م).

81- تاريخ الامم والملوك، (8) أجزاء، مطبعة الاستقامة، (القاهرة-1939م).

82- اختلاف الفقهاء، عني بنشره، يوسف شاخت، (ليدن-1933م).

* الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، (ت520ه/ 1126م).

83- سراج الملوك، مطبعة بولاق، (القاهرة- 1289م).

* ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت709ه/ 1309م).

84- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – 1966م).

* ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، (ت953ه).

85- قضاة دمشق، المسمى (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تح، صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، (دمشق- 1956م).

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت463ه/ 1070م).

86- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح، علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة – د.ت).

* ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، (ت257ه/ 870م).

87- فتوح مصر وأخبارها، (ليدن- 1930م).

* ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت328ه/ 939م).

88- العقد الفريد، (8) أجزاء، تح، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1940-1952م).

* ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، (ت743ه/ 1343م).

89- تاريخ اليمن، المسمى (بهجة الزمن في تاريخ اليمن)، تح، مصطفى حجازي، دار العودة، (بيروت)، ودار الكلمة، (صنعاء)، (1965م).

* ابن العبري، غريغوريس أبي الفرج بن هرون، (ت685ه/ 1286م).

90- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت- 1890م).

* أبو عبيد، القاسم بن سلام، (ت224ه/ 838م).

91- الأموال، تحقيق وتعليق، محمد خليل هراس، ط2، منشورات دار الفكر، (القاهرة – 1975م).

* ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، (ت660ه/ 1262م).

92- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح، سامي الدهان، (دمشق- 1951م).

* ابن عذاري، ابو عبدالله محمد المراكشي، (ت695ه/ 1295م).

93- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (جزءان)، مطبعة المناهل، (بيروت – 1947-1950م).

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله، (ت571ه/ 1175م).

94- تاريخ مدينة دمشق، م1، تح، صلاح الدين المنجد، (دمشق-1951م)، م10، تح، محمد أحمد دهمان، (دمشق – د.ت).

95- تهذيب التاريخ الكبير، (7) أجزاء، نشره، عبد القادر بدران، مطبعة روضة الشام، (1329-1332ه).

* العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت395ه/ 1005م).

96- الأوائل، تح، محمد السيد الوكيل، (المدينة المنورة – 1966م).

* ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي، (ت1089ه/ 1678م).

97- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (8) أجزاء، (القاهرة – 1350-1351ه).

* أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل، (ت732ه/ 1331م).

98- المختصر في أخبار البشر، (4) أجزاء، ط1، المطبعة الحسينية، (مصر- 1325ه).

* ابن الفقيه، ابو بكر أحمد بن محمد الهمداني، (ت نحو 289ه/ 902م).

99- مختصر كتاب البلدان، ط. دي غويه، (ليدن- 1885م).

* ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت276ه/ 889م).

100- الامامة والسياسة، (منسوب إليه)، (جزءان)، تح، د. محمد الزيني، طبعة دار المعرفة، (بيروت – 1967م).

101- الشعر والشعراء، (جزءان)، دار الثقافة، (بيروت- 1964م).

102- عيون الاخبار، (4) أجزاء، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة- 1963م).

103- المعارف، ط1، (مصر – 1934م).

* قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، (ت337ه/ 948م).

104- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق، د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد – 1981م).

* ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، (ت620ه/ 1223م).

105- المغني، (9) أجزاء، ط3، (القاهرة – 1367ه).

* القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019ه/ 1610م).

106- أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، (بيروت- 1978م).

* القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت682ه/ 1283م).

107- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، (بيروت- 1960م).

* القلعي، أبو عبدالله محمد بن علي، (ت630ه/ 1232م).

108- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تح، إبراهيم يوسف مصطفى، ط1، مكتبة المنار، (الاردن- 1985م).

* القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت821ه/ 1418م).

109- صبح الاعشا في صناعة الانشا، (14) جزء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستا توماس وشركاءه، (القاهرة – 1963م).

110- مآثر الانافة في معالم الخلافة، (3) أجزاء، تح، عبدالستار أحمد فراج، (الكويت- 1964م).

* القيرواني، إبراهيم بن القاسم، (ت بعد سنة 447ه/ 1055م).

111- تاريخ أفريقية والمغرب، تح، المنجي الكعبي، (تونس – 1967م).

* ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، (ت751ه/ 1350م).

112- أحكام أهل الذمة، تح، د. صبحي الصالح، ط1، مطبعة جامعة دمشق، (دمشق – 1961م).

* ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد، (ت697ه/ 1297م).

113- مختصر التاريخ، تح، د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، (بغداد- 1970م).

* ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر، (ت774ه/ 1372م).

114- البداية والنهاية في التاريخ، (14) جزء، ط1، مكتبة المعارف، (بيروت)، مكتبة النصر، (الرياض)، (1966م).

* الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف، (ت350ه/ 961م).

115- ولاة مصر، تح، د. حسين نصار، دار صادر، دار بيروت، (بيروت- 1959م).

116- كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت- 1908م).

* المالكي، أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله، (ت بعد 453ه/ 1061م).

117- رياض النفوس، نشر، د. حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة - 1951م).

* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت450ه/ 1058م).

118- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة - 1960م).

* المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت285ه/ 898م).

119- الكامل في اللغة والأدب، (4) أجزاء، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة - 1956م).

* المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، (ت346ه/ 957م).

120- التنبيه والاشراف، تح، عبدالله اسماعيل الصاوي، (القاهرة-1938م).

121- مروج الذهب ومعادن الجوهر، (4) اجزاء، تح، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط2، مطبعة السعادة، (مصر- 1948م).

* المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد الشافعي المقدسي البشاري، (ت387ه/ 997م).

122- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، اعتناء، دي غويه، (ليدن- بريل - 1906م).

* المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت322هـ/ 933م).

123- البدء والتاريخ، (6) أجزاء، نشر، كلمان هوار، (باريس – 1899-1919م).

* المقري، أحمد بن محمد، (ت1041هـ/ 1631م).

124- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (10) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، مطبعة السعادة، (مصر – 1949م).

* المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر، (ت845هـ/ 1441م).

125- اغاثة الامة بكشف الغمة، تح، محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1940م).

126- شذور العقود في ذكر النقود، نشر المكتبة الحيدرية، (النجف-1356هـ).

127- شذور العقود في ذكر النقود، المسمى (النقود الاسلامية)، تحقيق واضافات محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف – 1967م).

128- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (جزءان)، طبعة جديدة بالاوفسيت، مكتبة المثنى، (بغداد – د.ت).

129- النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف – 1966م).

* المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (ت1031هـ).

130- النقود والمكاييل والموازين، تح، رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، دار الرشيد، (بغداد- 1981م).

* ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت771ه/ 1311م).

131- لسان العرب، (15) جزء، دار صادر، دار بيروت، (بيروت- 1956م).

* مؤلف مجهول.

132- تاريخ الخلفاء، نشر، بطرس غرياز نيويج، (موسكو- 1967م).

* مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).

133- أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تح، د. عبد العزيز الدوري، و د. عبد الجبار المطلبي، دار صادر، (بيروت- 1971م).

* مؤلف مجهول.

134- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3، نشر، دي غويه، (ليدن- 1869م).

النابلسي، عثمان بن ابراهيم النابلسي.

135- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، (دمشق – 1958-1960م).

* الناصري، أحمد بن خالد بن محمد السلاوي، (ت1315ه/ 1897م).

136- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، (9) أجزاء، تح، جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء – 1954م).

* ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق، (ت385م/ 995م).

137- الفهرست، تح، رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، (طهران- 1971م).

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، (ت733ه/ 1332م).

138- نهاية الارب في فنون الادب، (20) جزء، (ج1-ج18) طبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1926-1955م)، (ج19)، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة - 1975م)، (ج20)، تح، محمد رفعت فتح الله، (القاهرة-1975م).

* ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، (ت218ه/ 833م).

139- سيرة النبي محمد ﷺ، (4) أجزاء، تح، محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، (القاهرة- د.ت).

* الهرثمي، ابو سعيد الشعراني، (من أهل القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي).

140- مختصر سياسة الحروب، تح، عبدالرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة - 1964م).

* وكيع، محمد بن خلف بن حيان، (ت306ه/ 918م).

141- أخبار القضاة، (3) أجزاء، تح، عبدالعزيز مصطفى المراغي، ط1، (القاهرة - 1947-1950م).

* ياقوت، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، (ت626ه/ 1229م).

142- المشترك وضعا والمفترق صقعاً، اعتناء، وستنفلد حوتنكين، (1846م)، واعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد.

143- معجم البلدان، (5) مجلدات، دار صادر، دار بيروت، (بيروت- 1955م).

* اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح، (ت284ه/ 897م).

144- تاريخ اليعقوبي، (3) أجزاء، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، (النجف – 1964م).

145- مشاكلة الناس لزمانهم، تح، وليم ملورد، دار الكتاب الجديد، (بيروت- 1962م).

* أبو يعلي، محمد بن الحسين الحنبلي، (ت458ه/ 1066م).

146- الاحكام السلطانية، صححه وعلق عليه، الشيخ محمد حامد الفقي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر – 1353ه).

* ابو يوسف، القاضي يعقوب بن ابراهيم، (ت182ه/ 798م).

147- الخراج، ط2، نشر المكتبة السلفية، (القاهرة – 1352ه).

2ـ المراجع العربية الحديثة

* أحمد، لبيد ابراهيم (الدكتور)، وفاروق عمر فوزي (الدكتور).

148- عصر النبوة والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد-1986م).

* ادى شير، السيد أدى شير.

149- الالفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت-1908م).

* الأعظمي، عواد مجيد (الدكتور).

150- تاريخ مدينة القدس، السلسلة الاعلامية (32) وزارة الاعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، (بغداد – 1972م).

* أمين، أحمد أمين.

151- فجر الاسلام، ط6، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة-1959م).

* باشا، أحمد تيمور.

152- التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه، زكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – 1942م).

* الجومرد، محمود.

153- الحجاج رجل الدولة المفترى عليه، ط1، شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، (بغداد- 1985م).

* حتي، فليب، وإدوارد جرجي، وجبرائيل جبور.

154- تاريخ العرب المطول، ط4، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، (بيروت- 1965م).

* حسن، حسن إبراهيم (الدكتور).

155- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (4) أجزاء، ط7، (القاهرة- 1964م).

* حسن، حسن إبراهيم وعلي ابراهيم حسن (الدكتور).

156- النظم الاسلامية، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1959م).

* حلاق، حسان علي.

157- تعريب النقود والدواوين في العصر الاموي، دار الكتاب، (القاهرة- 1978م).

* الحسيني، محمد باقر.

158- تطور النقود العربية الاسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، (بغداد- 1969م).

159- العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، مطبعة دار الجاحظ، (بغداد- 1966م).

* الحيدر أبادي، د. محمد حميد الله.

160- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1956م).

* الخربوطلي، علي حسني (الدكتور).

161- الاسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت-1969م).

162- تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي، دار المعارف، (مصر-1959م).

163- الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الانجلو المصرية،(القاهرة-د.ت).

164- الدولة العربية الاسلامية، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة-1960م).

* الخضري، الشيخ محمد.

165- تاريخ الامم الاسلامية، ط8، (مصر- 1382ه).

* دكسن، عبدالامير عبد حسين (الدكتور).

166- الخلافة الاموية (65-86هـ/ 684-705م) دراسة سياسية، (بيروت-1973م).

* الدوري، عبدالعزيز (الدكتور).

167- العصر العباسي الاول، مطبعة التفيض الاهلية، (بغداد-1945م).

168- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، (بيروت-1982م).

169- مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد-1949م).

170- النظم الاسلامية، ج1، ط1، مطبعة نجيب، (بغداد- 1950م).

* الرافعي، مصطفى صادق (الدكتور).

171- التنظيم القضائي في لبنان من الناحيتين القانونية والشرعية، (لبنان-1969م).

* الراوي، ثابت اسماعيل.

172- العراق في العصر الاموي، ط1، مطبعة الارشاد، (بغداد-1965م).

* الزركلي، خير الدين.

173- الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ط2، (القاهرة-1954-1959م).

* الريس، محمد ضياء الدين.

174- الخراج والنظم الاسلامية، ط1، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة- 1957م).

175- عبدالملك بن مروان، موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام العرب، العدد (10)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة-1962م).

* الزنجاني، أبو عبدالله.

176- تاريخ القرآن، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1969م).

* زيدان، جرجي.

177- تاريخ التمدن الاسلامي، (5) أجزاء، مطبعة الهلال، (مصر-1931- 1947م).

* سالم، السيد عبدالعزيز (الدكتور).

178- تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت- 1971م).

* شلبي، أحمد شلبي (الدكتور).

179- السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1964م).

* الصالح، صبحي (الدكتور).

180- النظم الاسلامية، نشأتها وتطورها، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت- 1968م).

* صفوت، أحمد زكي.

181- جمهرة رسائل العرب، (4) أجزاء، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، (مصر – 1937م).

* ضرار، ضرار صالح.

182- الحجاج بن يوسف الثقفي، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت-1966م).

* طلس، محمد أسعد.

183- تاريخ الأمة العربية، عصر الاتساق، ط1، دار الاندلس، (بيروت-1958م).

* طه، عبدالواحد ذنون (الدكتور).

184- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط1، مطابع جامعة الموصل، (1405ه/ 1985م).

* العارف، عارف باشا.

185- تاريخ القدس، دار المعارف، (مصر – 1951م).

* عاقل، نبيه (الدكتور).

186- خلافة بني أمية، سلسلة تاريخ العرب والاسلام، ط3، دار الفكر، (دمشق-1975م).

187- الامبراطورية البيزنطية، (دمشق- 1969م).

* عبدالباقي، محمد فؤاد.

188- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1364هـ).

* العدوي، إبراهيم أحمد (الدكتور).

189- الأمويون والبيزنطيون، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة-1953م).

* العسلي، بسام.

190- عبدالملك القائد، ط1، دار النفائس، (بيروت- 1986م).

* عمر، احمد مختار.

191- تاريخ اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة- 1970م).

* علي، محمد كرد.

192- الاسلام والحضارة العربية، (جزءان)، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة -1968م).

193- خطط الشام، (4) اجزاء، المطبعة الحديثة، (دمشق- 1925م).

* علي، جواد (الدكتور).

194- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (8) أجزاء، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت- 1969م).

* العلي، صالح أحمد (الدكتور).

195- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، مطبعة المعارف، (بغداد- 1953م).

196- محاضرات في تاريخ العرب، ج1، ط6، (بغداد- 1964م).

197- تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، (بالاشتراك مع آخرين)، ط1، مطبعة وزارة التربية، (بغداد – 1973م).

* فوزي، فاروق عمر (الدكتور).

198- النظم الاسلامية، ط1، مطابع دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر، (العين- 1983م).

199- تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى، ط2، دار واسط، (بغداد – 1985م).

200- النظم الاسلامية، (بالاشتراك مع آخرين)، منشورات دار الحكمة، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد- 1987م).

* كاشف، سيدة اسماعيل (الدكتورة).

201- مصر في عصر الولاة، مطابع دار القلم، (القاهرة – د.ت).

202- مصر في فجر الاسلام، دار الفكر العربي، (القاهرة-1947م).

203- الوليد بن عبد الملك، سلسلة أعلام العرب (17)، (القاهرة-1962م).

* الكبيسي، عبدالمجيد محمد صالح.

204- عصر هشام بن عبدالملك، (بغداد- 1975م).

* الكتاني، الشيخ عبد الحي.

205- التراتيب الادارية، (جزءان)، دار احياء التراث العربي، (بيروت-د.ت).

* ماجد، عبدالمنعم (الدكتور).

206- التاريخ السياسي للدولة العربية، ط5، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة- 1976م).

207- تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط3، (القاهرة - 1973م).

* المازندراني، السيد موسى الحسيني.

208- العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، ط2، المطبعة الاسلامية، (طهران- 1382هـ).

* محمد، عبد الرحمن فهمي (الدكتور).

209- صنج السكة في فجر الاسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1957م).

210- فجر السكة العربية، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1965م).

211- النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية (113)، (القاهرة- 1964م).

* المدور، جميل نخلة.

212- حضارة الاسلام في دار السلام، مطبعة الاعتماد، (القاهرة- 1932م).

* مصطفى، شاكر.

213- التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت- 1978م).

* المعاضيدي، عبدالقادر سلمان (الدكتور).

214- واسط في العصر الاموي، ط1، دار الحرية للطباعة،(بغداد-1976م).

* معروف، ناجي (الدكتور).

215-المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط6،مطبعة العاني،(بغداد-1966م).

* معروف، نايف محمود (الدكتور).

216- الخوارج في العصر الاموي، ط1،دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت-1977م).

* النجم، عبدالرحمن عبدالكريم (الدكتور).

217- البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، (بغداد- 1973م).

* أبو النصر، عمر.

218- سيوف أمية في الحرب والادارة، مطبعة نمنم، منشورات المكتبة الاهلية، (بيروت- 1963م).

219- الحضارة العربية الاموية في دمشق، (بيروت-1948م).

220- عبدالملك بن مروان، ط1، منشورات المكتبة الاهلية، (بيروت-1962م).

* النعيم، د. عبدالعزيز العلي.

221- نظام الضرائب في الاسلام ومدى تطبيقه في المملكة العربية السعودية، دار الاتحاد العربي للطباعة، (القاهرة- 1975م).

* النقشبندي، السيد ناصر محمود.

222- الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني، ج1، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الحكومة، (بغداد – 1969م).

223- الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، ج1، مطبعة الرابطة، (بغداد- 1953م).

* النقشبندي والبكري، السيد ناصر محمود، ومهاب درويش.

224- الدرهم الاموي المعرب، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (بغداد- 1974م).

* النواوي، عبدالخالق (الدكتور).

225- النظام المالي في الاسلام، دار النهضة العربية، (القاهرة-1973م).

3ـ المراجع الأجنبية:

أ: المترجمة:

* آرنولد، سير توماس.

226- الدعوة إلى الاسلام، ترجمة، حسن ابراهيم، عبدالمجيد عابدين، اسماعيل النحراوي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة- 1970م).

* اسكندر، توفيق (مترجم).

227- بحوث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، (القاهرة- 1961م).

* بتلر، الفريد.ج.

228- فتح العرب لمصر، ترجمة، محمد فريد أبو حديد، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1946م).

* ترتون. أ. س.

229- أهل الذمة في الاسلام، ترجمة، حسن حبشي، مطبعة الاعتماد، (مصر- 1949م).

* حسيني، مولوي. س. أ. ق.

230- الادارة العربية، ترجمة ابراهيم احمد العدوي، مكتبة الاداب، (القاهرة- 1958م).

* جروهمان، أدولف.

231- الأوراق البردية العربية، (4) محاضرات، ألقيت في القاهرة سنة (1930م)، ترجمة، توفيق اسكاروس، مطبوعات دار الكتب المصرية، (القاهرة- 1930م).

* جوزي، بندلي جوزي.

232- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام، طبعة دار الروائع، (بيروت- د.ت).

* جلوب، جون باجوت.

233- امبراطورية العرب، ترجمة وتعليق، خيري العمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت- 1966م).

* ديمومبين، موريس جود فواي.

234- النظم الاسلامية، ترجمه من الفرنسية، صالح الشماع وفيصل السامر، مطبعة الزهراء، (بغداد – 1952م).

* دينيت، دانيال دينيت.

235- الجزية والاسلام، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، مراجعة احسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت- 1960م).

* علي، سيد أمير.

236- مختصر تاريخ العرب، ترجمة، رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1938م).

* فنسنك.

237- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ج1، مطبعة بريل، (ليدن- 1936م).

* فلوتن، فان فلوتن.

238- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية، حسن ابراهيم حسن، ومحمد زكي ابراهيم، مطبعة السعادة، (القاهرة-1934م).

* كب، هاملتون كب وآخرون.

239- دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس وآخـرون، دار العلـم للملايين، (بيروت-1964م).

* كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليا نوفتش.

240- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، (قسمان)، ترجمة، صـلاح الـدين عثمـان هاشم، (موسكو – لينغراد – 1957م).

* كرستنسن، آرثر.

241- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة، يحيى الخـشاب، مراجعـة، عبـدالوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة- 1957م).

* لسترانج، كي لسترانج.

242- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة، بشير فرنسيس، وكوركيس عـواد، مطبعـة الرابطة، (بغداد- 1954م).

* لوبون، غوستاف لوبون.

243- حضارة العرب، ترجمة، محمد عادل زعـيتر، دار احيـاء الكتـب العربيـة، (القاهرة- 1945م).

* متز، آدم.

244- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة-1948م).

* ولهاوزن، يوليوس.

245- تاريخ الدولة العربية، ترجمة، محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط2، (القاهرة-1968م).

* هنتس، فالتر.

246- المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عَمان-1970م).

247- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة، أحمد الشنتناوي وآخرين.

248- دائرة المعارف الاسلامية، ط1، دار الشعب، (القاهرة – د.ت).

ب: غير المترجمة:

249-Walker (Jone): Catalogue of the Arab-Sassanian coins. (london , 1941).

اعتبرناه الجزء الأول.

250-Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Unaiyad coins. (London: 1956). اعتبرناه الجزء الثاني.

251--Wroth: Catalogue of the Byzantine coine in the Brtish Musem. (London ,1908).

252-"The Encyclopaedia of Islam" , old Edition. (Leyden, 1913-1934).

253-New Edition (Leyden , 1960).

4ـ المجلات والحوليات:

<u>أ: العربية:</u>

* دكسن، عبدالأمير عبد حسين (الدكتور).

254- ملاحظات حول سياسة عبدالملك بن مروان في اختيار عماله، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (15) لسنة 1972م.

* الدوري، عبدالعزيز (الدكتور).

255- نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، م11، لسنة 1964م.

256- نظام الضرائب في صدر الاسلام، ملاحظات وتقييم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج2، م49، لسنة 1974م.

* الرمضاني، عبدالواحد (الدكتور).

257- البعد القومي لعملية تعريب النقود، دراسة سياسية واقتصادية، مجلة آداب الرافدين، (الموصل)، العدد (14)، لسنة 1981م.

* سلمان، عيسى سلمان (الدكتور).

258- درهم نادر للخليفةالاموي عبدالملك بن مروان، مجلة سومر، م26، لسنة 1970م.

259- أقدم درهم معرب للخليفة عبدالملك بن مروان، مجلة سومر، م27، لسنة 1971م.

260- المسكوكات المصورة في مجموعة عبدالله بن شكر الصراف، مجلة المسكوكات، العدد(2)، بغداد 1969م.

* الشيبي، كامل مصطفى.

261- أصحاب الأخبار أو رجال المخابرات في التراث العربي، مجلة آفاق عربية، العدد (7)، آذار 1982م.

* عبد المنعم، حمدي.

262- النظر في المظالم، مجلة العدالة، تصدرها وزارة العدل والشؤون الاسلامية والاوقاف، (أبو ظبي)، العدد (17)، السنة (5)، 1978م.

* العلي، صالح احمد (الدكتور).

263- إدارة خراسان في العهود الاسلامية الاولى، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (15)، لسنة 1972م.

264- إدارة الحجاز في العصور الاسلامية الاولى، مجلة الابحاث، مجلة تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت، السنة (21)، الأجزاء (2، 3، 4)، لسنة 1968م.

265- مراكز السك الساسانية في العراق، مجلة المسكوكات، العدد(3)، لسنة 1972م.

266- موظفو بلاد الشام في العصر الاموي، مجلة الابحاث، العدد (19)، (بيروت- 1966م).

* علي، محمد كرد.

267- مميزات بني أمية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م16، لسنة 1941م.

* غنيمة، يوسف رزق الله.

268- النقود العباسية، مجلة سومر، ج1، م9، لسنة 1953م.

* القزاز، وداد علي.

269- الدراهم الاسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، العدد (1)، لسنة 1969م.

* الكبيسي، حمدان عبدالمجيد (الدكتور).

270- موسوعة حضارة العراق، الصناعة في العراق، ج5، (بغداد-1984م).

271- البعد القومي لعملية تعريب النقود، مجلة آداب المستنصرية، العدد (5)، لسنة 1980م.

* معروف، ناجي (الدكتور).

272- أول تأميم في العراق، مجلة الأقلام، ج4، السنة الأولى، 1964م.

273- الضمان الاجتماعي في الاسلام أو التنظيم العمري في الخراج، مجلة الاقلام، ج7، السنة الأولى، 1965م.

* النقشبندي، السيد ناصر محمود.

274- الدرهم الاموي المضروب على الطراز الاسلامي الخاص، مجلة سومر، م14، لسنة 1959م.

ب: الأجنبية:

275- Grierson, P:"The Monetary Reform of Abd Al-Malik" , Jornal of the Economic and social History of the Orient , JESHO, III , 1960.

276- Maáya Farah's: Ahoard of ommayad dinars from ORIF , Annual. Dept. Antiq , Jordan , 1962. P. 76.

277- Sprengling. M: " From Persian to Arabic ' , The American Jounal of Semitic Languages and Literature , Vol. 56. 1939.

5ـ الرسائل الجامعية:

* جاسم، عطا سلمان.

278- النظر في المظالم، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م.

* سلامة محاسنة، محمد حسين.

279- الاحوال الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986م.

* العاني، عبدالرزاق عبداللطيف.

280- إدراة بلاد الشام في العهدين الراشدي والاموي، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1968م.

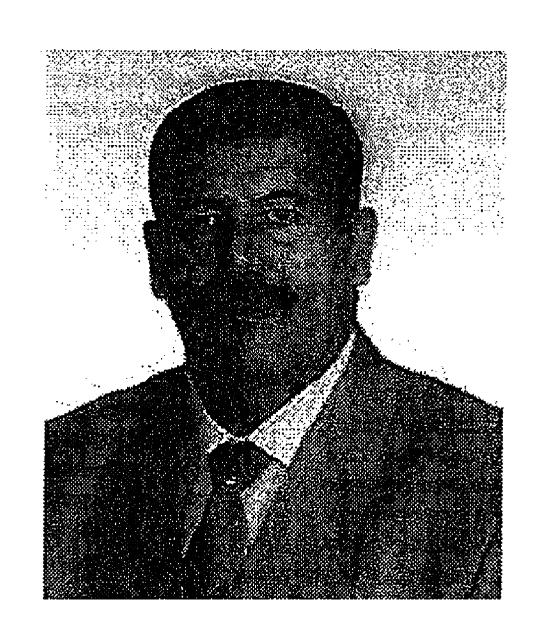
* الفراجي، عدنان علي كرموش.

281- الخلافة الأموية (96-105ه) دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987م.

* محمد صالح، خولة عيسى.

282- نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الاسلامية حتى عام 334ه، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م.

المؤلف في سطور



- الاسم الكامل: الاستاذ الدكتور عبدالجبار محسن عباس السامرائي .
- ولد عام 1953م في سامراء وأكمل فيها الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية .
- بكالوريوس في التاريخ من جامعة بغداد / كلية الآداب – قسم التاريخ عام1976م .
- ماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب – قسم التاريخ عام 1988م .
- دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد / كلية الآداب – قسم التاريخ عام 2000م .
- عمل في المدارس الثانوية منذ عام 1978م حتى نقله الى جامعة تكريت كتدريسي عام 1995.
- من الرواد المؤسسين لجامعة سامراء.
- رئيس قسم التاريخ عام 2003-2005م .
- معاون العميد للشؤون العلمية في كلية التربية/ سامراء للفترة 2008-2010م .

- رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية / سامراء 2008 م
- معاون العميد للشؤون الادارية في كلية الآثار / سامراء 2010-2011م.
- عميد كلية الاثار/ جامعة سامراء عام 2012م
- عضو اتحاد المؤرخين العرب منذ عام 1988م .
- عضو جمعية المؤرخين والآثاريين العراقية منذ عام 1989م .
- كُرِمَ بوسام المؤرخ العربي في 25/ 10/ 2014م.